

مِنْ مَجالِسِ
الشَّيخ عبدِ اللهِ بنِ محمَّد بنِ يوسفَ
الهرريّ المعروف بالحبشيّ
رحمه الله تعالى

## الجزْء الرابع

لخادِم عِلم الحديث الشريف
الشيخ عبد الله الهرري
المعروف بالحبشيّ غفرَ الله لهُ ولوالديه



الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤ر



بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان




ISBN 978-9953-20-919-7

9 789953 209197

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

# نبذة مختصرة
# فى ترجمة شيخنا الهررىّ

**- اسمه وكنيته وشهرته:**

هو العالِم الجليل قدوة المحقّقين وعمدة المدقّقين صدر العلماء العاملين الإمام المحدّث التقى الزاهد والفاضل العابد صاحب المواهب الجليلة الشيخ أبو عبد الرَّحمٰن عبد الله بن محمَّد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الشَّيبى[(١)] العبدرى[(٢)] القرشى نسبًا الهررى[(٣)] موطنًا المعروف بالحبشى.

**- مولده ونشأته:**

وُلِدَ فى مدينة هرر حوالى سنة **١٣٣٠**هـ - **١٩١٢**ر، ونشأ فى بيتٍ متواضع محبًّا للعِلم ولأهله فحفظ القرءان الكريم استظهارًا وترتيلًا وإتقانًا وهو قريب العاشرة من عمره فى أحد كتاتيب باب السلام فى هرر، وأقرأه والده كتاب «المقدمة الحضرمية فى فقه السادة الشافعية» وكتاب «المختصر الصغير فيما لا بد لكل مسلم من معرفته» وهو

---

(١) بنو شيبة بطن من عبد الدار من قريش وهم حَجَبَةُ الكعبة إلى الآن، انتهت إليهم من قِبَلِ جدهم عبد الدار حيث ابتاع أبوه قصىّ مفاتيح الكعبة من أبى غَبْشَان الخُزاعى، وقد جعلها النبى ﷺ في عقبهم. (انظر سبائك الذهب ص/٦٨).

(٢) بنو عبد الدار بطن من قصى بن كلاب جدّ النبى ﷺ الرابع. انظر (سبائك الذهب ص/٦٨).

(٣) تقع مدينة هرر في شرق إفريقيا ضمن جمهورية أثيوبيا.

كتاب مشهور فى بلاده وكلاهما للشيخ عبد الله بافضل الحضرمى الشافعى، ثم حُببَ إليه العلم فأخذ عن بعض علماء بلده وما جاورها، وعكف على الاغتراف من بحور العلم فحفظ عددًا من المتون فى مختلف العلوم الشرعية.

- **رحلاته:**

لم يكتفِ رضي الله عنه بعلماء بلدته وما جاورها بل جال فى أنحاء الحبشة ودخل أطراف الصومال مثل هرگيسا لطلب العِلم وسماعه من أهله وله فى ذلك رحلات عديدة لاقى فيها المشاق والمصاعب، غير أنه كان لا يأبه لها بل كلما سمع بعالِم شدَّ رحاله إليه ليستفيد منه وهذه عادة السلف الصالح، وساعده ذكاؤه وحافظته العجيبة على التعمّق فى الفقه الشافعى وأصوله ومعرفة وجوه الخلاف فيه، وكذا الشأن فى الفقه المالكى والحنفى والحنبلى، ثم أَوْلى علم الحديث اهتمامه رواية ودِراية فحفظ الكتب الستة وغيرها بأسانيدها وأجيز بالفتوى ورواية الحديث وهو دون الثامنة عشرة حتى صار يُشار إليه بالأيدى والبنان ويُقصد وتشدُّ الرحال إليه من أقطار الحبشة والصومال حتى صار على الحقيقة مفتيًا لبلده هرر وما جاورها.

ثم خرج من بلده إلى مكة بعد أن كثر تقتيل العلماء مرات عديدة ءاخرها سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥١ فتعرّف إلى عدد من علمائها كالشيخ العالِم السيّد علوى المالكى والشيخ السيد أمين الكتبى والشيخ محمد ياسين الفادانى والشيخ حسن مشاط وغيرهم وربطته بهم صداقة وطيدة،

وحضر على الشيخ محمّد العربى التبّان، واتصل بالشيخ عبد الغفور العباسى المدنى النقشبندى فأخذ منه الطريقة النقشبنديّة كما سيأتى.

ورحل بعدها إلى المدينة المنوّرة واتصل بعدد من علمائها منهم الشيخ المحدث محمّد على أعظم الصديقى البكرى الهندى الأصل ثم المدنى الحنفى وأجازه، واجتمع بالشيخ المحدث إبراهيم الخُتَنى تلميذ المحدث عبد القادر شلبى الطرابلسى ثم المدنى والشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوى الهندى ثم المدنى والشيخ المحدث محمد يوسف البنُّورى وحصلت بينهم صداقة ومودة، ثم لازم مكتبة عارف حكمت والمكتبة المحمودية مطالعًا منقبًا بين الأسفار الخطيَّة مغترفًا من مناهلها فبقى فى المدينة مجاورًا مدة من الزمن.

ثم رحل إلى بيت المقدس فى أواخر سنة **١٣٧٢**هـ - **١٩٥٣**ر مشيًا على الأقدام ومنه إلى الخليل ثم توجَّه إلى دمشق فاستقبله أهلها بالترحاب لا سيما بعد وفاة محدّثها الشيخ بدر الدين الحسنى رحمه الله، ثم سكن فى جامع القطاط فى محلة القيمرية وأخذ صيته فى الانتشار فتردّد عليه مشايخ الشام وطلبتها وتعرَّف على علمائها واستفادوا منه وشهدوا له بالفضل وأقرُّوا بعلمه واشتهر فى الديار الشامية بـ«خليفة الشيخ بدر الدين الحسنى» وبـ«مُحَدّث الديار الشاميّة»، ثم تنقل فى بلاد الشام بين دمشق وبيروت وحمص وحماه وحلب وغيرها من المدن السورية واللبنانية إلى أن استقر ءاخرًا فى بيروت.

- **مشايخه:**

**١- هرر وضواحيها:**

أخذ عن والده محمد بن يوسف كما تقدَّم، وعن كبير[١] على شريف علم التوحيد، وقرأ عليه القرءان الكريم تجويدًا وترتيلًا وحفظه وهو دون العاشرة، وعن العالم النحرير الشيخ الولى محمد بن عبد السلام الهررى الفقه الشافعى والنحو، وقرأ على الشيخ محمد بن عمر جامع الهررى علم التوحيد والفقه الشافعى والنحو، وقرأ على الشيخ إبراهيم بن أبى الغيث الهررى كتاب «عمدة السالك وعدة الناسك» لأحمد بن النقيب الشافعى، وعلى الشيخ الصالح أحمد الضرير الملقب بالبصير فى قريته كرُو كتاب «الفواكه الجنية على متممة الآجرومية» للفاكهى وشرح التصريف العزى للتفتازانى وألفية ابن مالك و«الجوهر المكنون فى الثلاثة متون» فى البلاغة للأخضرى، وكتاب «تلخيص المفتاح» فى البلاغة للقزوينى.

**٢- خارج هرر:**

ارتحل إلى غرب الحبشة فقرأ فى جِمَّه على الشيخ بشرى گوراگي علم العروض والقوافى، والشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله الحبشى المعروف بالمصرى جميع صحيح مسلم وسنن النسائى و«تدريب الراوى شرح تقريب النووى» للحافظ السيوطى وبعضًا من صحيح ابن

(١) معناها في بلاد الحبشة «الشيخ العالم».

حبان والسنن الكبرى للبيهقى ومسند الإمام أحمد وسمع منه المسلسل بالأولية وغيره ثم أجازه بسائر مروياته.

وقرأ فى ناحية جِمَّه على الشيخ يونس گوراگى «فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب» للشيخ زكريا الأنصارى.

وأخذ عن الشيخ العلامة النحوى اللغوى محمد شريف الجِمى الشهير بشيخ شِيرو فى ناحية جِمَّه فى قرية شِيرو شرح ملحة الإعراب وشرح ألفية ابن مالك لابن عقيل وشرح شافية ابن الحاجب فى الصرف للأستراباذى وكتاب «فتح الجواد فى شرح الإرشاد لابن المقرى» لابن حجر الهيتمى وحضر عليه أيضًا فى التفسير.

وقرأ على الشيخ أحمد دگو فى چرين ناحية جِمَّه «جمع الجوامع فى أصول الفقه» للسبكى بشرح المحلى، وأدرك الشيخ إبراهيم القَتْبَارى فى ءاخر عمره لما سكن جِمَّه وقرأ عليه «تحفة الطلاب بشرح متن تحرير تنقيح اللباب» للشيخ زكريا الأنصارى.

واجتمع بالشيخ الفقيه الأديب الصوفى الزاهد عمر بن على البَلْبِلَّيتى، الغَلَمْسى فقرأ عليه فى علم الميقات والفلك.

ثم ارتحل إلى شمالى الحبشة مشيًا على الأقدام فدخل رايَّه وهى تبعد عن هرر نحو ألف كيلومتر فقرأ على مفتى الحبشة الشيخ محمد سراج الجبرتى سنن أبى داود وابن ماجه وشرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر العسقلانى وسمع منه المسلسل بالأولية وغيره ثم أجازه بسائر مروياته، ودخل قرية كَدَّو مرتين فقرأ على

الشيخ الصالح المقرئ المحدث أبى هدية الحاج كبير أحمد بن عبد الرحمٰن إدريس الدَّاوى الكدّي الحسنى شيخ القراء فى المسجد الحرام بمكة - وكان يسميه أحمد عبد المطلب - صحيح البخارى وسنن الترمذى وأجازه وقرأ عليه نصف القرءان من طريق الشاطبية، ثم دخل أديس أبابا فقرأ على الشيخ داود الجبرتى الهاشمى المقرئ شرح الجزرية لزكريا الأنصارى وقرأ عليه القرءان بقراءتى نافع المدنى وأبى عمرو البصرى وبرواية حفص عن عاصم، وقرأ عليه كتاب «الدرة المضية فى القراءات الثلاث المتممة للعشر» لابن الجزرى.

**٣- خارج الحبشة:**

اجتمع فى المدينة بالشيخ محمد على أعظم حسين الصديقى البكرى الهندى الأصل ثم المدنى الحنفى فسمع منه المسلسل بالأولية وغيره من المسلسلات وقرأ عليه «الأربعون العجلونية» وأجازه، وحضر على الشيخ محمد العربى التبَّان المكى المالكى بعض الدروس فى التفسير والحديث فى المسجد الحرام عند باب الزيارة. وأجازه المسند الأصولى علم الدين أبو الفيض محمد ياسين الفادانى المكى بسائر مروياته.

ثم دخل دمشق فقرأ على الشيخ المقرئ محمود فايز الديرعطانى نزيل دمشق وجامع القراءات العشر أقل من ختمة برواية حفص على وجه قصر المنفصل فى المدرسة الكاملية بدمشق، وأجازه الشيخ محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكَتَّانى نزيل دمشق وقتها بسائر مروياته، وقرأ

على الشيخ محمد العربى العزوزى الفاسى نزيل بيروت الموطأ وسمع من لفظه الأربعين العجلونية وبعضًا من مسند أحمد والمسلسل بالأولية وأجازه، وتردد على الشيخ محمد توفيق الهِبرى البيروتى وسمع من لفظه بعضًا من الأربعين العجلونية وأجازه بها.

- **تدريسه:**

شرع رضي الله عنه يُلقى الدروس مبكرًا على الطلاب الذين ربما كانوا أكبر منه سنًّا فجمع بين التعلُّم والتعليم فى ءان واحد، وانفرد فى أرجاء الحبشة والصومال بتفوّقه على أقرانه فى معرفة تراجم رجال الحديث وطبقاتهم وحفظ المتون والتبحّر فى علوم السنة واللغة والتفسير والفرائض وغير ذلك، حتى إنه لم يترك علمًا من العلوم الإسلامية المعروفة إلا درسه وله فيه باعٌ، وربما تكلّم فى علم فيظن سامعُه أنه اقتصر عليه فى الإحكام وكذا سائر العلوم على أنه إذا حُدّث بما يعرف أنصت إنصات المستفيد، فهو كما قال الشاعر: [الكامل]

وتراهُ يُصغي للحديثِ بِسَمْعِهِ
وبِقَلبِهِ ولعلهُ أدرَى بهِ

- **الثناء عليه:**

أثنى عليه العديد من علماء وفقهاء الشام منهم الشيخ علاء الدين وأخوه عزّ الدين الخزنوى الشافعيان النقشبنديان من الجزيرة شمالى سوريا والشيخ عبد الرزّاق الحلبى إمام ومدير المسجد الأموى بدمشق والشيخ أبو سليمان سهيل الزَّبيبى والشيخ مُلَّا رمضان البوطى والشيخ

أبو اليُسر عابدين مفتى سوريا والشيخ عبد الكريم الرفاعى والشيخ سعيد طَنَاطِرَة الدمشقى والشيخ أحمد الحُصَرى شيخ معرّة النعمان ومدير معهدها الشرعى والشيخ عبد الله سراج الحلبى والشيخ محمد مراد الحلبى والشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قرَّاء حمص والشيخ عبد السلام أبو السعود الحمصى والشيخ فايز الدَّيرعطانى نزيل دمشق وجامع القراءات السبع فيها والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الدمشقى والدكتور أحمد الحلوانى شيخ القرَّاء فى سوريا والشيخ أحمد الحارون الدمشقى الولى الصالح والشيخ طاهر الكيالى الحمصى والشيخ صلاح كِيوَان الدمشقى والشيخ عباس والشيخ حمدى الجويجاتى الدمشقيان ومفتى محافظة إدلب الشيخ محمد ثابت الكيالى ومفتى الرقة الشيخ محمد السيد أحمد والشيخ هاشم المجذوب الدمشقى والشيخ الفرضي أبو عمر القصيبانى العاتكى الدمشقى الشافعى والشيخ نوح القضاه من الأردن وغيرهم خلق كثير.

وكذلك أثنى عليه الشيخ عثمان سراج الدين سليل الشيخ علاء الدين شيخ النقشبندية فى وقته وقد حصلت بينهما مراسلات علمية وأخوية، والشيخ عبد الكريم محمد البَيَّارى المدرّس فى جامع الكيلانية ببغداد والشيخ محمد زاهد الإِسلامبولى والشيخ محمود أفندى الحنفى من مشاهير مشايخ الأتراك العاملين الآن بتلك الديار والشيخان عبد الله وعبد العزيز الغمارى محدّثا الديار المغربية والشيخ محمد ياسين الفادانى المكى شيخ الحديث والإسناد بدار العلوم الدينية بمكة المكرمة والشيخ

محمود طاش مفتى إزمير والشيخ المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمى والشيخ محمد زكريا الكاندهلوى الهنديان والمحدث إبراهيم الخُتنى وغيرهم خلق كثير.

أخذ الإجازة بالطريقة الرفاعيّة من الشيخ محمد على الحريرى الدمشقى، والخلافة من الشيخ عبد الرَّحمٰن السبسبى الحموى والشيخ طاهر الكيالى الحمصى، والإجازة بالطريقة القادريّة من الشيخ الطيب الدمشقى والشيخ الزاهد عمر بن على البَلْبِليتى، والخلافة من الشيخ أحمد البدوى السودانى المُكاشفى والشيخ أحمد العِربينى والشيخ المُعمَّر على مرتضى الدِّيروي الباكستانى، وأخذ الطريقة الشاذلية من الشيخ أحمد البصير، والنقشبندية من الشيخ عبد الغفور العباسى المدنى النقشبندى والخلافة فيها من الشيخ المُعمَّر على مرتضى الديروى الباكستانى رحمهم الله تعالى، كما أخذ الخلافة بالطريقة الچشتية والسهروردية من الأخير.

- **دخوله بيروت**:

دخل أول مرة بيروت حوالى سنة **١٣٧٢**هـ - **١٩٥٢**ر فاستضافه كبار مشايخها أمثال الشيخ القاضي محيى الدين العجوز والشيخ المستشار محمد الشريف، واجتمع فى بيته بمفتى عكار الشيخ بهاء الدين الكيلانى وسأل الشيخ فى علم الحديث واستفاد منه. واجتمع أيضًا بالشيخ عبد الوهاب البُوتَارى إمام جامع البسطا الفوقا والشيخ أحمد إسكندرانى إمام ومؤذن جامع برج أبى حيدر، وبالشيخ توفيق الهِبرى رحمه الله وعنده كان يجتمع بأعيان

بيروت وبالشيخ عبد الرَّحمٰن المجذوب واستفادوا منه وبالشيخ مختار العلايلى رحمه الله أمين الفتوى السابق الذى أقرَّ بفضله وسعة علمه وهيَّأ له الإِقامة على كفالة دار الفتوى فى بيروت ليتنقّل بين مساجدها مقيمًا الحلقات العلميّة وذلك بإذن خطّي منه.

وفى سنة **١٣٨٩**هـ - **١٩٦٩**ر وبطلب من مدير الأزهر فى لبنان ءانذاك ألقى محاضرة فى التوحيد فى طلَّاب الأزهر.

**- تصانيفه وءاثاره:**

شغله إصلاح عقائد الناس ومحاربة أهل الإلحاد وقمع فتن أهل البدع والأَهواء عن التفرّغ للتأليف والتصنيف، ورغم ذلك أعدَّ ءاثارًا ومؤلفات قيّمة كثيرة نذكر منها:

## ١- القرءان وعلومه

١- كتاب الدُّرّ النضيد فى أحكام التجويد، طُبع.

## ٢- علم التوحيد

**٢-** نصيحة الطلاب، وهى منظومة رجزية فى الاعتقاد مع ذكر بعض الفوائد العلمية والنصائح تقع فى ستّين بيتًا تقريبًا[١]، خ.

**٣-** الصراط المستقيم، طُبع مرات عديدة.

---

(١) **تنبيه مهم**: في ءاخر حياة شيخنا رضي الله عنه أرسل إلى هرر طالبًا من بعض أحبابه ليحذف بيتين من هذه المنظومة أحدهما مدح تفسير ابن كثير وذكر أن السبب في ذلك أنه اطلع بعد ذلك بمدة على تجسيم في التفسير المذكور.

٤- الدليل القويم على الصّراط المستقيم، طبع.
٥- المطالب الوفية شرح العقيدة النسفيّة، طبع.
٦- إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، طبع.
٧- الشرح القويم فى حل ألفاظ الصراط المستقيم، طبع.
٨- صريح البيان فى الردّ على من خالف القرءان، طبع.
٩- المقالات السُنيّة فى كشف ضلالات أحمد بن تيمية، والكتاب فى أشهر المسائل التى خالف فيها ابن تيمية إجماع الأمة فى أصول الدين وقد طبع مرات عديدة.
١٠- شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله، طبع.
١١- العقيدة المنجية وهى رسالة صغيرة أملاها فى مجلس واحد، طبع.
١٢- التحذير الشرعى الواجب، طبع.
١٣- رسالة فى بطلان دعوى أولية النور المحمدى، طبع.
١٤- رسالة فى الرد على قول البعض إن الرسول يعلم كل شىء يعلمه الله، طبع.
١٥- الغارة الإيمانية فى رد مفاسد التحريرية، طبع.
١٦- الدرة البهية فى حل ألفاظ العقيدة الطحاوية، طبع.
١٧- التعاون على النهى عن المنكر، طبع.
١٨- قواعد مهمة، طبع.
١٩- رسالة التحذير من الفرق الثلاث، طبع.
٢٠- رسالة فى الرد على القاديانية، طبع.
٢١- رسالة فى الرد على سيد سابق، خ.

٢٢- النهج السوى فى الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مولوى، طبع.

## ٣- علم الحديث وتعلقاته

٢٣- شرح ألفية السيوطى فى مصطلح الحديث، خ.

٢٤- التعقُّب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع. ردّ فيه على الألبانى وفنّد أقواله بالأدلة الحديثية الباهرة حتى قال عنه محدّث الديار المغربية الشيخ عبد الله الغمارى رحمه الله: «وهو ردٌّ جيّد متقن».

٢٥- نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع.

٢٦- تعليقات لطيفة على شرح البيقونيّة فى المصطلح، خ.

٢٧- رسالة فى التصحيح والتحسين والتضعيف، خ، وهى رسالة أملاها فى مجلس واحد بيّن فيها حد الحافظ وشروط التصحيح والتضعيف.

٢٨- أسانيد الكتب السبعة فى الحديث الشريف، طبع.

٢٩- أسانيد الكتب الحديثية العشرة، طبع.

٣٠- الأربعون الهررية، وهو أربعون حديثًا من أربعين كتابًا من كتب الحديث مشروحة، خ.

## ٤- الفقه وتعلقاته

٣١- مختصر عبد الله الهررى الكافل بعِلم الدين الضرورى على مذهب الإمام الشافعى رضي الله عنه، طُبع.

٣٢- بغية الطالب لمعرفة العِلم الدينى الواجب، طُبع.

٣٣- شرح ألفيّة الزّبد فى الفقه الشافعى، خ، شرحها بكاملها سوى الخاتمة فى التصوف.

٣٤- شرح متن أبى شجاع فى الفقه الشافعى، خ، وصل فيه إلى ءاخر باب حد القذف.

٣٥- شرح متن العشماويّة فى الفقه المالكى، خ، لم يكمله.

٣٦- شرح التنبيه للإمام الشيرازى فى الفقه الشافعى، لم يكمله.

٣٧- شرح منهج الطلاب للشيخ زكريا الأنصارى فى الفقه الشافعى، لم يكمله.

٣٨- شرح كتاب سُلَّم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق للشيخ عبد الله باعلوى، خ.

٣٩- مختصر عبد الله الهررى الكافل بعِلم الدين الضرورى على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، طبع.

٤٠- مختصر عبد الله الهررى الكافل بعِلم الدين الضرورى على مذهب الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه، طبع.

## ٥- اللغة العربية

٤١- شرح متمّمة الآجرومية فى النحو، لم يكمل، خ.

٤٢- شرح منظومة الصبان فى العروض، خ.

## ٦- السيرة النبوية وتعلقاتها

٤٣- الروائح الزكية فى مولد خير البرية، طبع.

٤٤- مختصر تنبيه الأنام فى بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لعبد الجليل القيروانى، طبع.

٤٥- مختصر الكواكب الدرية فى مدح خير البرية المسماة بالبردة للبوصيرى، طبع.

٤٦- مختصر عنوان الشريف بالمولد الشريف لعلى بن ناصر الحجازى، طبع.

٤٧- مختصر الفتح الرحمانى فى ذكر الصلاة على أشرف الخلائق الإنسانى سيدنا محمد المصطفى العدنانى وعلى ءاله وأصحابه النجباء البررة الكرام، طبع.

٤٨- المولد الشريف، طبع.

وقد كان شرع فى جمع رسالة في:

٤٩- تنزُّه كلام الله عن الحرف والصوت واللغة، خ.

٥٠- جزء فى أحاديث نص الحفاظ على صحتها وحسنها، خ.

لكن أدركته المنيّة رحمة الله عليه قبل إتمامِهِ.

هذا ما كان من مؤلفاته، أما ما أملاه من الدروس والرسائل فى العقائد والفقه والحديث والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك فكثير جدًّا.

- **سيرته وشمائله:**

الشيخ عبد الله الهررى شديد الورع متواضع صاحب عبادة كثير الذّكر، يشتغل بالعلم والذّكر معًا، زاهد طيّب السريرة، شفوق على الفقراء والمساكين، كثير البر

والإحسان، لا تكاد تجد له لحظة إلا وهو يشغلها بقراءة أو ذكر أو تدريس أو وعظ وإرشاد، عارِف بالله، متمسّك بالكتاب والسُّنّة، حاضر الذهن قوى الحجّة ساطع الدليل، حكيم يضع الأمور فى مواضعها، شديد النكير على من خالف الشرع، ذو همّة عالية فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يخاف فى الله لومة لائم حتى هابه أهل البدع والضلال وحسدوه ورموه بالأكاذيب والافتراءات بقصد تنفير الناس منه لكن الله يدافع عن الذين ءامنوا.

- **وفاته:**

اشتد عليه المرض فألزمه البيت بضعة أشهر حتى توفاه الله تعالى فجر يوم الثلاثاء فى الثانى من شهر رمضان سنة **١٤٢٩**هـ الموافق الثانى من شهر أيلول سنة **٢٠٠٨**ر.

وهذا ما كان من خلاصة ترجمته الجليلة، ولو أردنا بسطها لكلَّت الأقلام عنها وضاقت الصُّحف ولكن فيما ذكرناه كفاية يُستدل بها كما يُستدلّ بالعنوان على ما هو فى طيّ الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة

الحمدُ للهِ خَلَقَ الإنسانَ وعَلَّمَهُ البيانَ وأرسَلَ نبيَّهُ ﷺ بالهُدَى والفُرقانِ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على النَّبِيِّ المعلِّم محمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ القُرَشِيِّ الهاشِمِيِّ القَائِلِ فِيْمَا رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وغَيْرُه **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ** اهـ ورَضِيَ اللهُ عَنِ الصَّحابَةِ والآلِ ومَنْ تَبِعَهُم بإحْسَانٍ مَنْ نَقَلُوا إلَيْنَا الدِّيْنَ واجتَهَدُوا فِي نَشْرِهِ بالسِّنَانِ وبالبَيَانِ.

أمَّا بعدُ فإنَّ مِنَ الأمُورِ المهِمَّةِ نَشْرَ عِلم الحالِ بينَ العامَّةِ وتَعليمَهم ما فَرَضَ اللهُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ تَعَلُّمَهُ مِنْ عِلْم الدِّينِ وقَدْ غَفَلَ عَنِ القِيَام بهَذِهِ الفَرِيْضَةِ المؤَكَّدَةِ أَكْثَرُ المنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْم واقْتَصَرُوا على تَفقيهِ طائفةٍ خاصَّةٍ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُ إلَيْهِم وقَدْ لَفَتَتْ هذهِ الثَّغرَةُ نَظَرَ شَيْخِنَا الإمَامِ المحَدِّثِ الفَقِيْهِ الأُصُولِيِّ المتَكَلِّم عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ القُرَشِيِّ العَبْدَرِيِّ الشَّيْبِيِّ المشْهُورِ بالهَرَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى فأقْبَلَ بِكُلِّيَتِهِ يُحاوِلُ سَدَّهَا واجتَهَدَ إلى مَوْتِهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ فِي بَثِّ الفَرْضِ العَيْنِيِّ مِنْ عِلْمِ العَقَائِدِ وفُرُوعِ الفِقْهِ بينَ النَّاسِ صَغِيرِهِم وكَبِيْرِهِم وذَكَرِهِم وأُنْثَاهُم بِلُغَةٍ فَصِيْحَةٍ وَاضِحَةٍ سَهْلَةٍ وبِأُسْلُوبٍ مُشَوِّقٍ لَا يَخْرُجُ معَ ذلكَ إلى تَشْتِيْتِ قَلْبِ

المسْتَمِع عَنِ الموضُوعِ الأسَاسِ ولَا إلى إثْقَالِ ذِهْنِهِ بأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مُختلِفَةٍ، فعَلَ ذلكَ رَحمهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيْلٍ مُمِلٍّ ولَا تقصِيْرٍ مُخِلٍّ ومَعَ تَضْمِينِ هذهِ الدُّرُوسِ مِنَ التَّحقِيقَاتِ التِى تُشَدُّ بُطُونُ الإبِلِ فِى تحصِيلِهَا فكانَتْ دُرُوسُهُ التِى يُلقِيْهَا فِى المساجِدِ المختَلِفَةِ نُزْهَةً للعَيْنِ ومُتْعَةً للأذُنِ ومَنْفَعَةً للقَلْبِ ونَفَعَ اللهُ بها خَلْقًا لا يُحْصَوْن. وهوَ قَد درجَ فِى ذلكَ على عَادَةِ السَّلَفِ والخَلَفِ فقَد كانَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُمَا يُفَقِّهُ النَّاسَ فِى الضَّرُورِيَّاتِ فِى شَهرِ رَمَضَانَ كُلَّ سَنَةٍ عِندَما كانَ وَالِيًا عَلَى البَصْرَةِ. وكانَتِ العَادَةُ فِى مَدِيْنَةِ هَرَرَ بَلَدِ شَيخِنَا رَحِمَهُ اللهُ وحاضِرَةِ العِلْم فِى ذلكَ الوَقْتِ فِى بِلادِ الصُّومَالِ والحَبَشَةِ أنْ يأتِىَ الفَلَّاحُ مِنْ عَمَلِهِ إلى بَيْتِهِ فيَتَنَظَّفَ ويَتطهَّرَ ثم يَقصِدَ المسجِدَ فيَستَمِعَ إلى دُرُوسِ العِلْم فيهِ كُلَّ يوم وكانَ فِى هَرَرَ فِى ذلكَ الوَقْتِ تِسْعَةٌ وتِسعُونَ مَسجِدًا يُدَرِّسُ فِى كُلٍّ مِنها عَالِمٌ بينَ المغرِبِ والعِشَاءِ فلَا يَمْضِى على هذا الفَلَّاحِ سِنُونَ حتَّى يَتَخَرَّجَ عالِمًا مِنَ العُلَمَاءِ اهـ

انطِلاقًا مِمَّا تَقَدَّمَ كُنّا قد جَمَعْنَا فِى الأجزاءِ الأول والثانى والثالث دُرُوسًا كانَ أعْطَاهَا شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللهُ فِى مَسَاجدَ مختلِفَةٍ وفِى أوقَاتٍ مُتَفَرّقَةٍ لِتَكُونَ بِيَدِ المدَرّسِ مَرْجِعًا يُسَهِّلُ لهُ تعلِيمَ العَامَّةِ ويُسَاعِدُهُ فِى التَّثَبُّتِ وزِيَادَةِ التَّأَكُّدِ ولِتَكونَ فِى الوقْتِ عَيْنِهِ دَلِيلًا للأجْيَالِ عَلَى مَنْهَجِ ذلكَ العَالِم المُرْشِدِ. وحَرَصْنَا أنْ نَذْكُرَ فِى بِدَايَةِ كُلِّ دَرْسٍ مَوْضُوعَهُ وكذا مَكَانَ إلقَائِهِ وزَمَانَهُ إنْ عَرَفْنَا وأنْ

نُثْبِتَهُ كَمَا نَقَلَهُ مَنْ سَمِعُوهُ هذا مع العلم بأن هذه الدروس عُرضت على الشيوخ الذين طالت صحبتهم للشيخ الهررىّ رحمه الله فأكدوا أنهم سمعوا منه نحوها. وحَيْثُ إنَّ الأجزاء السابقة راجَا رواجًا واسِعًا وانْتَفَعَ بهما خَلْقٌ كَثِيرون من مُعَلِّمين ومُتَلَقِّين رَأَيْنا جَمْعَ دُرُوسٍ أُخَرَ لِشَيْخِنا المحدِّثِ العَلاّمَةِ عَلَى مِنْوَال الأجزاء السابقة فِى جُزْءٍ جَدِيدٍ حَاوٍ لِدُرَرٍ مِن المَعَارِفِ الَّتِى يُحْتاجُ إلَى مَعْرِفَتِهَا. نَسْأَلُ المَوْلَى تَعَالَى أنْ يَنْفَعَ به كمَا نَفَعَ بما سَبقه والله تعالى المُوَفِّقُ.

إدارةُ الدِّرَاسَاتِ والأبحَاثِ
فِى جمعيةِ المشاريعِ الخيريَّةِ الإسلاميةِ فِى لبنان

**الدرس الأول**



# بيان حديث والذِى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى يوم الاثنين سنة ١٤٠٩ من الهجرة الشريفة فِى ٣ المحرم وهو فِى بيان حديث والذِى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.***

الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين ولا سيما سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الميامين وبعد

فإن رسول الله سيدنا محمدًا ﷺ قال **إن عيسى ابنَ مريم نازل فيكم فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض** أى ليس شديد البياض **يقطرُ رأسُه كأنه به بلل** معناه يلمع رأسه كأنه مبلول بالماء **ينزل فى مُمصَّرَتَينِ عليها لون الصبغ الأصفر** أى ثوبين مصبوغين باللون الأصفر **فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتهلِكُ الملل فى زمانه كلها سوى الإسلام فيمكث حاكما مقسطا أربعين سنة ثم يُتوفَّى ويُصَلِّى عليه**

**المسلمون**[١] اهـ وإنما ينزل لتجديد شريعة محمد، وإنما يفعل ذلك تأكيدًا لبطلان ما افتروا عليه من هذا الدين الذِى هم أنشأوه من عند أنفسهم وذلك لأنه يُظهر الحقيقة ويكشف الكذب الذِى نُسبَ إليه أنه من دينه وليس من دينه، هو ما كان أحلَّ قطُّ الخنزير ولا الأنبياءُ الذين قبله وهذا الصليب لم يكن لمّا كان على وجه الأرض إنما بعدَ رَفْعِهِ إلى السماء افترَوْا فقالوا صُلب المسيح وقُتل وصدَّقَهُم اليهود بما ادَّعَوْهُ فعندما ينزل ينفِى هذا الكذب ويُبطله بِكَسر الصليب وقتل الخنازير. هُوَ قَتْلُ الخنازير فى شرعنا مستحبٌّ سنة ليس واجبًا وقال بعض الفقهاء واجب. أما أنه يتزوج فيولد له لم يثبت حديثٌ عن سيدنا رسول الله ﷺ بإسناد صحيح لكنه قد رُوِىَ، يحتمل أن يكون هذا الحديث معناه صحيحًا ويتحقق وأما مدفنه لما يموت فعند رسول الله ﷺ بالمدينة. كان مكتوبًا فى التوراة الحقيقية الأصلية أن عيسى صفته كذا وكذا وأنه يُدفن عند محمد ﷺ. المهدىُّ يُدركه يجتمعان لكن يُسَلّم الرئاسة للمسيح لأن غير النبىّ لا يرأس النبىّ يُسلم له الرئاسة العامة.

وأخرج البخارىّ ومسلم والحاكم والبيهقىّ عن أبى هريرة عن النبىّ ﷺ **والذِى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل**

---

(١) أخرجه ابن حبان بمعناه، باب ذكر البيان بأن عيسى بن مريم إذا نزل يقاتل الناس على الإسلام، ورواه غيره بغير هذا اللفظ.

**الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها** اهـ وفيه من طريق ءاخر **كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم** ولفظ مسلم نحو ذلك، ولفظ البيهقيّ فى الأسماء والصفات **ينزل عيسى ابن مريم من السماء** وفى هذه الرواية تكذيب للقاديانية الكافرة فى دعواهم أنه لم يرد فى حديث نزول المسيح ذِكرُ لفظ من السماء. وعند أبى داوود والإمام أحمد بإسناد صحيح **ويدعو الناس إلى الإسلام ويضع الجزية** أى أن الله تعالى جعل إقرار الكفار بالجزية(١) مُغَيًّا بنزول المسيح فكان من شرع محمد نسخ الجزية بنزول المسيح.

وعند ابن حبان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قرأ قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾(٢) فقال **نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة**. وأحاديث نزوله مشهورة قريبٌ من التواتر.

وقد أخرج ابن ماجهْ والنسائى عن ابن عباس قال كان عيسى مع اثنى عشر من أصحابه فى بيت فقال إن منكم من يكفر بى بعد أن ءامن ثم قال أيكم يُلقى عليه شبهى ويقتل مكانى فيكون رفيقى فى الجنة فقام شاب أحدثهم سنا فقال أنا، قال اجلس، ثم عاد فقال اجلس ثم عاد الثالثة فقال أنت هو فأُلْقِيَ عليه شبهُه فأُخذ الشاب فصُلب بعد أن رفع عيسى من رَوْزنة فى

(١) أى ترك قتالهم بدفعهم الجزية لا الرضى بكفرهم.
(٢) سورة الزخرف/الآية (٦١).

البيت وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشاب. وهذا إسناده صحيح بخلاف ما قيل أن المقتول كبير اليهود.

ولا صحة لما قيل من أن المسيح عليه السلام تُوُفّى بضع ساعات والآية الكريمة ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[(١)] ليس معناها أنه يُميته ثم يرفعه إلى السماء ليُخلّصَه من اليهود لا، إنما معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك من الأرض وأنت حيٌّ يقظانُ فأقبضك من الأرض ورافعك إلى السماء ومطهرك من الذين كفروا أيْ من اليهود الذين أرادوا قتلَكَ هذا معناه ويصح أن يقال ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أيْ مميتك بعد رفعك وإنزالك إلى الأرض، ابن عباس يقول متوفيك مميتك، لكن على أيِّ معنى فسر ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بمميتك؟ على معنى أنه بعد الرفع والإنزال ليس قبل أن يرفعه يُميته هذا ليس قصدَ ابنِ عباس بل قصد ابن عباس يُميته بعد أن يرفعه ويُنزله، هذا يقال له المُقدَّم والمُؤخَّر، فِى القرءان له وجود وفى لغة العرب أيضا هذا له وجود التقديم والتأخير، يقال متوفيك لفظًا مقدَّمٌ لكن معنى الوفاة تكون بعد الرفع والإنزال. ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾[(٢)] هذا أيضًا من المقدم والمؤخر ضحكت من حيث المعنى مؤخر فبشرناها مقدم من حيث المعنى، بعدما سمعت التبشير من الملائكة كان ضحِكُها من فرحها وتعجبها

---

(١) سورة ءال عمران/ الآية (٥٥).

(٢) سورة هود/ الآية (٧١) والضمير يرجع إلى السيدة سارة زوج سيدنا إبراهيم.

وهكذا ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ من هذا الباب، فإن قيل لماذا جعلتموه من باب المقدم والمؤخر؟ يقال لهم لأن الرسول قال **إن عيسى ابن مريم نازل فيكم فاعرفوه رجل ربعة إلى البياض والحمرة يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يُتوفى ويصلِّي عليه المسلمون**(١) اهـ هذا الحديث الصحيح هو جعلنا نجعل هذه الآية من باب المقدم والمؤخر.

انتهى والله تعالى أعلم.



(١) رواه الحاكم في المستدرك، وقال الذهبيّ في التلخيص صحيح.

**الدرس الثانى**



# شرح حديث من خرج فى طلب العلم وشرح حديث من أسلم على يده رجل دخل الجنة وبيان التحابب



***هذا درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررى رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٨ فى ١٣ جمادى الأولى وهو فى بيان شرح حديث من خرج فى طلب العلم وشرح حديث من أسلم على يده رجل دخل الجنة وبيان التحابب.***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وبعد.

فإنّ فى الحديث أنّ **من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع**[١] اهـ والمعنى أن الذِى يخرج فى طلب العلم فى بلده أو فى غربة ثوابه كثواب

(١) رواه الترمذىّ فِى سننه، باب ما جاء فى فضل طلب العلم.

الخارج للجهاد فى سبيل الله، والجهاد فى سبيل الله درجة عالية من أعلى الدرجات وقد جعل الله للمجاهدين فى سبيله فى الجنة مائة درجة ما بين درجة ودرجة كما بين السماء والأرض، هذا الذِى خرج يطلب علم الدين مثاله كمثال هذا الذِى خرج حاملًا سلاحه لوجه الله ليقاتل أعداء الله وذلك لأن علم الدين سلاح يُدافعُ به المؤمنُ الشيطانَ ويُدافعُ به شياطين الإنس ويُدافع به هواه. هذا من الجهاد. فى حكم الشرع يُعتبر جهادًا كجهاد العدو. العدو الذِى يهاجمك تقاتله بالسلاح وهذا الذِى تدفعون به عن دين الله وتردُّون به الشُّبَه التى توقع الناس فى المهالك على اختلاف أنواعهم من منتسبين إلى الإسلام وهم محرفون له ومن غير المنتسبين إلى الإسلام كالملاحدة الصّرف كلُّ ذلك مكافحتهم جهاد عند الله وثواب الجهاد عند الله عظيم، ثم الذِى يردُّ شخصًا عن عقيدة فاسدة توجب الكفر، مَنْ رد ذلك الشخص عنها وأدخله فى الإسلام يستحق الدخول تحت هذا الحديث وهو **من أسلم على يده رجل دخل الجنة** اهـ هذا الحديث يشمل الذِى يُدخلُ من كان لا ينتمى إلى الإسلام بل إلى دين ءاخر من الأديان والذِى كان يدعى الإسلام ويظن بنفسه أنه مسلم وهو خارج عن الإسلام، الحديث شامل للأمرين وهذا الحديث رواه الحاكم فى أربعينه له كتاب جمع فيه أحاديث أربعين عن النبىّ ﷺ وهذا فضل عظيم لا ينبغِى الاعراض عنه أو التهاون فيه بل يجب العناية به وفقنا الله جميعا

لطاعته وجَنَّبَنَا الضلال والبدع المهلكة ويسرنا لِما يحب ويرضى لا إلٰه إلا هو فعلى هذه النية الفاتحة.

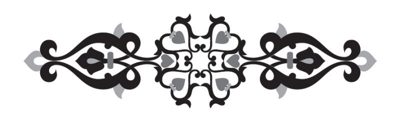
والذِى يتغرب لطلب العلم الدينى فهو من وقت خروجه إلى عودته إلى حيث يقيم فهو كأنه يغزو الكفار يبذل مهجته فى سبيل الله المهجة هى أغلى الأشياء على الشخص فهذا ثوابه كثواب من خرج ليبذل مهجته فى سبيل الله ليراقَ دمُهُ وهو ينصر دين الله.

ثم عليكم بالتحابب فى الله تعالى، الله تبارك وتعالى يجعل للمتحابين فيه منزلة عالية فى الآخرة، الله تبارك وتعالى يُجلسهم يوم القيامة قبل دخول الجنة على منابر من نور يغبطهم النبيُّون والشهداء أى يُعجبون بهم وهؤلاءِ الرسولُ ﷺ وصفهم وقال إنهم من نوازع القبائل أىْ من قبائلَ شتَّى ليس المال جمعهم على المحبة ولا القرابة إنما جمعهم على المحبة الحبُّ فى الله، ومن شأنِ هؤلاء الوصفُ الذِى وصفهم به رسول الله ﷺ قال تصافَوُا المحبة تصافَوُا الحب فيما بينهم أى يتحابون محبة صافية فى مرضاة الله ليس لغرض دنيوىّ ولا لنسب إنما تحابُّهم لوجه الله تعالى، فإذا اثنان من المسلمين تحابَّا فى الله يوم القيامة يُظلُّهُم الله فى ظل عرشه، يوم القيامة لا يكون ظلٌّ إلا ظل الله ومعنى ظل الله ظل العرش، العرش يكون له ظل يُظِلُّ الله به بعض عباده المؤمنين ومنهم المتحابان فى الله. قال رسول الله ﷺ فى تعداد الذين يُظلهم الله يوم القيامة فى ظله ورجلان تحابَّا فى الله يقول أحدهما

للآخر إنى أحبك فى الله هؤلاء لا يتغاشُّون لا يغش بعضهم بعضًا إذا رأى أحدهم أخاه على باطل لا يُزيّنُ له هذا الباطل الذِى هو عليه بل ينصحه أما الّذين يتحابون فيداهنون بعضهم بعضًا أى يتطاوعون على الباطل هذا يسكت لهذا وهذا يسكت له على الباطل هؤلاء صداقتهم يوم القيامة تصير ندامةً يقول كلٌّ منهما يا ليتنِى لم أصادق هذا الإنسان، قال الله تعالى فى سورة الزخرف ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

الله يجعلنا من المخلصين المتحابين فيه المتعاونين على الخير والمتناهين عن المحرمات.

انتهى والله تعالى أعلم.



(١) سورة الزخرف/الآية (٦٧).

**الدرس الثالث**



# بيان السنة الحسنة والبدعة القبيحة



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان السنة الحسنة والبدعة القبيحة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد وعلى جميع إخوانه النبيين والمرسلين.

وبعدُ فقد روينا فى صحيح مسلم من حديث جرير ابن عبد الله البجليّ رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **من سنَّ فى الإسلام سُنَّةً حسنةً فلَهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها بَعْدَهُ مِنْ غيرِ أنْ ينْقُصَ من أجورِهم شىء ومَنْ سنَّ فى الإسلامِ سُنَّةً سيّئَةً كان عليهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عمِلَ بها مِنْ بعدِهِ منْ غيرِ أن ينْقُصَ مِنْ أوزارِهم شىء**[1] اهـ هذا الحديثُ أصلٌ فى إثباتِ البدعةِ الحسنةِ

(١) رواهُ مسلمٌ فِى صحيحِه بابُ الْحَثّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ.

المسماةِ بالبدعةِ المستحبةِ أيضًا لأن قولَه ﷺ [سنةً حسنةً] فى مُقابلِ السُّنةِ السيئةِ لفظٌ عامٌ يشملُ كلَّ ما استُحدِثَ على وِفاقِ الكتابِ والسنةِ، كلُّ عمَلٍ استحدَثَهُ أهلُ العلمِ على وِفاقِ الكتابِ والسنةِ أى ليس على خلافِهما فهو داخلٌ فى قوله عليه الصلاة والسلام **من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها**، وإن كان سببُ هذا الحديث أن اناسًا مُجْتَابِى النِّمارِ أىْ من شدة البؤس والفقر خرقوا أوساط نِمارهم(١) فأدخلوها عليهم فأدنَوْا جوانبها على أبدانهم لستر العورة ما كانوا يجدون قميصًا ولا إزارًا، الإزار هو ما يربط على النصف الأسفل هذا يسمى فى لغة العرب الإزار، ما وجدوا الإزار من شدة الفقر والبؤس إلا ثوبًا واحدًا عريضًا طويلًا كانوا خرقوا وسطه ليستروا العورة فلما رأى رسول الله ﷺ هذه الحالةَ حالةَ البؤس التى بهم تغيَّر وجهه حزنًا عليهم فحث على أن يُتصدق عليهم فجُمع لهم شىء لتفريج كُربتهم واخراجهم من البؤس الذِى هم فيه، هؤلاء لم يكونوا من أهل المدينة بل جاؤوا رغبة فِى الاجتماع برسول الله ﷺ فلما جُمع لهم شىء يقضون به حوائجَهُم فرح رسول الله ﷺ بدا الفرحُ على وجهه فعندئذٍ قال **مَنْ سَنَّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرُها وأجرُ مَن عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئًا**. هذا الحديثُ ورد على هذا السبب لكن معناهُ عام، علماءُ الأصول قالوا إذا كان النص ورد

---

(١) النِّمار جمع نَمِرَة وهى شملة فيها بياض وثواب.

على سبب وكان اللفظ عامًّا فيُعتبر العموم لا يُعتبر خصوص السبب. هؤلاء الذين يُعادون البدعة الحسنة التى ليست مما يوافق أهواءهم يقولون هذا الحديث ورد فى مثل هذه الصدقة ليس عامًّا وهذا مردود للقاعدة الأصولية العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا يُبالِى المؤمن إذا وجد أمرًا استحسنه العلماء الماضون الثقات الأتقياء، كلُّ ما استحدثه أولئك العلماء الأتقياء فهو داخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام **من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها**، ليس الحديث خاصًّا بالصدقة فى مثل تلك الحالة التِى هِىَ سبب ورود الحديث ومن ادّعَى التخصيص فقد خالف علماء الأصول.

ثم شاهدُ الحال يَقْضِى بذلك وذلك أن القرءان الكريم لما كتبه كُتَّابُ الوحْىِ من لفظ الرسول ﷺ ما كان منقوطًا ما كانت الباء لها نقطة والتاء لم تكن منقوطة، هذا النَّقط متى حصل؟ النَّقْطُ حصلَ بعد وفاة رسول الله ﷺ بزمان، مَنْ هو أول من نقط المصاحف وضع للباء نقطة وللتاء نقطتين ونحو ذلك؟ هو يحيى ابن يعمُر كما ورد فِى كتاب المصاحف لابن أبى داود، هذا من ثقات التابعين ليس من أصحاب رسول الله ﷺ هو من ثقات التابعين من أجلاء التابعين هو أول من نقط المصاحف، هذا أيضًا يدخل تحت قول الرسول ﷺ **من سن فى الإسلام سنة حسنة**. الصحابةُ ما قالوا له أنت كيف تعمل شيئًا لم يفعله رسول الله، ما قالوا له الرسول ﷺ لم يقل ضعوا نقطة

للباء وللتاء وغير ذلك، ما اعترضه أصحاب رسول الله ما عارضوه ما قالوا له بئس العمل ما عملت بل استحسنوه وذلك لأن فيه نفعًا كبيرًا. والتعْشير وهو وضع علامة على كل عشر ءايات أُحْدِثَ بعدما أحدث يحيى بن يعمر النقط. أما أصحاب رسول الله الذين اقتصروا على كتابة المصحف مجردًا من النقط والحركات والتعشير، كان نظرهم إلى تَرْك التنقيط لأنَّ القرءان أنزل على سبعة أحرف، الكلمة الواحدة أحيانًا تُقرأ عند بعض القراء بالتاء وعند الآخرين بالياء فالمصحف لما كُتب بدون تنقيط صار صالحًا لهذه القراءة ولهذه القراءة لهذا الصحابة سكتوا على تجريد المصحف من النُّقط. لهذه الحكمة أى حتى يكون المصحف موافقًا لهذه القراءة ولهذه القراءة كتبوه بلا نقط. ثم لما كان النَّقْطُ أيضًا فيه مصلحة كبيرة ولا سيما على غير العرب لأن غيرَ العرب ليست سهولة النُّطق للمصحف عليهم كسهولة النطق به عند العربِ الفصحاء الذين كانوا فى زمن نزول الوحيِ والتنزيلِ وشهدوا الوحيَ والتنزيل لم يعترضوا على ذلك.

هذا التابعيُّ الجليل أولُ من نقَّطَ المصاحف فهذا العمل الذِى عمله هذا التابعى هو من السُّنَة الحسنة وتسمى بدعة حسنة وتسمى بدعة مستحبة. الذِى يقول البدعة الضلالة المحرّمة كل ما لم يفعله رسول الله ﷺ فليبدأ بإزالة النُقط من المصاحف قبل أن يتكلم على البدع الحسنة التى استحدثها علماء الإسلام فليبدأ بكشط النقط من المصاحف إن كانت عنده هذه القاعدة

صحيحة كل ما لم يفعله رسول الله ﷺ فهو بدعة ضلالة، إن كانت هذه القاعدة عنده صحيحة فليبدأ بالمصاحف.

ثم من المتفق عليه عند علماء الحديث عند علماء المصطلح أمرٌ استحدثوه لم يَسبق ذلك عن أصحاب رسول الله نصًّا ولا عن رسول الله ﷺ إنما هم استحدثوه استحبُّوه كما هو مذكورٌ فى عدة كتب من كتب المصطلح كتابِ تدريب الراوى للسيوطىّ وكتابِ مقدمة علوم الحديث للحافظ أبِى عمرو بن الصلاح وغيرهما. وهذا الأمر الذِى استحدثه علماء الحديث وقالوا عنه إنه يستحب هو عقد مجلس الإملاء إملاء الحديث استحبوا أن يكون هذا المجلس على هذا الشكل يُبدأ بالبسملة والحمدلة قالوا يستحب أن يبدأ بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبىّ وقراءة شىء من القرءان ثم يقول المبلغ عن المحدث، كان من عاداتهم أنَّ المحدث يتلو الحديث وءاخر يُبلغ عنه لأنه كان فى تلك العصور مجلس الحديث يَكثر حاضروه كان يحضر ءالافٌ مجلسَ الحديث فلذلك المحدث كان يحتاج إلى أن يَنْصِب مُبلّغا فهذا المبلغ يقول بعد تقديم البسملة والحمدلة والصلاة على النبىّ وقراءة شَىْءٍ من القرءان بعد هذه الأمور الأربعة يقول من ذَكَرْتَ رحمك الله هذا الخطاب للمحدث، المُسْتَمْلِى يُخاطب المحدِّث بهذا الكلام يقول له من ذَكَرْتَ رحمك الله أو ما ذكرت رحمك الله فيبدأ المحدّث بالتحديث يقول حدثنا فلان قال حدثنا فلان إلى أن ينتهِىَ إلى رسول الله ﷺ فيذكر

لفظ الحديث. هذا الذِى ذكره علماء الحديث فى كتب المصطلح جعلوه ترجمةً مستقلةً، هذا من جملة البدع المستحبة لأن الرسول ما قال هذا ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا أبو هريرة ولا عبد الله بن عباس ولا عبد الله بن مسعود ولا أبو سعيد الخدْرِىُّ ولا غيرُهم من أصحاب رسول الله الذين كانوا يحدّثون الذين أخذوا الكثير من الحديث عن رسول الله ما عملوا هذا الشىء إنما أحدهم كان يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا أو قال رسول الله ﷺ كذا وكذا من دون تقديم هذه الأشياء التى استحبها واستحدثها علماء الحديث فهؤلاء المُشَوّشِون ماذا يقولون عن هذا؟ هم يَدَّعُون أنهم من أهل الحديث وأهلُ الحديث هم الذين ابتدعوا هذه البدعة الحسنة ماذا يقولون؟ العجب من أمور هؤلاء، أشياء يرتكبونها وهى بدع قبيحة ولا يشعرون بأنهم ارتكبوا بدعة قبيحة. أنا أعرف أحد رؤوسهم يكتب فى مؤلفاته عند ذِكر اسم النبىّ صادًا (ص) مجردة بدل أن يكتب ﷺ يكتب صادًا مجردة هذا الرجل نفسُه هو الذِى قال عن الصلاة على النبىّ ﷺ على المئذنة جهرًا بصوت الأذان إنها بدعة محرمة، هذا الرجل هو ناصر الدين الألبانىّ، حتّى قال بعض جماعته هذا حرام هذا مثلُ الذِى ينكح أُمّه!! كيف شبَّه هذا بالزنى بالأم لولا فسادُ قلبه لم يتجرأ على هذا. الصلاة على النبىّ بعد الأذان سُنَّة شرعية إن كانت جهرًا وإن كانت بالإسْرار، سُنَّةٌ شرعيةٌ لأن الرسول قال **من ذكرنِى**

**فليصلّ عليَّ**[١] اهـ هذا المؤذن أليس ذكره لما قال أشهد أنّ محمدًا رسول الله أليس ذكر النبىّ إذًا مطلوب منه أن يُصَلِّيَ على النبىّ ﷺ عملًا بالحديث، ثم الرسول ما قال فليصلّ عليَّ سرًا ولا يصلّى عليَّ جهرًا من أين لهم تحريم الصلاة على النبىّ عقب الأذان من المؤذن جهرًا، من أين لهم. وأخبث من ذلك تشبيه الذِى شبه هذه البدعة الحسنة بنكاح الأم، هؤلاء دعاة إلى شريعة الله؟ هؤلاء محرفون لشريعة الله، فى الحقيقة محرفون لشريعة الله ليسوا دعاة إلى شريعة الله وليسوا سلفيين بل هم عكس السلف لكن ليخدعوا الناس يقولون نحن سلفيون. ثم الذِى يصلِّى على النبىّ ﷺ عقب الأذان على المئذنة جهرًا بصوت الأذان هو مخير شرعًا بين أن يصلىَ جهرًا وبين أن يصلىَ سرًّا والرسول لم يقل من ذكرنِى فليصلّ عليَّ سرًّا من أين أتَوْا باشتراط الإسرار، من أين لهم اشتراط الاسرار فِى الصلاة على النبىّ ﷺ.

إن كانوا يدَّعون أن كلَّ ما لم يفعلْهُ رسولُ الله بدعةَ ضلالة فليبدأوا بكشطِ النُقَط من المصاحفِ قبل أن يتكلموا على الصلاةِ على النبىّ جهرًا بصوتِ الأذان على المئذنةِ وقبلَ أن يُنكروا عمَل المولدِ فى شهر ربيعٍ الأول الذِى استحدثَهُ عالمٌ فاضلٌ ملكٌ مجاهدٌ تقىٌّ ثمَّ وافقه علماء الحديث على فِعْلِهِ هذا، ملكٌ يُقالُ له الملكُ المظفر أبو سعيد كُوكبرِى ابن زين الدين علىّ

(١) رواه أبو يعلى فِى مسنده عَنْ بُرَيْد بنِ أَبِى مَرْيَمَ عَنْ أَنَس بنِ مالك.

ابن بُكْتكين كان هو ملك إربل، الله تبارك وتعالى أَلهَمَهُ فى شهر ربيع الأول عمِلَ مأدُبَة طويلة ذبح فيه ذبائح ءالافًا من الأغنام وأحضر منَ الحَلْوِيات وجمع العلماء والفقهاء والزهاد الصوفيين وجَمَعَ الوُجهاء فِى ناحيته فعمل هذا المولد إظهارًا للفرح بوجودِ رسولِ الله ﷺ وبروزه إلى الدنيا فِى مثل ذلك الوقت إظهارًا لشكر الله تبارك وتعالى على هذه النِّعْمَةِ العُظمى بروز سيدنا محمد فِى مثل ذلك الوقت فاستحسنه علماءُ الحديث حتى إنّ منهم حافظًا من حفاظ الحديث يقال له ابن دِحية من المغرب كان قصْدُهُ أن يزور البلاد الشرقية خرج من المغرب ثم صادف هذا الوقت الذِى كان عمل فيه هذا الملك المظفر المولدَ لأول مرة لم يفعل هذا الفعل قبله أحدٌ وكان ذلك فى أواخر المِائَةِ السادسة، هذا الحافظ المحدث ابن دحية عمل له كتابًا فِى المولد سماه التنوير فى مولد البشير النذير. كلُّ العلماء الذين كانوا فِى ذلك الوقت من محدثين حفاظ الحديث وفقهاء وصوفيين كلُّهم رضُوا بهذا العمل ما اعتبروه شيئًا من بدع الضلالة. ثم لو كان هؤلاء المشوِّشُون سَلِمُوا من كل ما استحدث بعد رسول الله ﷺ لقال القائل هؤلاء يحاربون كلَّ ما استُحدث بعد رسول الله ﷺ لكنهم متلبسونَ ببدعٍ قبيحةٍ مثل كتابة صلعم عند ذكر اسم النبىّ ﷺ.

وقد بيّن الحافظ السخاويُّ في القول البديع أن الصلاة على رسول الله ﷺ استحدثت أيام السلطان الناصر صلاح الدين أبِى المظفر يوسف بن أيوب

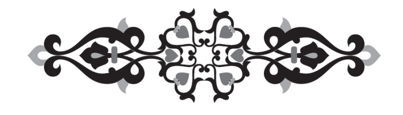
وخلص إلى القول والصواب إنه بدعة حسنة يؤجر فاعله بحسن نيته اهـ

وقال الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى ومن أحسن ما ابتُدِعَ فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقة والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مُشعر بمحبته ﷺ وتعظيمه وجلالته فى قلبِ فاعلِ ذلك وشُكْرِ الله تعالى على ما منَّ به من إيجاد رسوله الذِى أرسله رحمة للعالمين ﷺ اهـ

وأما الملك المظفر أبو سعيد كُوكبرى بن زين الدين عَلِيّ بن بكتكين فترجمه فى البداية والنهاية في التاريخ فقال أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد له ءاثار حسنة وقد عمّرَ الجامع المظفرِيَّ بسفح قاسيون وكان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول ويحتفل به احتفالًا هائلًا وكان مع ذلك شهمًا شجاعًا فاتكًا بطلًا عاقلًا عالمًا عادلًا رحمه الله وأكرم مثواه، وقد صنف الشيخ أبو الخطاب بن دِحْية له مجلدًا فِى المولد النبوىّ سماه التنوير فى مولد البشير النذير فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته فِى المُلْك فِى زمان الدولة الصلاحية وقد كان محاصرًا عكا، محمودَ السيرة والسريرة، قال السِّبْطُ حَكَى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد كان يمد فى ذلك السماط خمسة ءآلاف رأسٍ مشوىٍّ، وعشرة ءالاف دجاجة ومائة ألف زُبْدية وثلاثين ألف صحن حَلْوى،

قال وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعًا من الظهر إلى الفجر، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أيِّ جهة على أيِّ صفة وكانت صدقاتُهُ فِى جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما، قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب(١) كان قَميصُهُ لا يساوِى خمسة دراهم فَعَاتَبَتْهُ بذلك فقال لُبْسِى ثوبًا بخمسة وأتصدق بالباقِى خير من أن ألبس ثوبًا مثمنًا وأدع الفقير المسكين، وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثَلاثَمائةِ أَلفِ دينارٍ وعلى دار الضيافة فِى كلّ سنة مائَةَ ألفِ دينار وعلى الحرمين والمياه بدرب الحجاز ثَلاثينَ ألفَ دينار سوى صدقات السر، رحمه الله تعالى وكانت وفاته بقلعة إربل اهـ

انتهى والله تعالى أعلم.



(١) هى أُخت السلطان صلاح الدين الأيوبيّ رحمه الله.

**الدرس الرابع**



# بيان الإيمان بالقضاء والقدر



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان الإيمان بالقضاء والقدر قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمدُ لله ربّ العالمين لهُ النّعمةُ ولهُ الفَضلُ ولهُ الثّناءُ الحسن صَلواتُ الله البرّ الرَّحيم والملائكةِ المقرّبين على سيّدنا محمَّدٍ أشرف المرسلينَ وخَاتم النّبيّين وعلى جميع إخوانِه الأنبياء والمرسلينَ

أما بعد فإن من أصول عقائد أهل السنة والجماعة ما ذكره الإمام أبو جعفر الطحاوىُّ فِى عقيدته المشهورة من قوله (وكلُّ شىءٍ يَجرِى بمشيئةِ الله تعالى) أى يوجَد، معناه وجودُ كلّ شىءٍ منَ العالم من الأعيانِ والحركات والسّكون وسائرِ الأعمال القلبِية والبَدنيّة بمشيئة الله، لا يوجَد شىء من ذلكَ إلّا بمشيئة الله، المشيئةُ هىَ التّخصيص أى أنّ اللهَ يخَصّص الشىءَ الذِى يجوزُ عليه العدمُ والوجود بالوجودِ بعدَ أن كانَ معدومًا ثم بإعدامِه بعدَ أن أوجدَه، هذا الحكم لا يخرجُ منه الحركات

والسّكناتُ ليس مقتصِرًا على الأعيان أيِ الأجرام والأجسَام بل حركاتُ العباد وسكونُهم داخلٌ فِى ذلك لا يتَحرّك متحرّكٌ ولا يَسكُن ساكن إلاّ بمشيئة الله تعالى، وسواءٌ فى ذلكَ ما كان محبُوبًا لله مأمورًا به مِن قِبَلِه وما كان مكروهًا لله تعالى منهيًّا عنه. المأموراتُ والمنهيّاتُ كلٌّ بمشيئة الله تعالى يوجد، كما أن ذواتِ العباد لا توجدُ إلا بمشيئة الله كذلكَ أعمالهم التى أُمِروا بها أو نُهُوا عنها إذا وجدَت منهم فوجُودُها بمشيئة الله أيِ اللهُ خصّصَها بالوجود بدَلَ العَدَم.

لا يحصُل شىءٌ منَ الأجرام والأعمال إلاّ بمشيئةِ الله تعالى.

ثم قال أبو جعفر الطحاويُّ (وقَضائِه) أىْ أنّ كلَّ شىء وجودُه بقضاءِ الله.

القضاءُ معناه الخَلقُ أى أنّ الله يَخلُقُ كلّ ما يجرى فى العالَم من أعيانِ الأشياء، وحركاتِ العبادِ وسكونِهم. وهذا عامٌّ يَشمَل الخواطرَ التِى تَخطُر فى القَلبِ، والقلُوبُ أسرَع تقلّبا منَ القِدْر التى تَسْتجمع غلَيانًا، القِدْرُ إذا وُضِعَت على النّار فغَلَت فما أسرَع تقلُّبِ ما فيها، والقلبُ أسرَع تقلّبًا مِن هذا، هذه التقلّبات اللهُ خصّصها بالوجودِ فلولا مشيئتُه وقضاؤه أى خَلْقُه لها ما وجِدت.

والدّليل على أنَّ الله خالقُ كلّ شىء قولُه تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[1] أى لا أحَدَ يخلُق شيئًا إلا اللهُ،

(١) سورة فاطر/الآية (٣).

ومعنى الشىْءِ ما دخَل فى الوجود.

هذا دليلُنا منَ القرءان ولنا أدلّةٌ أخرى منَ القرءان كقوله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾[١] أخبرنا فى هذه الآية بأنّه هو الذِى يخلق تقَلُّبَات القلبِ وتقلّباتِ البصَر، إن لَمَحْنا لَمحَةً فالله هو خالقُها وإن طَرَفْنا طَرفةً فالله هو خالقُ هذه الطَّرْفَة لَسنا نحنُ خالقِيها.

وهناك أدلة حديثيّةٌ كقوله ﷺ **إنّ قلُوبَ بَنى ءادم بينَ إصبَعين مِن أصابع الرَّحمٰن** رواه أحمد[٢] والنسائى[٣] أىْ إنها تحتَ قبضَةِ الله وتصَرّفِه فإنْ شاءَ أقامَها وإن شاءَ أزاغَها هذا معنى الحديث، وهناك رواية لهذا الحديث صحيحة **كقلبٍ واحدٍ** رواه مسلم[٤] والنَّسائىُّ أى عندَه هذه القلوبُ كلُّها كقلبٍ واحِد معناه لا يَصعُب عليه أن يتصَرّف فيها إن شاءَ أزاغَها على حسَب ما سبَق فى علمِه الأزلى وإن شاءَ فى الأزل وعلِمَ أن تكونَ مستَقيمَةً يُقيمُها.

ثم قد قال رسول الله ﷺ **اللهم مُصرّف القلوب صَرّف قلوبَنا على طاعَتِك** رواه مسلم[٥] والبيهقىّ[٦] وغيرهما. هذا مِن كمالِ التّسليم لله تعالى، اللهم

---

(١) سورة الأنعام/الآية (١١٠).

(٢) فيما رواه عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما.

(٣) باب قوله ولتصنع على عينِى.

(٤) باب تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ.

(٥) باب تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ.

(٦) باب قول الله عز وجل ﴿مَّا كَانُوٓاْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

مصرّفَ القلوبِ أى مُقَلّبها كيفَ يشَاء صَرّف قلوبَنا على طاعتك، هذا الحديث أيضًا دليلٌ على أنّه لا يَخلُق أحَدٌ سوى الله شيئًا منَ الأعمال، لو كان يَخلُق شيئًا مِن أعمالِه لخَلَق تصَرّفاتِ قَلبِه. قال رسول الله ﷺ **إنّ قلُوبَ بَنى ءادم بينَ إصبَعين مِن أصابع الرَّحمٰن إن شاءَ أقامَها وإنْ شاءَ أزاغَها**، ثم قال، **اللّهم مصَرّفَ القلوبِ صَرّف قلوبَنا على طاعتِك** اهـ

قال شارح العقيدة الطحاوية اعلم أنّ القضاءَ يُذكَر ويُرادُ بهِ الحكمُ يُقالُ قُضِىَ على فلان بكذا أى حُكِم عليه بهِ ويُذكَر ويُرادُ به الأمرُ قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1] أى أمَر رَبّك وحَتّمَ وألزَم أن تَعبدُوه ولا تُشركُوا به شيئًا. هذا معنى وقَضَى ربُّك أن لا تعبُدوا إلّا إيّاه، حَكَم أى أمَر بأن لا تَعبُدوا إلا إيّاه، ليس معناه اللهُ ما شاء أن يوجَد فى خَلقه إشراكٌ أى عبادةُ غيرِه. الأمرُ غيرُ المشيئة والدّليلُ على ذلكَ أنّ اللهَ أمرَ إبراهيمَ بالوحى المنَامِى لأن منامَ الأنبياء حقٌّ ووَحْىٌ مِن الله أن يَذبَح ابنَه إسماعيلَ لكن ما شاءَ أن يُذبح إسماعيل، أمرَ اللهُ إبراهيمَ بأن يَذبَح ابنَه لكن ما شاءَ بأن يُذبَح إسماعيل بل فُدِىَ إسماعيلُ بذِبْحٍ عظيم أى بكَبْشٍ جاء به جبريلُ، هذا دليلٌ على أنّ الأمرَ ليس هو المشيئة.

اللهُ تعالى غالِبٌ غيرُ مَغلُوب لذلكَ سمَّى نفسَه العزيز، معنى العزيز الغالبُ غيرُ المغلوب.

انتهى والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الأنعام / الآية (٢٣).

**الدرس الخامس**



## بيان الصبر على البلاء



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان الصبر على البلاء قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

وبعد فإنّ الرسول علّمنا الأدب الحسن فقال إذا نظر أحدكم إلى من هو أفضل منه فى الخلق والمال فلينظر إلى من هو أسفل منه اهـ إذا وجد رجلًا فأعجبته صحته ونشاطه الجسمانىُّ وهو أقل من ذلك فليقُلْ أنا ينبغِى أن أحمد الله على القدرِ الذِى أعطانى من الصحة، وكذلك إذا نظر إلى أهل الغنى فليقل أحمدُ الله على ما رزقنِى وليكف نفسه عن شغل قلبه بأن يكون مثل أولئك. وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخارىّ[1]

(١) باب مَا جَاءَ فِى كَفَّارَةِ الْمَرَضِ.

**من يرد الله به خيرًا يصب منه** اهـ أىْ يبتليه بالمصائب ولنا أسوةٌ حسنةٌ فِى أن ننظر إلى تواريخ الأنبياء فإن كلا منهم فى الدنيا أصيبوا بالبلاء الكبير فمنهم من كان ابتلى بالمرض الشديد مع طول المدة ومنهم من كان بلاؤه شدةَ الفقر ومنهم من كان بلاؤه بشدة أذى الناس له، وقد ذكر الله تعالى فِى القرءان أن بَنِى إسرائيل الكفارَ منهم قتلوا أنبياء وليس هذا لِهوانهم على الله بل هم عند الله كرماءُ لكنْ فى هذا البلاء لهم زيادةُ رِفعة عند الله.

هذا أيوب عليه السلام بلاؤه كان مرضًا لازمه ثمانية عشر عامًا وكان أيضًا أُصيب ببلاء فى ماله وفى أولاده، بعد أن كان له مال كثير وغنًى طويل عريض ذهب مالُه كله ومات أولاده كلهم ثم عافاه الله تعالى ورد عليه صحته كما كان قبل ثمانية عشر عامًا، رأى رجلين يقول أحدهما للآخر قولًا كفريًّا أتظن أن أيوبًا ابتلاه الله بهذا البلاء الطويل من ذنب عظيم أذنبه ما بلغه أحدٌ مِن خلقِ الله فانكسر خاطره ودعا ربه عندئذ أن يكشف عنه الضرَّ الذِى أصابه، كانت زوجته تمسك بيده إلى محل قضاء الحاجة ولم يبقَ معه من يعطف عليه إلّا هذه أمّا من سواها فقد جفاه القريب والبعيد أقرباؤه والبعداء كلهم جفوه ثم دعا الله تعالى، الله تعالى أوحى إليه اغتسلْ بهذا الماء واشرب منه بعينٍ أنبعه الله له فشرب منه واغتسل فرد الله عليه صحته فلما رأته زوجتُه ما عرفته قالت له هل رأيت نبيّ الله المبتلى وقد كان أشبه الناس بك حين كان صحيحًا فقال لها أنا هو، وكان قد بلغ به البؤس إلى أن زوجته

ذات يوم ما وجدت ما تطعمه فلجأت إلى أن باعَتْ نصف شعر رأسها وكان شعر رأسها جميلًا بثمن من بعض بنات الملوك فأحضرت له طعاما فسألها من أين هذا؟ فقالت قصتِي كذا وكذا فغضب وحلف ليضربنَّها مائةَ ضربة، فبعد هذا الضيق كلّه عافاه الله، ردَّ عليه صحته ورَزَقَهُ رزقًا كثيرًا ورزقه من الأولاد أربعًا وعشرين، بعد ذلك رجعت امرأته هذه وتسمَّى رحمة إلى حال الشباب رجعت إلى شبيبتها، ثم هو وفَّى يمينه بأمر أوحاه الله إليه، الله تعالى أوحى إليه خذ بيدك ضِغْثًا أى أغصانًا من النبات مجموعة هى مائة غصن أو مائة قطعة من النبات من نبات الأرض فاضرب به فإذا فعلت ذلك لا تكون كسرت يمينك، فالله تبارك وتعالى جعل لزوجته هذا المخرج.

ثم نبيُّ الله يحيى عليه السلام الذِى هو ابن خالة عيسى كان فِى زمانه ملك غلبته نفسه الخبيثة فقتله لأجل تنفيذ رغبة امرأة كانت شرطت عليه أن لا تزوجه بنتها إلا أن يقتل يحيى لأن يحيى قال له لا يجوز لك أن تتزوج هذه البنت، حرام عليك لأنها لا تحل له شرعًا فى شريعة الله، كانت هذه البنت ربيبتَه، هذه المرأة شرطت على ذلك الملك حتى تُزَوّجَهُ بنتَها أن يقتل يحيى قالت له إن قتلتَ يحيى الذِى منعك من زواج البنت تتزوجها فقتل يحيى، قتله فوضع رأسه فى طستٍ أىْ وعاء ونزل شىء من دمه على الأرض وجعل هذا الدم يفور لا يهدأ من الفوران الغليان، ثم تسلط عليه وجماعته ملك ءَاخَرُ جبارٌ فأبادهم فقتل منهم سبعين ألفًا

فهدأ دمه، لمَّا قُتل من أولئك سبعون ألفا هدأ الدم.

كذلك أبوه زكريا نبيٌّ الله قتله الكفارُ، هو كان ربَّى مريم، تَرَبَّتْ تحت إشرافه وكفالته فلما رزق الله تعالى مريم ابنَها المسيح حملت به قال الكفار له أنت زَنَيْتَ بها فر منهم من شدة الأذى فانفلقت له شجرة كبيرة فدخل فيها حتى يختفِيَ منهم وكان يظهر من الشجرة شيء من ثوبه، الشجرة التأمَتْ لكن هذا القَدْر بَقِيَ من ثوبه إلى الخارج فجاء إبليس فقال للناس الذين أرادوا أن يلحقوه قال لهم هو دخل فى هذه الشجرة اقطعوها فنشروها بالمنشار، انقطع نصفين زكريا عليه السلام والد يحْيى.

هكذا جرى لكل نبيٍّ بلاء عظيم فى الدنيا. والأنبياء الذين قبل هؤلاء الذين ذكرناهم ابتلوا ببلاء كبير فى الدنيا وهم عند الله أفضل من الملائكة، هم أفضل خلق الله عند الله درجة ومع ذلك فى الدنيا كان حظهم من البلاء أكثر. كذلك بعد الأنبياء الأولياء أكثر الناس بلاءً لكن أنواع البلاء يختلف، منهم من يُبتلى بشدة الفقر ومنهم من يُبتلى بكثرة الأمراض والأوجاع ومنهم من يُبتلى بكثرة أذى الناس له، ثم بعد الأنبياء والأولياء يُبتلى الشخص على قدر قوة دينه، على قدر قوة الشخص فى دين الله وتمسكه فى دين الله وعمله بدين الله يَعْظُمُ عليه البلاء فِى الدنيا، المؤمنون بعد الأنبياء والأولياء على حسب دينهم يَقْوَى بلاؤهم.

وقد كان من أولياء الله من ابتُلِيَ بالفالج ثم دعا الله

تعالى أن يعافيه قدر ما يستطيع أن يتطهر ويصلى قائمًا ثم بعد أن ينتهىَ من الصلاة يعود كما كان، يتسلط عليه الفالج. هذا الولىُّ الكبير[١] ممن رأى أصحاب رسول الله ﷺ وهذه كرامةٌ، لأن العادة فى مرض الفالج أنه يلازم صاحبه كل ساعات الليل والنهار لكن الله تعالى أكرمه بأن استجاب له دعاءه لأن يقوم للطهارة والصلاة كأنه ليس به هذا المرض.

وقد كان من دعاء رسول الله ﷺ **ولا تجعلْ مصيبَتنا فى ديننا**[٢] اهـ وذلك لأن المصيبة فِى الدين نقصان فى العبد عند الله تعالى، الإنسان الذِى يُبْتَلى فى دينه يصاب فى دينه هذا ينحطُّ عند الله تعالى، تنحط مرتبته، أما الذِى يصاب فى دنياه ويَسْلَم له دينه فهو يترفَّع ويترقَّى. الواجب على المؤمن أن يصبر على البلاء، ولا يصرفَنَّه البلاء من فقر ومرض وغير ذلك كفقدان أولاد وفقدان من يعِزُّ عليه من أحبابه أقربائه وغيرهم، لا يصرفْهُ ذلك عن التمسك بعبادة الله بل يثبت على طاعة الله يؤدّى الفرائض لا يهملها ويجتنب المعاصِى ولا يرتكبها من أجل أنه أصابته مصيبة اهـ

والله تعالى أعلم وأحكم.



(١) اسمه الربيع بن خيثم.
(٢) رواه الترمذى فِى سننه.

**الدرس السادس**



# بيان الصبر على المصائب



**درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِى سويسرا فى شهر جمادى الآخرة من سنة تسع وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق لشهر كانون الثانى من سنة تسع وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان الصبر على المصائب قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً**

الحمد لله رب العالمين وصلواتُ الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله وأصحابه وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وءال كلّ والصالحين.

أما بعد قال الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧﴾.

فى هذه الآية تبشير المؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفة التى ذكرها الله تعالى، وهىَ أنهم راضون عن الله

تعالى أى لا يتسخطون عليه ولا يتضجرون من قضائه وإن كانت المصائب تُقلقُهم وتَحْزُنُهم وتُؤذيهم فِى أجسادهم، لكن قلوبهم راضيةٌ عن الله تبارك وتعالى.

هؤلاء بشَّرَهُم الله تعالى بأنهم تنالهم صلوات من الله أى رحمات مقرونة بالتعظيم ليس المراد مجرد الرحمة لأن مجرد الرحمة فى الدنيا تشمُل المؤمن والكافر إنما الصلوات هنا معناه الرحمات المقرونات بالتعظيم أيِ الرحمات الخاصة لأنَّ الرحماتِ خاصة وعامة، الرحمات العامة فى الدنيا يشترك فيها المؤمن وغير المؤمن والبر والفاجر.

منَ الرحمات العامة الانتفاع بالهواء العليل والصحةِ والمالِ الوافر وغيرِ ذلك من أنواع النِعَم الدُنيوية، أما الرحماتُ الخاصة لا ينالها إلا المؤمنون الصابرون المُسلِّمون لله تسليمًا.

وأولُ شرطٍ لهذا أىْ فى نيل استحقاق الرحمات الخاصة هو الإيمان بالله ورسوله أىِ الاعتقاد الجازم بوجوده تعالى بلا تشبيه ولا تكييف، وتَرْكُ الاعتراض على كل ما يقضيه على العباد مما يسرهم ومما يسوؤهم، أما الإيمان برسوله فهو التسليم له ﷺ بأن كل ما جاء به حق سواء كان مما يتعلق بأحكام العباد فِى هذه الحياة الدنيا أو كان مما يحدث فيما بعد الموت والبرزخ وفِى الآخرة، كل ذلك يجب تصديقه ﷺ بما جاء به بلا استثناء، هذا هو الإيمان.

وقوله تبارك وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ المعنى أنهم مسلمون غير معترضين على ربهم بل يرجعون إلى الاعتقاد الذِى هم ثابتون ومستمرون عليه وهو اعتقاد التسليم لله تبارك وتعالى، ومعنى الذين قالوا ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ معناه أى عرفوا واعتقدوا وجزموا بأنهم مِلك لله تعالى له أن يفعل بهم ما يشاء ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ أى أنهم مآلهم إلى الجزاء إلى الله تبارك وتعالى.

جزاء المؤمنين على إيمانهم بَدْؤُه فى البرزخ بعد الموت ومعظمه فى الآخرة، الجزاء الذِى يكون فى البرزخ للمؤمنين[1] بما يسُرّهم يبدأ متى ما خرجوا من الدنيا ليس عليهم بعد ذلك ما يسوؤهم بل هم فى حال كحال من كان مسجونًا وكان فى قَحط ثم خرج من السجن وخرج من القَحط والمجاعة إلى الرّخاء والسَّعَة، هذا القبر الذِى تخافه النفوس ليس ما يحدث فيه لكل إنسان على حد سواء بل بعض الناس هذه القبور لهم ألذ عندهم مما كانوا عليه قبل ذلك لو كانوا يسكنون القصور الفاخرة وكان عندهم نعيم كثير واسع، يكفِى فِى ذلك أنهم يرون كل يوم مقعدهم فى الجنة أول النهار مرة وءاخر النهار مرة، هذا يفوق كل لذات الدنيا التى كانوا يُصيبونَها لما كانوا على وجه الأرض، وهناك غير ذلك وهو أنه لا يُسلطُ عليهم فى قبورهم ما يؤذيهم من هَوَامَّ ولا يخافون من وحدة القبر ولا وَحشة الظلمة كل ذلك مرفوعٌ عنهم. وكذلك تُرفع عنهم تلك

(١) أى المؤمنين الكاملين.

المسافةُ أى مسافة القبر، وهناك غير ذلك كتنوير القبر. وأما فى الآخرة فما يكون من النعيم أعظم وأعظم.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ معناه نحن ملك لله تعالى يفعل فينا ما يريد ونحن راضون بما يفعله بنا إن كان مما يلائم النفوس أو كان مما لا يلائم طبائع النفوس لأن النفوس جُبِلت على النفور من أشياء وعلى الميل إلى أشياء، هؤلاء يسلمون لله تسليمًا بما يلائم نفوسهم وفيما لا يلائم نفوسَهمُ مما قضى الله تعالى وقدَّره عليهم.

وفى الحديث الصحيح فِى مراسيل أبى داود فيما يقال فى الصلاة بين التكبيرة والقراءة نحن لك وإليك. مراسيلُ أبى داود الكتاب الذِى ألفه أبو داود فى المراسيل أىِ الأحاديث التى يذكرها التابعون ولا يذكرون الوسائط الذين نقلوا عنهم هذه الأحاديث، هذه يقال لها المراسيل، أبو داود له كتاب اسمه المراسيل جمع فيه كثيرًا من المُرسلات، روَى فى هذا (اللهم إنّما نحن بكَ وإليك). معنى (إنّما نحن بكَ) معناه أصل وجودنا بك أى بقدرتك ومشيئتك فلولا مشيئتك وقدرتك ما وُجدنا، فكذلك كل الصفات التى فينا فهى إنما وُجدت بك أىْ بقدرتك ومشيئتك وعلمك، نحن ذواتنا وصفاتنا الدائمة والطارئة التِى تتغير فينا كل ذلك بخلقك وُجِدَ، بمشيئتك وعلمك وتقديرك وقضائك وُجِد، ومعنى قوله ﷺ فى هذا الأثر المُرسل (وإليك) أى مرجِعُنا إليك، أىْ كل واحد كُتب عليه الموت، كلٌّ سيموت.

إما أن يموت وهو على حالة مرضيَّةٍ عند الله وإما أن يموت وهو على حالة غيرِ مرضية عند الله، يكون من مات على حالة مرضية عند الله من الفائزين الذين شاء لهم النعيمَ المقيمَ فيما بعد الموت، والآخرون الذين هم بعكس ذلك يكون مآلُهُم النكَدَ والعذابَ الأليم.

ثم الله تبارك وتعالى ذكرَ المصيبة بلفظ النّكِرةِ فى هذه الآية ليُفهمنا أن كل مصيبة تصيب المسلم إن كانت صغيرةً وإن كانت كبيرةً فإنها تُفيدُه برفعِ الدرجات وتكفير السيئات، كل مصيبة تصيب المسلمَ المؤمن إن رَضِيَ عن ربه تبارك وتعالى فى كل مصيبة تُرفع له بهذه المصيبة درجةٌ وتكفَّر عنه بها خطيئةٌ أى تُمحى عنه بعض ذنوبه، لا تَمرُّ عليه مصيبةٌ صغيرة أو كبيرة إلا وهو مستفيدٌ منها هذه الفائدة ونِعْمَتِ الفائدةُ، بهذه المصيبة التى لا بال لها عند الناس كالشوكة التى يشاكُها المسلم أو الهمّ الذِى يسوء المسلم من الهمّ الصغير الذِى هو ليس ذاَ تأثير كبير.

أما الهمُّ الذِى له تأثير كبير فيزداد استفادةً المسلمُ منه على حسب عِظَمِ ذلك الهَمّ.

ثم إن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم الله تعالى من شأنهم أنهم فى أيام الهَرْجِ يلازمون طاعة الله تعالى أى بقدر الإمكان أىْ لا يعصونه فى هذه الحال بترك الفرائض وارتكاب المعاصى، بل هؤلاء يلزمون طاعته تبارك وتعالى فى أوقات الهرج، والهرج هو كثرة القتل وقد صح الحديث فى ذلك أنه ﷺ قال **العبادة فى**

**الهرج كهجرةٍ إلىّ**[١] اهـ أى الذِى يلتزم طاعة الله فى الهرج أىْ فى أيام كثرة القتل كأنه من الذين هاجروا أىْ فِى الوقت الذِى كانت الهجرة فرضًا. بعدما هاجر الرسول ﷺ إلى فتح مكة كانت الهجرة فرضًا، منِ استطاع أن يلحق بالرسول إلى المدينة كان فرضًا عليه أن يلحق بالرسول إلى المدينة كان فرضًا عليه أن يذهب إلى المدينة ليؤازر الدعوة الإسلامية بوجوده حول الرسول لأنهم يكونون على أُهْبَةِ الاستعداد إن استنفرهم رسول الله لينَفِروا وليساعدوه فى نشر الدعوة الإسلامية والتعليم والتبليغ. لهذا المعنى العظيم كانت الهجرة فرضًا، كان على من لم يهاجر وبقى فى بلدته مع المشركين هو مؤمن وأهلُ بلدته مشركون ذنبٌ كبيرٌ من الكبائر إن كان مستطيعًا أن يهاجر فلم يفعل، أما إن كان غيرَ مستطيعٍ بأن يلحق بالرسول إلى المدينة وبَقِىَ فى مكانه وعَبَدَ الله ما عليه ذنب.

الرسول عليه الصلاة والسلام جعل الذِى يلتزم عبادةَ الله أىْ طاعةَ الله فى أيام الهرج كالذِى هاجر إليه فى وقت كانت الهجرة فرضًا.

وكان ذنب من يرجع بعد الهجرة بعد أن يكون من المهاجرين يترك المدينة ويرجع إلى بلده التى هى بَعْدُ مع المشركين ذنبه من كبائر الذنوب أيضًا، مثلُ ءاكل الربا ومانعِ الزكاة، مانعُ الزكاة ذنبه كبير عند الله، كذلك الذِى يأكلِ الربا، كذلك هذا الذِى هاجر إلى المدينة ثم

(١) رواه مسلم فِى صحيحه، باب فَضلِ العِبادَةِ فِى الهَرْجِ.

تَركَ قَطَعَ هذه الهجرةَ ورجع عاد إلى أهلِهِ المشركين.

أما بعد الفتح فتح مكة سقطت فرضيَّةُ الهجرةِ فالمسلم أينما كان يعيش يتّقِى ربه، لذلك قال عليه الصلاة والسلام **لا هجرة بعد الفتح**[١] اهـ بعد فتح مكة انقطعَتْ تلك الهجرة التى كانت فرضًا على المؤمنين؛ لأنّ فتحَ مكةَ كان سبب تدفق العرب فى الجزيرة العربية للدخول فى الإسلام، قال الله تبارك وتعالى فى سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾. الرسول ﷺ عَلِمَ أن دينَه انتشر وسيزداد انتشارًا بعد ذلك وأنه أكثر الأنبياء أتباعًا. موسى عليه السلام ما وَجَدَ مِمَّنْ دخلَ فِى دينه كعددِ مَن دخل فى دعوة محمد، الذين دخلوا فِى دعوة محمدٍ أكثرُ وأكثر وأكثر مِمَّنِ اتبع موسى على الإسلام ومِمَّن اتبع عيسى على الإسلام ومِمَّن اتبع إبراهيم ومِمَّنِ اتبع سليمان عليهما السلام، من تبع محمدًا أكثرُ ممن تبع الأنبياء الأولين، حتى إنهم يكونون يوم القيامة جميعُهم أربعين صفًا وأمة محمد ثمانين صفًا؛ أمة محمد من ءامنوا به واتبعوه وماتوا على الإسلام يوم القيامة ثمانون صفًا وأمم سائر الأنبياء جميعُهم يكونون أربعين صفًا، الله تعالى بَشَّره بأنَّ الدين ينتشر بعد فتح مكة فتحقَّقَ ذلك بفضل الله تعالى.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

(١) رواه البخاريّ فِى صحيحه باب فضل الجِهاد والسِّيَرِ.

**الدرس السابع**



# شرح معنى الشهادتين وبعض أحوال القبور



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى ١٩ شعبان سنة ١٤٠٧ من الهجرة الشريفة وهو فى شرح معنى الشهادتين وبعض أحوال القبور قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيّدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله وأصحابه وسائر الأنبياء وجميع أولياء أمّةِ محمّد ﷺ.

أمّا بعد فإنّ أهمَّ الأمورِ عند الله، أعْلى الأمور وأفضلَ الأعمالِ عند اللهِ تعالى هو معرفة اللهِ ورسوله كما ينبغِى، ليس مجرد أن يقول القائل أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهَدُ أنّ محمّدًا رسولُ الله بلسانه، لا يكفِى مجرّد الاعتراف باللسان، بل لا بُدَّ من المعرفةِ بالقلب لمعنى لا إلٰه إلا الله محمّدٌ رسولُ الله فمن عَرَفَ معنى لا إلٰه إلا الله ومعنى محمّدٌ رسولُ الله كما ينبغِى، كما يجب، من عرف ذلك واعتَقَدَ بقلْبِه ولم يخالِجْهُ شَكٌّ

هذا مضمونٌ له النَّجَاةُ من الخلودِ الأبدىّ فِى جهنّم، مهما كان عنده ذنوب ومات وهو غافلٌ لا بدّ أن يدخل الجنّة، مهما تعذّب فِى النارِ لا بدّ أن يدخلَ الجنّة لكن بشرط أن يتجنّبَ الأقوالَ الكفرية والأفعالَ الكفريّة لأنّ من لم يعرف المعنى وكان يقول بلسانه لا إلٰه إلا الله محمدٌ رسول الله لا ينفَعهُ ذلك بعد الموت الأمور تنكشف، الحقائقُ تنكشِف بعد الموت. هنا تَخْفَى كثيرٌ من الحقائق أمّا بعد الموت الأمورُ تنجلى على حقيقتها، من كان يقول بلسانه لا إلٰه إلا الله محمّدٌ رسول الله بين الناسِ ثم هو لم يعرف معناها ومات على ذلك أَى وهو جاهلٌ بمعناهما فِى القبر لا ينفَعُهُ ذلك ولا فِى الآخرة.

معنى لا إلٰه إلا الله لا أحدَ يستحق نهايةَ التعظيم والخضوع والتذلل إلا الله، الله تعالى هو الذِى يَستحق على خلقه، على عباده نهايةَ التذلّل والتعظيم، لا أحد يجوز أن يُعَظَّم كما يعظمُ الله، لا الملائكةُ ولا الأنبياءُ ولا الأولياء يستحقون أن يعظَّمُوا كتعظيم الله، يُعَظَّمُون إلى حَدٍّ يليق بهم ليس إلى حد تعظيم الله، تعظيمُ الله تعظيمٌ مطلقٌ، هو غاية التعظيم، نعظمُه غاية التعظيم والملائكة والأنبياء الذين هم أفضل الخلق يعظمونَه يخضعونَ له يتذلّلُون له أكثرَ منَّا.

معنى لا إلٰه إلا الله لا أحد يستحقُّ نهاية التعظيم إلا الله، والله معناه ذاتٌ متّصِفٌ بصفاتِ الكمال، موجودٌ لا يشبهُ الموجودات، لا يشبه شيئًا من العالم، من

العوالم التى رأيناها والتى لم نَرها، لا يُشبه الإنسان، ليس شيئًا له نصفٌ أعلى ونصْفٌ أسفل كالإنسان، ولا كالجمادات كالشمس، والقمر، والكواكب، ولا هو كالهواء والضوء والظلام، لا يشبِهُ هذا كُلَّهُ فمن عَرَف أنّ الله موجودٌ لا يشبهُ شيئًا ولم يشبّهْهُ بشىءٍ بل اقتنع قَلْبُهُ على أن الله تعالى لا يُشْبهُ شيئًا من الأشياء، كلُّ ما يُتَصَوّرُ بالبال فالله بخلاف ذلك. مهما تصوّرْتَ ببالك فالله بخلاف ذلك، هذا الكلام قاله الإمام ذو النون المصرىّ، هذا الإمام ذو النون المصرىّ من أكابر الأولياء الذين كانت ألسِنَتُهُم تفيْضُ بجَواهِرِ العلوم، هذا قال هذا الكلام وهو أخذ هذا الكلام من القرءان لأنّ الله فِى القرءان ذكرَ أنّه ليسَ كمثلِه شىء قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] الله تعالى قال عن نفسه إنّه لا شىء مثْلُه، لا الإنسان يُشْبِهُ ولا النيّرات كالشّمس والقمر والنجوم، ولا الهواءَ ولا الريح ولا الروح ولا غيرَ ذلك من اللطائف. الرّوحُ مخلوقةٌ بعض الجهال يقولون الروح جزءٌ من الله، على زعمهم الله تعالى حالٌّ فينا لأن الروحَ فينا وهذه الروح على زعمهم جُزْءٌ من الله، هؤلاء كفّارٌ، الله تعالى لا يَحُلُّ فِى شىء ولا يَحُلُّ فيه شىءٌ غيرُه، لا يحلُّ الله تعالى فِى شىء.

ثم الله تبارك وتعالى لا يَمَسُّ ولا يُمَسّ، خلق العالم من دون مباشَرةٍ ولا ءالةٍ، ليس مثلَنا نحن نبنِى

---

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

البناء بحركاتٍ وأدواتٍ وءالاتٍ وهو ليس كذلك خلقنا من دون مباشرةٍ من دون حركاتٍ ومزاولاتٍ، بمشيئته الأزليّة حصلَ كلّ شىءٍ دخلَ فِى الوجود، هو تبارك وتعالى شاء فِى الأزل قبل أن يخلُقَ العالم شاءَ كلَّ ما سيحدثُ فحدَثَ كلُّ ما شاء وجودَه أى دخولَه فِى الوجود، حصَلَ، شاءَ فِى الأزل قبل أن يكون شىءٌ سواهُ، ما كان فِى الأزل شىءٌ إلا الله، لم يكن عرشٌ ولا سماء، ولا جنّة، ولا نار، ولا هواء، ولا نور، ولا ظلام، ما كان نورٌ ولا ظلام. شىءٌ يَحْتَارُ فيْهِ العَقْل. إذا قيل لك كيف يكون فيما مضى وجودٌ بلا ظلام ولا ضوء هذا شىءٌ يَحْتَارُ فِيْهِ العقل يحتار فيه إدْرَاكُ الإنسان، لكن نؤمن نقول لم يكن فِى الأزل لا ضوء ولا ظلام، فالله كان هو وحدَهُ، لا ضوء ولا ظلام ولا هواء ولا رُوح ولا شىء، كان هو وحْدَه ثمّ خلَقَ قبلَ كلِّ شىء الماء ثمّ من الماء خلق العرش ثم خلق من الماء القَلَمَ الأعلى، غيرُ أقلامِنا هذه، وخلق اللوحَ المحفوظ، هذا اللوحُ المحفوظ ليس كدفاترنا ولا كهذه الألواح [التى نكتب عليها] إنما هو جسمٌ كبير كبير مقدارهُ، مِساحَتُه، اتساعُه مقدارُ خمسِمائة عام، هذا اللوح المحفوظ خلقه الله من الماء، كلُّ شىءٍ أصلُه يعودُ إلى الماء، العرش الكريم الذِى هو أكبَرُ المخلوقات امتدادًا واتّساعًا لا يعلمَ حدَّهُ إلا الله، هذا العرشُ مخلوقٌ من الماء وكذلكَ القلَمُ الأعلى خُلِقَ من الماء وكذلك اللوحُ المحفوظ خُلِقَ من الماء، فالله تبارك وتعالى كان قبل كلِّ هؤلاء لا يُشْبِهُ شيئًا من

هؤلاء، وخلقَ بعد هؤلاء سائرَ الأشياء، الأرضَ والسماوات والبهائم والجبال والأشجار والأنهار، هذه الأنهار التى على وجه الأرض، كلّ هذا خلقَهُ ثم بعد ذلك خلق ءادم الذِى هو أفضَلُ هذه المخلوقات، كان ءاخرَ الخلق ءادم عليه السلام، وءادم كان أفضلَها لأنّ الله تعالى شاء له أن يكون نبيًّا، وشاء أن يَطْلَعَ منه ذرّيّة فيهم أنبياء، بعضهُم أفضلُ منه مَقَامًا كسيدِنا محمد وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ونوح، هؤلاء من ءادم طلعُوا لكن أعلى منه درجاتٍ عند الله.

الله تبارك وتعالى ليْسَ مثلَنا، ليس مثل العالم، العَالمُ يتطوّر، الإنسان يتطوّر يتعلّمُ أشياءَ لم يكن يعرفُها، الله تعالى عالمٌ بكلّ شىءٍ فِى الأزل، قبل أن يخلُقنا عالم بكلّ شىء حتى الأشياءِ التى ستحدث بعد هذا بمليارات السنين لأنّ الآخرة لا نهاية لها، الجنّة لا تفْنى، وأهْلُهَا بعد أن يدخلُوْها ويستقِرُّوا فيها لا موتَ عليهم، وجهنّمُ كذلك أهلُها الكفار بعد استقرارهم ودخولهم فيها لا مَوْتَ عليهم، كلُّ تطوّرات أحوال النار ذلك اليوم وكلّ تطوّرات أحوال الجنة ذلك اليوم، وأحْوالُ أهليهما، أهل النار وأهلِ الجنّة، الله عَلِمَهُ فِى الأزَل وشاء أن يكون فلا بُدَّ أن يكون، فالله تعالى لا يتغيّر ولا يتطوّر ولا يحصلُ شىءٌ جديد لم يشأه ولم يعلَمْهُ فِى الأزل كلُّ ما يحصل من التّغَيُّرات فينا هو عَلِمَهُ فِى الأزل، الله علم فِى الأزل أنّ هذا الإنسان يعيش من عمْره إلى كذا من الوقت بصفة كذا، ثم بعد ذلك يعيش بصفة كذا ثمّ بعد ذلك يعيش بصفة

كذا إلى نهاية أمره، عالمٌ بكلّ ذلك جُمْلَةً وتفصيلًا لا يتجدَّدُ له علم، ولا يشاء شيئًا جديدًا ولا يشاءُ مشيئةً جديدة بل مشيئته أزلية وعلمه أزليٌّ وقُدرتُه أزليّة. هذا معنى معرفة الله، مع التنزيه عن اللون البياض والسواد والشُّقْرة والحُمْرة والخُضْرة والزُّرْقة كلُّ هذا لا يجوز على الله. كلُّ ما فِى العالم لا يجوز أن يكونَ الله مُتَّصِفًا به، لا يجوز أن يكون متحيّزًا فِى المكان كما نحن نتحيَّز فِى الأماكن لأنَّ الشىء الذِى له مكان لا بُدّ له من مسَاحة والشىء الذِى له مِسَاحة لا يكونُ إلّا مخلوقًا، لا يكون خالقًا، كما هو مذكور فِى قول الإمام أبِى جعفر الطحاوىّ تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ولا تحويه الجهاتُ الستُّ كسائر المُبْتَدَعات، الجلوس لا يكون إلّا من شىء له نصفٌ أعلى ونصف أسفل كالإنسان فالله تعالى لا يجوز عليه أن يجلسَ على العرش، مستحيلٌ، الذِى يعتقد فِى الله أنه جالسٌ على العرش أو فِى سَماءٍ من السّماوات ما عرَف الله، فمعرفة الله لا تصحّ إلّا بعد التَّخَلّى عن مثل هذه الأشياء. أما معنى محمّدٌ رسولُ الله فمعناه أن محمدَ بنَ عبدِ الله القُرَشىّ الهاشمىّ نبىُّ الله فِى كلّ ما جاء به عن الله تعالى، فِى كلّ ما أخبر به عن الله تعالى صادقٌ، لا يُعْتَرَضُ عليه فيما أحلَّ لأمّته وفيما حرّم على أمته، إذا قال هذا حرامٌ عليكم فكلامُه صحيح وإذا قال هذا فرضٌ عليكم فكلامُه صحيحٌ، إذا قال هذا يكون فِى الآخرة لا بدّ أن يكون، وإذا قال حصل كذا وكذا لآدم أو لموسى أو لهارون أو لعيسى فالأمر كما قال محمّدٌ

عليه وعليهم الصلاة والسلام، وإذا رأينا كتابًا الآن يُسَمَّى فِى أيدى الناس توراةً أو إنجيلًا فيه خلاف ما فِى القرءان الكريم الذِى أنزلَهُ الله على محمّدٍ ﷺ فالصحيحُ ما فِى القرءان الذِى أنزله الله على محمّد ﷺ، أما ما فِى ذلك الكتاب المحرّف التوراة المحرفة والإنجيل المحرّف فهذا ليس صحيحًا إنّما الصّحيح ما قالَهُ محمّدٌ رسولُ الله ﷺ:

إذا قال قَوْلًا فالمَقَالُ صحيحُ

........................

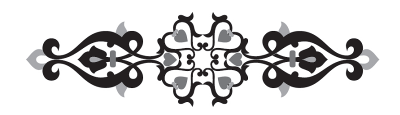
هكذا قال بعضُ المادحين للرسولِ يُسمّى محمد بن أبى بكر الوَرّاق.

هذا معنى محمّدٌ رسولُ الله، ثمّ من عرف الله ورسولَه كما ذكرنا ومات على ذلك وتجنّبَ الكفريّات، تجنّب سبَّ الله والأنبياء وتجنب سبّ الملائكة كعزرائيل، تجنّب الاستخفافَ بشعائر الدين كالصلوات الخمس، وصيام رمضان، وحَجّ البيت، من تجنب الاستخفافَ بأمور الدّين أمسَكَ لسانَه واعتقادَهُ عن الكفر هذا إذا ماتَ مهما كان عليه ذنوبٌ لا بُدَّ أن يدخُلَ الجنّة وإن مات وهو تائبٌ من الذّنوب كُلِّها هذا ليس عليه فِى قبرِه ولا فِى ءاخرته شىءٌ من النّكد بل هو دائمًا فِى فرح، روحُه دائمًا فِى سرور وجسْمُه لا يسَلِّطُ الله عليه حَيَّةً من حَيَّاتِ القبور، فإن فِى القبور حيّاتٍ، حيات غيرَ هذه الحيات، الله خَلَقَها لمن شاءَ من الكفّار ومن بعض فُسَّاقِ المسلمين الذين ماتوا بلا

توبة فالمؤمن الذِى يموتُ تائبًا ليس عليه نكدٌ بوجه من الوجوه بل هو سالمٌ، ولو كان فِى الدنيا مرتاحًا مُنَعّمًا فِى رَفَاهيَةٍ فما بعدَ الموت يكون أفضَلَ له لكن الناس المحْجُوْبون الذين معرفتُهم قليلة يقولون القبر بُقْعةٌ ضيّقَةٌ أربعةُ أذرع فِى ذراعين، لا يَظنُّ أنه يحصل للميت فِى قبره فرحٌ، ونعيمٌ، وبَسْطٌ، وراحةٌ مع أن هذا المؤمن يجد هذا الشّىء، بعدما يُدْفَن يذوقُ هذا الشىء ومن كشَفَ الله له عن حقائق أحوال أهل القبور يرَى أنّ قبورهم اتّسعت، بعضٌ منها مَدَّ البصر تَتّسِع، قدرَ ما يمتَدُّ نظَرُ العين وبعضٌ منها سَبْعين ذراعًا فِى سبعين ذراعًا، على أحوالٍ شتّى، لأنّ درجات العباد بعضُها فوقَ بعضٍ. الأولياء درجاتُهم بعضُها فوْقَ بعضٍ، كان بعدما تُوُفِّى الرسول ﷺ رجلٌ من أصحاب الرسول اسمه العَلَاءُ بنُ الحَضْرَمىّ هذا كان خرج قائدًا على أناسٍ من المؤمنين، قائدًا فِى الغزو، فِى الجهاد فِى سبيلِ الله، هذا القائد من الأولياء جاء ليلاحِقَ العَدُوَّ، الكفّار، فما وجد سفينةً يلحَقُ بها الكفّار الذين أخذُوا السّفن وهرَبُوا بها هو أوّلًا قال بِسْمِ اللهِ يا عَلِىُّ يا كَرِيْم وخاضَ البحر فلم تَبْتَلَّ رُكَبُه، ثم قال لهم خوضوا للجيش، خاضُوا فقطعوا من دون أن يلحَقَهُم تعَبٌ ثم لحقُوا العَدُوَّ فظفِرُوا بالعَدُوِّ، كسَرُوا العَدُوَّ، ثمّ بعد ذلك فِى أثناء تلكَ السَّفْرة تُوفِّى هذا القائد فِى أرْضٍ برّيّةٍ ليسَ فيها سُكَّان، برّيّة، مَفَازَة، حفروا له لأنّ إكرامَ الميّت التعجيلُ بدفنِه، حفروا له فدفنوه ثمّ بعد أن تجاوزوا محلَّ الدفن لَقُوا شخصًا من أهل تلك

الناحية قال لهم لما علم أنهم قاموا عن دفنِه مَنْ هذا الذِى دَفَنْتموه قالوا هذا العلاءُ بن الحَضْرَمىّ فقال ما جزاءُ صاحبكم أن تتركوه بهذه الأرض هذه الأرضُ فيها سِبَاع، السّباع تَحْفر لتأكُلَ الجُثّة قالوا صحيح لا نتركُه هنا بهذه الأرض فرجعوا فحفروا فلم يجدوه إنَّما وجدوا القَبْرَ ممتدًّا مَدَّ البَصَر يتلاطَمُ نورًا، القَبْرُ كلُّه أنوارٌ أما جسَدُه فلم يَرَوْه، رُفِعَ إلى حيثُ يشاء الله، مثلُ هذه الحالة نادرة. كذلك بعضُ عبادِ اللهِ الصالحين شاهدوا بعضَ القبور اتّسعت وامتلأت نورًا، أمّا أَكثرُ الناس لو فَتحوا قبر وليٍّ لا يروْنَ هذه الأنوار ولا يروْنَ هذا الاتّساع.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الثامن**



# بيان الواجبات والمعاصى والنعيم والعذاب



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للخامس من ءاذار سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألف بالتقويم الرومىّ وهو فِى بيان الواجبات والمعاصِى والنعيم والعذاب.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين صلوات الله البرّ الرحيم والملائكة المقرّبين على سيدنا محمدٍ أشرفِ المرسلين وعلى ءاله وصحبه الطيبين وسلام الله عليهم أجمعين، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان بإرادته وقدرته الأزليتين وتقديره الأزلىّ ولم يخلُقْه عبثًا بل خلقه ليُؤمَرَ بأوامرَ فيؤدِّيَها ويُنهَى عن أشياء فيجتنبها وجعل جزاءَهُ على ذلك أن من امتثل أوامر الله واجتنب مناهيَه أى الأشياء التى حرَّمها وشكر ربّه بأن صرف جميع ما أنعم الله عليه به من النِّعَم كالفؤاد أى القلب واللسان والعين والأذن واليد والرجل إذا صرف كلّ

ذلك فيما لم يحرم الله تبارك وتعالى بل صرفه فيما أمر الله به أى إذا حفظ قلبه عن المحرَّمات وسمعه وبصره ويده ورجله، كلَّ ما أنعم الله عليه به من نعمه ولا سيما اللسان كفَّهُ عما حرم الله وأدى ما فرض الله عليه جعل جزاءه النعيم المقيم الذِى لا ينفَد ولا ينقطع، القلب الذِى خلقه الله فينا عليه واجبات إذا لم يؤدّها يكون صاحبه مستحقًّا للعذاب فِى الآخرة، واللسان كذلك عليه واجباتٌ إذا لم يؤدّها يكون مستحقًّا لعذاب الله فِى الآخرة والعين كذلك والسمع أى الأذن والرِّجل واليد كل ذلك عليه واجبات فمن أدّى هذه الواجبات فقد شكر الله تعالى على هذه النعم شكر الله على هذا الفؤاد أى القلب الذِى يعْقل به ويُميّز به بين القبيح وبين الحسن وبين ما ينفعُه وما يضرّه. شَكَرَ الله تعالى على هذه النعمة أى نعمة الفؤاد أى القلب لأن القلب ينفع صاحبه إذا استعمله الإنسان فيما أمر الله به، فإذا الإنسان تفكر فِى خَلْقِ السماوات والأرض وخَلْقِ نفسه فاستشعرَ بتعظيم الله تعالى يكونُ لهُ أجرٌ كبيرٌ بهذا الاستشعار، التَفكُّر فرضٌ، سيّدُنا رسولُ الله ﷺ قرأ هذه الآية التِى فِى سورة ءال عمْران ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾[١] ثم قال بعدما قرأ الآية **ويْلٌ لمن قرأها ولم**

---

(١) سورة ءال عمران/الآية (١٩٠-١٩١).

**يتفكّر فيها**[(١)(٢)] اهـ فمن هنا نعلم أن على الإنسان أن يتفكّر أى ينظر فِى أحوال العالم فِى حال نفسه وفى حال هذا الجوّ حتّى يزداد يقينًا بوجود اللهِ الذِى خلق هذه الأشياء كلَّها، لأن الإنسان إذا فكّر فِى أمر نفسه فِى حال نفسه يعرف أنه وُجد بعد أن لم يكن موجودًا يعلمُ أنه لم يخلُق نفسَه كذلك حالُ الأب كذلك حالُ الأم كذلك حال الجدِّ كذلك مَن فوقهُم كلّ هؤلاءِ يعلمون أنهم ما خلقوا أنفسَهم بل خلقَهم موجودٌ وهذا الموجودُ لا يجوزُ أن يكون شبيهًا لهذا البشر ولا شبيهًا لهذه الأشياء الأخرى فإذا فكّر فِى ذلك فاهتدى لمعرفة كمال قدرة خالِقه وخالق هذه الأشياء يكون له بهذا التفكير ثوابٌ عظيمٌ، هذا من جملة واجبات القلب، ثم من جملة واجبات الفؤاد معرفةُ الله لأن المعرفةَ محلُّها القلبُ ومعرفةُ رسوله ومعرفةُ ما فرضَ الله، الفؤادُ هو محلُّ المعرفة وهذه المعرفة فرضها الله علينا وكذلك سائرُ أمور الدّين التى فرض الله تبارك وتعالى معرفَتها علينا هذا من جملة ما فرضَ الله تعالى على القلْب أى الفؤاد. وكذلك فرض الله تعالى على القلب أن يعمل ما افترض الله عليه من العبادات ابتغَاء وجه الله تعالى لا ليمدحَهُ النّاس بل لله تبارك وتعالى أى لأن الله تعالى أمر بهذه الطاعات، على هذه النية يعملُ

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه، ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائنا عنها مجدا فى إتيان ضدها.

(٢) ولو مرة فى العمر.

الطّاعات فإذا عملَ هذه الطّاعات على هذا القصد وعلى هذه النية يكون شكر الله تبارك وتعالى على هذه النّعمة أى نِعْمة القَلْب والعقل.

كذلك الله تبارك وتعالى فرض على البَدن أى بدن الإنسان واجبات من جمْلتها هذه الصّلوات الخمس، الصلوات الخمسُ تؤدَّى بالبدن أى أن الإنسان يؤدّيْها بجسمه، وهكذا فرض الله على اللّسان أن يَنطق بما أمر الله به من الشهادة، النطقُ بالشهادة لله بالوحدانية والشهادة للرسولِ بالتّبليغ فرضٌ فِى العمر مرَّةً عند الإمام مالك أمّا عند الإمام الشافعىّ والإمام أحمد بنِ حنبلٍ وكثيرين من الأئمّة الشّهادتان فرضٌ فِى كلّ صلاة، أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله هذا فرضٌ فِى كلِّ صلاة، هذا من جملة فرائض اللّسان التى فرضها الله علينا.

ثم أيضًا فرضَ علينا أن لا نستعمل هذا اللسان فِى معاصِى الله، فِى ما حرّم الله من الكفريّات القولية وما فيه إضرارٌ للمسلم بأخيه المسلم، فَرَضَ الله تعالى على الإنسان أن يحفظ لسَانه عن هذه المعاصِى، وفرض عليه الأمرَ بالمعروف، الأمرُ بالمعروف هو أن يقولَ الإنسان إن كان يرجو من أحدٍ أنه يسمع كلامَهُ يا فلان صلّ يا فلان صُم رمضان يا فلان أدِّ حقوقَ الله التى عليك نحوَ أولادك الأطفال نحو زوجتك نحو أبويك الفقيرَين، إذا كان للشخص أبوان فقيران محتاجَان للنفقة فرضٌ على الولد الذكر والأنثى نفقتهما فإذا رأينا

إنسانًا يقصّر فِى هذا الواجِب وكنا نرجو أن يسمع النصيحة فرضٌ علينا أن نقول يا فلان أدّ النّفقة التِى فرض الله عليك لأطفالك ولزوجتك، كذلك إذا رأينا إنسانًا أهمل أبويه بلا نفقة فرضٌ علينا أن نكلّمه بأن نقول له مثلًا اتّق الله أنفِق على أبويك، هذا إن رجونا أن كلامنا يؤثّر فيه، أما إن علمنا أنّه لا يتأثر إن كلمناه فليس علينا ذنبٌ إن سكتنا وهكذا كلُّ ذنبٍ من الذنوب إن علمنا أنّ هذا الإنسان الذِى يرتكب هذا الذنب لا يسمع النّصيحة فليس فرضًا علينا أن نكلّمه، ليس علينا ذنبٌ إن سكتنا أما إن سكتنا ونحنُ نرجو أنه يسمعُ النّصيحة وأن كلامنا يؤثر فيه يكونُ علينا ذنبٌ، عليه ذنبُه وعلينا ذنب السكوت. هذا من جملة ما على الإنسان أن يراعيه باللسان.

كذلك اليد عليها واجبات، من جُمْلة واجباتِ اليد أن لا يستعملها فيما حرّم الله وأن يستَعْمِلها فيما هو طاعةٌ لله تبارك وتعالى، فيما هو فرضٌ فمن رأى منكرًا فإن استطاع أن يُزيله بيده ففرضٌ عليه أن يُزيلَ هذا المنكَر بيده.

وهكذا سائر الجوارح عليها حقوقٌ لله تبارك وتعالى، يجب أن تؤدَّى هذه الحقوق بهذه الجوارح، هذا معنى الشّكر لله ليس معنى الشّكر لله أن يكثر الإنسان الحمدُ لله الشّكرُ لله ويُهْمِلَ أداءَ هذه الواجبات إنّما الشكرُ الذِى هو فرض على الإنسان هو أن يستعملَ هذه الأعضاء والجوارح فيما أمر الله به ويمنعَها ويكفَّها عمَّا حرّم الله. كثيرٌ من الناس لا

يفهمون معنى شُكر الله يظنّون أن الشّكر هو أن يقول الإنسان الحمدُ لله الشّكر لله هذا غلط، إنما الشّكر هو أن يستعمل النِّعم التى أنعَم الله بها عليه من نظرٍ وسمعٍ ويدٍ ورجل إلى غيرِ ذلك فيما يُحِبّ الله، فيما أَمرَ الله، ويحفظَها عَمّا حرَّم الله هذا هو الشّكر الواجب، فالله تبارك وتعالى جعل جزاء الإنسان الذِى أدّى شكر الله تبارك وتعالى الذِى أوّلُه وأفضله الإيمان بالله ورسوله الذِى أرسله ثم الصّلوات الخمس ثمّ سائرُ ما افترض الله على العباد بما فِى ذلك من تعلُّم ما فرض الله من علم الدين الضروريّ الذِى لا يَسْتَغنِى عنْه أيُّ إنسان بالغ عاقل، هذا جعلَ الله مآله النّعيمَ المقيم الذِى جَعَله الله تعالى فِى الجنّة أما فِى ما دون ذلك فالمؤمن التّقىّ عند موته يُبشَّر تنزِل ملائكةٌ كأنّ وجوهَهُم الشّمس يبشّرونه برحمة الله تعالى وأنّه لا خوفٌ عليه بعد موته ولا يصيبه خطرٌ بعد موته فيدْخلُ عليه فرحٌ عظيم. ولو كان لسانُه من شدَّة ألم سكرةِ الموت مرتبطًا، أكثر الناس ترتبطُ ألسنتُهم عند الموت لأن شدَّة ألم الموت الذِى يسمَّى سَكرةَ الموت، سكراتُ الموت شىءٌ شديد أشدُّ من كلّ ما يلقاه الإنسان قبل ذلك من أوجاع وأمراض أكثرُ الناس ترتبط ألسنتهم، لكنّ المؤمن التقىّ الذِى جاءه ملائكة الرحمة الذين وجوههم بِيضٌ كأنّهم شمس يكون قلبه ممتلئًا فرحًا، هو يراهُم يجلسُون منه على مدًى وإن كان مَن حَوْلَهُ لا يراهُم هو يراهم فيسمَع تبشيرهُم ويفرح برؤيَتهم، برؤيتهم يدخل عليه سرورٌ لا يعلمُ مداه إلّا الله، مهما كان هو يقاسِى ألم

الموتِ يكون مسرورًا ممتلئًا سرورًا، ثم إذا فارق الرّوحُ جسدَه هذه الروح يصعدُ بها ملائكةُ الرّحمة إلى السماء السّابعة ثم فِى كلّ سماء يشيّعُه المقرّبون من ملائكة تلكَ السَّماء، السّماوات السَّبع كلُّ سماء لها رئيسٌ من الملائكة وتحت هذا الرئيس مقرّبون أكابرُ من الملائكة، أما عامّة الملائكة هؤلاء لا يُحْصِى عددَهم إلا الله، السّماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كلُّ هذه السماوات ما فيها موضع شبر ولا قدم ولا مقدارُ كَفٍّ إلا وفيه ملك ساجدٌ أو راكع أو قائم، أولئك يثبتون على أعمالهم أما أولئك المقربون من كلّ سماء من وظيفتهم التى أمرهم الله بها أن يشيّعوا روح المؤمن التقىّ إذا صَعِدَ به أولئك الملائكة الذين استلموا روحهُ من يد عزرائيل، الله أمرهم جَعَلَ من وظيفتهم أن يشيّعوا روح كلّ مؤمن تقىّ من هذه السماء التِى هم فيها إلى السماء التِى تليهم وهكذا يتلقّى التبشير والفرح والسّرور كلّما أتى إلى سماء ثم يؤمرُ هؤلاء الملائكة، ملائكة الرّحمة الذين صعدوا به إلى السّماء السّابعة بأن يردُّوه إلى الأرض وأن يوسَّع له قبرُه، هذا القبر الذِى هو فِى نظر الناس المحجُوبين مسافةٌ قصيرة، نحو أربعة أذرُع طوْلًا وذِراع عرْضًا، هذه يوسّعها الله على بعض المؤمنين سَبعين ذراعًا فِى سبعين ذراعًا، الطولُ والعرض سبعون ذراعًا، وعلى بعض المؤمنين يوسّعُه الله تعالى مدّ البَصر وكُلُّ هذا يراه من رفع الله عنه الحجابَ من أهل الأرض من الأحياء، ثم هذا الإنسان لا يحصلُ له فِى

قبره بعد أن يعودَ الرّوحُ إلى الجسد أذًى، لا تتسلّط عليه حيةٌ ولا نملةٌ ولا شىءٌ من المؤذيَات، ويُملأ قبرُه من رائحةِ الجنّة وهذه الرائحة لولا أن الله يحجُبُها عن أكثر البشَر لشَمُّوها لكنّ الله تعالى قادرٌ على كلّ شىء يُرِى هذا الإنسان شيئًا فِى هذا المكان ويحجب هذا الذِى يراه هذا عن غيره، ما سمعتم أنه فِى ليلة القدر فِى بيتٍ واحدٍ يكونُ جماعةٌ من الناس أحدُهم يَرى ضوءًا ملأ البيت والفضاء يندهش يقول الآن طلع النهار ما هذا الضوء والآخرون مستيقظون لا يرون هذا الضّوء وهكذا حال القبر، القبر يوسع على المؤمن التقىّ ويوضع فيه من رائحة الجنة لكن أكثر الناس لا يُحِسُّون ولا يرون ولا يشعرون يحجُبه الله تعالى عنهم.

ثم بعد أن يأكلَ التُّراب جسده الرّوحُ يأوِى إلى الجنة يكون طائرًا يطيرُ فِى أشجار الجنّة، يأكلُ من ثِمارها، لا يَتَبَوّأ مقعدَهُ الذِى يَتَبوأه يوم القيامة، بعد الانتهاء من موقف يوم القيامة يتبوَّأ ذلك المنزلَ الذِى هيّأَهُ الله له، ذلك اليوم يتبوأه أما اليومَ يطيرُ فِى أشجار فِى الجنّة جعلها الله تعالى مُنْطَلَقًا لأرواح الأتقياء، يأكل من ثمار تلك الأشجار إلى أن تقومَ القيامة، بعد أن تقومَ القيامة يعودُ هذا الروح إلى الجسد الذِى أكله الترابُ فِى القبر، يُعيْدُ الله هذا الروح الذِى كان فِى الجنة إلى هذا الجسد الذِى أنبته الله تعالى فيخرج الروح مع الجسد كما كان فِى الدنيا قبل أن يفارقه، ثم لا يَلقى يوم القيامة أذَى حَرّ الشمس، شمسُ ذلك اليوم شديدة الله تعالى يُدنيْها من رءوس الناس لا تبقى

فِى مركزها الذِى هِىَ فيه اليوم، ثم هو يكون فِى ظِلّ العرش لا يُصيبُه مِن حرّ الشّمس شىءٌ، لا يلحقُه أذًى بل هو ممتلئٌ سرورًا إلى أن يدخلَ الجنَة فيتبوأ منزلهُ الذِى كتبه اللهُ له ثم بعد ذلك يرَى من النّعيم ما أخفاه الله تعالى حتّى عن الملائكة الذين هم خُزّان الجنة، رئيس ملائكة الجنّة يقال له رِضْوان، حتى هو لا يُطلعه الله تعالى على هذا النّعيم الذِى أعدَّه الله للصالحين، للأتقياء، للأولياء، إنّما هو يرى ما سوى ذلك من النّعيم الذِى يشترك فيه كلُّ من دخلَ الجنّةَ من ولىّ وغير ولىّ هذا مآل من اتَّقى الله، من شكرَ الله تعالى بأن صرف نعم الله التِى أنعمَ الله بها عليهِ من قلبهِ وسائر جوارحِه، كالعين والأذنِ، واللسان، واليد والرجل ومَالِه الذِى ملَّكهُ الله تباركَ وتعالى فصرفه فيما يَحِلُّ وأمسكهُ عمّا حرَّم الله، هذا جزاء المؤمن الشاكرِ، هذا مصيرُه. وذلكَ بفضلٍ مِن الله تعالى لأنه هو الذِى ألهمَهُ وقدّرهُ أن يعمل هذه الحسنات وأن يحفَظ نفسَه من معاصِى الله. الله تعالى هو الذِى أنعم عليه بذلك.

وأما من لم يُؤْمن بالله ورسولهِ فأوّلُ ما يجدُه فِى حال سكَرات الموت تأتيه ملائكة العذاب فيضربُونه من أمام ومن خلف، هو يشعر بذلك لكن الذين حوله من أهاليه وأقاربه وأصدقائه لا يشعرون، هو يقاسِى من الألم ما لا يوصف، سكرة الموت يقاسِى ءالامَها وضربُ ملائكة العذاب كذلك يقاسيه ثم يبشِرُه عزرائيل بعذاب الله وسخطه فيزداد غمًّا إلى غمّ ولو كان بإمكانه أن يحبس روحه عن الخروج لفعل لكن ليس بإمكانه، أما

المسلم الفاسق الفاجرُ فهو بين هؤلاء وبين هؤلاء لكنَّ منهم من يسامحهُ اللهُ تعالى فلا يصيبُه فِى قبره شىء من العذاب لأن الله سامحه بفضلِه وكرمه، ثم الذين لم يسامحْهُم يقاسون شيئًا من النّكد فِى القبرِ ثم فِى الآخرة كذلك يقاسون شيئًا من النكد والعذاب ثمّ يدخلهم الله الجنة فيعيشونَ فِى الجنّة فِى نعيم لا ينقطع، حياة لا موتَ بعدها وشباب لا هَرَمَ بعدَهُ ورِزق لا نفادَ له وصِحّة لا سقَمَ بعدها. ثم الله تبارك وتعالى لم يجعل فِى أهل الجنّة أعزبَ، كلٌّ منهم يزوّجه الله، أقلّ ما ورد فِى الحديث للمسلم فِى الجنة زوجتان ثم الله تبارك وتعالى يُطهّر قلوب الرجال والنّساء من الغَيْرة والحسد والحقد لا يوجد فِى قلبِ أيِّ إنسان دخل الجنة غَيْرَة، فالمرأة لا تقول هذا زوجى له نساءٌ غيرِى لا تتنكد من ذلكَ ليس كحالتهن فِى الدنيا، فالنساء يسلُبُهنّ الله تبارك وتعالى الغَيْرة لا يَغَرْن هناك فِى الجنة، ثم أزواجُهنَّ من كان فِى الدنيا دميمًا ومن كان فِى الدنيا شرسًا سَيئ الخلُق لا يكون فيه ذلك الشّىءُ الذِى هو مكروه، الشىءُ الذِى تكرهُه المرأةُ من زوجِها فِى الدنيا لا يكون فيه شىء من ذلك، إن كان سَيئ الخُلُقِ فِى الدنيا فإن الله تبارك وتعالى يجعلُ خلُقَه خلُقًا حسنًا وشكله إن كان فِى الدنيا دميمًا يجعلُه حسنًا وإن كان به عاهَةٌ فِى الدنيا يُزيل عنه تلك العاهة، يُخرج الله تبارك وتعالى من قلوبهم التّباغُضَ والتحاسد فلا يكونُ فِى قلوبِهم أدنَى تحاسدٍ ولا أدنى تباغضٍ، هنا الإنسان يحسُد الإنسان إذا كان فوقَهُ فِى الرِزقِ فِى المال فِى

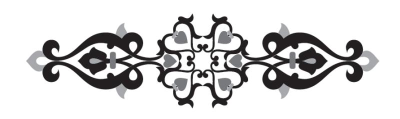
الصحة، يتنكّدُ خاطِرهُ يقول أنا كيف أعيشُ على هذه الحال وفلانٌ يعيشُ تلك العِيْشة، أما هناك يعلمونَ أن بعضَهم أعلى من بعض، وأنّ بعضَهم أكثرُ نعيمًا من بعضٍ مع ذلك لا يحصلُ فِى قلوبهم حسَدٌ لأحدٍ من أهل الجنة، لماذا لأنه ليس هناك أحدٌ يصيبه بؤسٌ أى فقرٌ ولا مرض بل كلٌّ منهم يجد ما يشتهيه، كل واحدٍ منهم يجدُ ما يشتهيه من مأكولٍ ومشروبٍ، وإن كانوا يرون أن منازل بعضهم أعلى من منازلِ بعض، يرون بأعيُنهم مع ذلك لا يحصل لهم حسَد ولا تنكد خاطر، خواطرُهم لا تتنكد بل كلٌّ واحدٍ راضٍ ممتلئ رضًى وسرورًا بما رزقه الله تبارك وتعالى، وليس بالقليل كلّ ما يُعطيه الله تعالى لأيِّ واحدٍ من أهل الجنة، ليس بالشىء القليل، كلٌّ واحدٍ من أهل الجنة يعيش عيْشَة الملوك، ليس الإنسان هناك يكون منزَويًا فِى قصره، ليس حولَه موكِبٌ يأنس بالنّظر إليهم، لا، بل كلُّ واحدٍ عنده عَشرةُ ءالاف من الخدم من غير البشر، لا هم بشرٌ ولا هم جنٌّ، الله تبارك وتعالى خلقهم ليَسُرُّوا أهل الجنة بمنظرهم وخدمَتِهم هؤلاء العشرة ءالاف أقلُّ ما يكون للواحد من أهل الجنة كلُّ واحدٍ من هؤلاء العشرة ءالاف بإحدى يديه صحيفةٌ من ذهب وباليد الأخرى صحيفةٌ من فضّة يقدّمون الطعام لمخْدومِهم، لهذا الإنسان، لذلك الله تبارك وتعالى قال فِى القرءان الكريم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾[1] وإذا

(١) سورة الإنسان/الآية (٢٠).

رأيتَ ثَمَّ أى إذا رأيت الجنة رأيت نعيْمًا ومُلْكًا كبيرًا، أيُّ مَلِكٍ من ملوك الدّنيا يكونُ حولَه عشرةُ ءالاف خادم كلّهم كأنّهم لؤلؤ، كلّ واحد منهم كأنّه لؤلؤ مكنون يَسُرُّون النظر، كل واحدٍ بإحدى يديه صحيفة من ذهب وباليد الأخرى صحيفةٌ من فضة، أين يوجد فِى ملوك الدنيا من عنده هذا العددُ من الخدم بهذه الصورة وبهذا الشكل، لا يوجد، نعيم الدنيا هذه، نعيمُ ملوكِها ومن دونَهم من الأغنياء كلُّ ذلك كلا شىء بالنسبة إلى ما يكونُ هناك من النعيم، فأهل الجنة لا يفكرون فِى أنه يلحقُهم بعد هذا موتٌ ولا هرم، لا يلحقُهم شيخوخةٌ فِى السّن، ولا يلحقُهم فقر لأنهم أوّلَ ما يدخلون ويستقرُّون فِى الجنة الله تعالى يأمر ملكًا يُنادِى يُسمع جميع أهل الجنة يا أهْلَ الجنّة خلودٌ فلا موت يا أهل الجنّة إن لكم أن تَحيوا فلا تموتوا أبدًا، يأمنون الموت، يكونون قد أمِنوا الموت لا يفكرون فِى أنّه يلحقُهم بعد هذه الحياة موت. وينادِى يا أهْلَ الجنّة إنّ لكم أن تشِبُّوا فلا تهرموا أبدًا، أى أنتم دائمًا شباب لا يلحقُكم هرم ولا شيخوخة، فلا يخاف الإنسان هناك أنه بعد طول زمن يصير كحالته فِى الدنيا ضعيفًا بعد أن كان نشيطًا يحتاج إلى العُكّاز، ويحتاج إلى من يمسِك بيدِه إذا مشى، لا يخافون، أمنوا كلَّ هذا، كلَّ هذه المشقات أمنوا، وينادِى هذا الملَك يا أهلَ الجنة إنّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا أى دائمًا أنتم فِى نَعيم، لا ترون البؤس أى الفاقَة والفقر والضّيق، فيكونون أمنوا أن يصيبَهم فيما بعد

ضيقٌ وبؤسٌ وفاقةٌ وفقرٌ، هنا فِى الدنيا الإنسان مهما كان عنده مال مهما كان عنده منازل يتوقع أن تحصُلَ أشياء، يتوقع أن يُسلَب مالُه يتوقع أن تأتِى مصائب ومشاكل، كأن يتلَف ماله بحريق أو غير ذلك. الآن الأغنياء قلوبهم معذَّبة يفكّرون بأموالهم، يقولون لعله تأتينا نكباتٌ تُتلِفُ أموالَنا أو تُتْلِف نفوسَنا، يقول أحدهم لعلِّى أُقتَل على مالِى هذا، أما فِى الجنة لا يفكرون فِى هذا أَمِنُوا أنه لا يصيبهم شىءٌ من هذه الآفات والنّكبات والمُلِمّات، هم ءامنون مطمئنون مسرورون دائمًا أبدًا بلا انقطاع، هناك يوجد تفاضل فِى المنازل، منازلُ بعضِ أهلِ الجنةِ أعلى ارتفاعًا من منازل بعض، وفِى غير ذلكَ درجات لكن كلُّ واحدٍ ممتلئ سرورًا يجد ما يشتهيه لكنّ الله تعالى يخُصُّ الصالحين الأتقياء بنعيمٍ خصَّصَهُ الله تعالى لهم لا يشاركهم فيه غيرهُم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس التاسع**



# بيانُ أحكام النذر



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شوال سنة أربع وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للرابع والعشرين من تموز سنة أربع وثمانين وتسعمائة وألف بالتقويم الرومى وهو فِى بيان أحكام النذر.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، صلوات الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمدٍ أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وسلام الله عليهم أجمعين

أما بعد فقد رُوِّينا بالأسانيد المتّصلة أن رسول الله ﷺ قال **من نَذَر أن يُطِيْعَ الله فَلْيُطِعْهُ ومن نَذَرَ أن يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِه**[١] اهـ النذرُ واليمين كلاهما إذا كان مُعَلَّقًا بمعصية الله فلا يجوز تنْفِيْذُه، إذا نذر شخص أن يضرب فلانًا ظلمًا أو يُهينَه ظلمًا أو يُتْلِفَ له مالًا ظلمًا

(١) رواهُ البخاريُّ فِى صحيحهِ باب إِثْمِ مَنْ لا يَفِى بِالنَّذْرِ.

فلا يجوز له أن يفِىَ بنذره هذا، بل عليه أن يكسر هذا النذر لأنّ النّذر وضع للتقرّب إلى الله تبارك وتعالى. الله تعالى يحبّ الوفاءَ بالنَّذر إذا كان ذلك النذر فِى ما يحبّ الله تعالى من نوافِل العبادات كالصدقة صدقةِ التطوع وصيام النَّفل وصلاة النَّفل والاعتكاف فِى مسجد وحَجّ التّطوع، حجّ النفل، النذرُ فِى ذلك يصحّ ويجب الوفاء به. من نذر أن يتصدق صدقة تطوع أى غيرَ الزكاة فيجب عليه أن يفِىَ، كذلك من نذر أن يصوم غير رمضان يجب عليه أن يفِىَ، كذلك من نذر حج التطوع أى غير الفرض وجب عليه أن يفِىَ. كذلك سائر القُرُبات، أى كلُّ شىء فيهِ تقرُّبٌ إلى الله من نَذَرَ أن يفعلَه وجبَ عليه أن يفعلَه فإذا لم يَفِ بنذرِه فهو ءاثم عند الله فعليه عقوبة، يستحقّ عذابًا من الله تعالى فِى الآخرة.

ثمّ إنّ النّذرَ الذِى يحبُّه الله تعالى هو الذِى يكون فيه تقرّبٌ إلى الله تعالى كما وصفنا كأن ينذر الشخصُ صومَ نفل أو صلاة نفل أو صدقة تطوع أو نحوَ ذلك هذا نذره فيه ثواب، والوفاءُ به فيه ثواب. أما إذا لم يكن النذر لله تعالى وكان لغيره فقد يكون ذلك شركًا وكفرًا كما لو نذر شخص لولىّ أو وليّة تقربًا إلى ذلك[1] الولىّ أو تلك الوليّة ليس بنيّة التقرب إلى الله

(١) أى يقصده بذاته يقصد التقرب له كما يقصد التقرب إلى الله ويطلب منه كطلبه من الله، أما من لم يفهم من ذلك إلا رجاء الإجابة من الله بجاه هذا الولىّ فلا يكفر.

تعالى فهذا باطلٌ، وهذا كفرٌ، مثلًا إنسانٌ ينذرُ لولىّ من الأولياء كالأوزاعىّ أو وليّة من الوليّات كسِتّنا زينب بنتِ علىّ بن أبى طالب أختِ الحسين التِى يُقال إنّها مدفونة فِى الشّام وبعض الناس يقولون إنّها فِى القاهرة من نذر للأَوزاعِىّ أو للسيّدة زينب أو غيرهما من الأولياء والوليّات لا بنيّة التقرب إلى الله بالتصدق عن روح هذا الولىّ أو هذه الوليّة بل بنيّة أن هذا الولىّ أو هذه الوليةَ النذرُ لهما يقضِى الحاجات ويفرّج الكُربات ناسيًا الله تعالى، ما خطر بباله التقربُ إلى الله هذا نذرٌ فاسد محرَّم يكون شِركًا عبادةً لغير الله.

الخلقُ كلُّهم عباد الله الأنبياء والأولياء ومن سواهم، كلهم عباد الله لا يستحقون أن يُتذلّل لهم نهايةُ التذلل فالله تبارك وتعالى الذِى خلقَنا وخلقَ العَالَم كُلَّه خلق الملائكة وخلق الأولياء والأنبياء هو الذِى يستحق أن يُتذلّلَ له نهايةُ التذلّل أما غيرُه لا يَسْتَحِق، غيرُ الله يُعظّم تعظيمًا يليق به لا كتعظيم الله، الأنبياء يعظّمون لكن لا كتعظيم الله والأولياء كذلك، فالذِى ينوى التقربَ إلى غير الله من ولى أو ولية على اعتقاد أنّ هذا الولى النذر لمقامه فيه خصوصيّة لقضاء الحاجات ودَفْع البلايا والمصائب والمشاكل هذا يكون عَبَدَ هذا الولى أو هذه الوليّة، إذا نذر على هذا الشكل يكون عبد غير الله ومن عبدَ غيرَ الله فهو مشرك كافر، كما أنّه لا يجوز الصلاة لغير الله تعالى كذلك النذر بنيّة التقرب إلى عبد من عباد الله ولىّ أو وليّة لا يجوز، فكثيرٌ من النّذور ليس فيها ثواب بل فيها معصية بل فيها إشراكٌ

وكفر، بعض الناس لمّا ينذرون لبعض الأولياء لا يخطُر ببالهم التقربُ إلى الله بهذا، لا ينوون أنهم يتصدّقون عن هذا الولىّ أو هذه الوَليّة، أى لا يقصدون [أن] يصل ثواب هذا النذر إلى ذلك الولىّ أو تلك الوليّة، كلُّ توجُّهِ قلوبهم إلى أن هذا الولىّ أو هذه الوليّة لهما خصوصيّة فِى دفع البلاء عن من ينذر لهما أو فِى جَلْب المَصَالح، هذا قصدهم، لا يقصدون التقرب إلى الله بالتصدق عن روح الولىّ او الولية، يظنون أن هذا القبر الذِى ينذرون له، له خصوصية فِى دفع البلاء أو قضاء الحاجات، تيسير الحاجات، هؤلاء نذرهم فاسِد، ويكسِبون معاصٍ، بل يكفرون لأنّهم عبَدوا غيرَ الله. كثير من الذين ينذرون للمشَاهد - المشاهد هى مقامات الأولياء والوليات كمقام الأوزاعى ومقام زينب - هؤلاء بعيدون من الله كلَّ البُعْد حتى إنهم لا يفهمون معنى لا إلٰه إلا الله يقولونها ولا يفهمون معانِيَها.

ومن هذا النوع الذين ينذُرون الشموع لتُشْعَل عند مقامٍ من غير أن ينوُوا أن ينتفِع من يوجد هناك من الناسً بالاستضاءة بهذه الشموع إنما قصدهم تعظيم صاحب البقعة بهذا الإشعال، إشعال الشموع، لا يقصدون التقرب إلى الله لينفع من حَوْل هذا المقام ليستعين به فِى قراءة القرءان أو نحو ذلك. كثير من المشاهد تُشعل فيها الشموع نهارًا من غير قصد أن يستضىء بها أحد كقراءة القرءان أو نحو ذلك، فهؤلاء الذين يفعلون ذلك شياطين ضَلُّوا وهلَكُوا لأنّ الرسول ﷺ لعنَ الذين

يتخذون السُّرُجَ على القبور، الذين يتخذون السُّرُجَ أى الأضواء على القبور هؤلاء ملعونون عند الله، الذِى يشعل الشمع أو الكهرباء من أجل تعظيم هذه البقعة لا بنيّة أن ينتفع بعض المسلمين الذين يكونون فِى هذا المكان للقراءة فِى المصحف أو كتاب علم أو كتاب ذِكْر، إنما مجرّد الإشعال فِى هذا المكان عندهم فيه خصوصيّة لأن صاحب المقام على زعمهم يقضى لهم الحاجات من أجل تعظيمهم لمقامه، ويزعمون أنه يدفع عنهم البلاء هؤلاء فِعلُهم مردود غيرُ مقبول عند الله، فعلُهم فيه معصية فمن رأى مكانًا يُشعَلُ فيه الشموع فِى النهار من غير أن يكون هناك ظلام بل لمجرد تعظيم هذه البقعة إن استطاع فرض عليه أن يطفِئَ هذا بل أن يأخذ هذه الشموع ويذهبَ بها ويعطيَها لفقير ليُشْعِلها فِى بيته[1]. لأن هؤلاء والعياذ بالله كعبدة الأوثان[2] الذين يعبدُون الأحجار أو الأشجار، هؤلاء مِثلُهم، هذا منكرٌ من المنكَرات وإزالةُ المنكر على من استطاع فرضٌ، الله تعالى ما فرض علينا أن نصلِّيَ ونصومَ ونحُجَّ ونزكّيَ ونعملَ هذه الشعائر الدينية ونهملَ الأمرَ بالمعروف والنهى عن المنكر، الأمرُ بالمعروفِ على من استطاع فرضٌ، نقول يا فلان اتق الله صلّ يا فلان اتّق الله صم رمضان، فإذا رأيتم إنسانًا يقصر فِى نفقة زوجته أو أولاده الأطفال فرضٌ أن يُقال له لم تقصّر فِى نفقة

---

(١) هذا من باب التشبيه.
(٢) لأنه لا يعلم أصحابها.

زوجتك وأطفالك فرضٌ عليك أن تنفق عليهم، فرض أن يُؤمر بأداء الفرض الذِى هو النفقة نفقة الزوجة ونفقة الأطفال وإزالةُ المنكر على اختلاف أنواعه فرضٌ أيضًا المنكرُ أنواعٌ كثير، هذا الإشعال إشعالُ الشمع على قبرِ ولىّ أو وليّة منكر. الرسول ﷺ قال **لَعن الله زَوارات القبور والمُتَّخِذِيْنَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُج**[١] اهـ أما زوّاراتُ القبور معناه النساء اللّاتى يكثرن من زيارة القبور هذا قبل أن يحلِّلَ الله زيارة القبور، زيارة القبور كانت حرامًا على الرجال والنّساء ثم أحَلَّها الله تعالى، لما كانت زيارة القبور حرامًا على الرجال والنساء قال ذلك رسول الله ثمَّ بعد ذلك جاءه الوحى بالإذن فقال عليه الصلاة والسلام **كنتُ نَهَيتُكم عن زيارة القُبور أَلا فزوروها**[٢] اهـ النَّهىُ الذِى كان سبق انتسخَ، التحريم الذِى كان قبل أن تنزل الرّخصة بالوحىِ من الله إلى الرسول بالتحليل كان زيارةُ القبور على الرجال والنساء حرامًا ثم رخَّصَ الله تبارك وتعالى فِى زيارة القبور أما اتخاذ القبور مساجد وإشعال السُّروج أى الأضواء على القبور بقىَ حرامًا، الآن لا يجوز أن نبنىَ مسجدًا على قبر لتعظيم هذا القبر بالصّلاة إليه، حرام، يكون شبيهًا بعبادته، لو لم يقصد الشخصُ عبادةَ هذا القبر لكن شبيهٌ، كذلك إشعال الأضواء، اتخاذ السُّرُج على القبور حرام.

---

(١) رواه البيهقىّ فِى السنن الكبرى باب ما ورد فِى نهيهن عن زيارة القبور.
(٢) رواه الحاكم فِى المستدرك، كتاب الجنائز.

أما بناءُ القبر فِى المقبرة الموقوفة منهِىٌّ عنه ممنوع، قال بعض العلماء إذا كان يُخشى إن لم يُبْنَ أن تَسْتَخْرِجَه السّباع، تحفِرَ السّباع لتأكل جسَد الميّت يجوز، لحفظ جسَد الميت قالوا يجوز، إن كان يُخشى على جسد الميت أن تحفر عنه السباع القبر لتأكله قالوا يجوز. كذلك إذا كان يُخشَى أن ينبُشَه النّاسُ قبل أن يمضىَ عليه مُدَّةُ البِلَى ليدفنوا فيه الميّت الجديد حفْظًا لهذا المكان من أن يُنبَش قبل أن يبلَى جَسَدُ هذا الميت قالوا يجوز لهذين الغرضين يجوز البناء على القبر وإلا فلا يجوز. قالوا هذا إذا كان فِى الجبَّانَة العَامّة إذا كان فِى أرْضٍ مشتَرَكَةٍ للمسلمين، هذا يدفن فيه ميّتَه وهذا يأخذ ميّته إليه وهذا وهذا، أما إذا دُفِنَ شخصٌ فِى أرضٍ تخُصُّه، أهلُهُ الورثةُ رضُوا بأن يدفنوه فِى أرضه تجوز، هذه ما فيها معصية، والبناء عليه لو بُنِيَت عليه قُبَّة كبيرةٌ ليست حرامًا لأنّ هذا بُنِىَ عليه فِى أرض تخصُّه ليس بناءً فِى جبَّانة عامة أما إذا بنى القبر فِى الجبّانة العامة ففيه تحجير هذه البقعة على الناس الذين يأتون بأمواتهم فيما بعد لأنّهم يتركونه ويعدلون إلى مكانٍ ءاخَرَ، لَمَّا يأتون بالميت الجديد ويرون على هذا المكان هذا البناء يستصعبون يقولون متى ننقضُ هذا البناءَ فنحفر لميتنا لندفِنَه فيه فيتركون هذا المكان فصار فيه حجرٌ فى الحَقّ العام على المسلمين، صار فيه حجر على الناس فِى الحقّ العام.

زيارةُ القبور بعدما أحَلَّها الرسول هى جائزة للرجال والنساء وفى مذهب الإمام أبى حنيفة زيارة القبور فيها

ثواب للرّجال والنساء ليس للرجال فقط، وفى بعض المذاهب كمذهب الشافعىّ زيارة النّساء للقبور ليس فيها ثوابٌ إنما زيارة الرجال فيها ثواب، لكن الشافعية يقولون بعدما نزلت الرخصة هى جائزةٌ للرجال والنساء إنّما للرجال مسنونَةٌ، سنة، أما للنّساء فمكروهةٌ، ليست حرامًا. فمن شاء يأخذ بمذهب الشافعىّ ومن شاء يأخذ بمذهب أبى حنيفة فيعتبر زيارة النساء للقبور سنةً كما هى للرجال، وهذا أىْ مذهبُ أبى حنيفة فِى هذه المسألة أوْلى بالعمل به، المرأة إذا لم تتزين ولم تتعطر وذهبت إلى قبر من يخصُّها بقرابة أو لا يخصّها إنّما هو قبرُ مسلم فلها ثواب، حتى فِى حال الحيض لو ذهبت فسلَّمت تسليمًا ولم تقرإ القرءان يجوز ولها ثواب، لأنّ الحيض لا يمنع إلّا من قراءة القرءان لا يمنع من الاستغفار والصلاة على النبىّ والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ولا يمنع من دعاء الله تعالى، فإذا قرأ شخص القرءان على قبر الميت يصل بلا دعاءٍ أما إن كان فِى غير قبر هذا الميت يدعو بعد القراءة، يقول اللهم أوْصِل ثواب ما قرأتُ إلى روح فلان أو فلانة أو إلى أرواح أهل هذه الجبَّانة أو يقول اللهم أوصل ثواب الفاتحة إن كان قرأ الفاتحة أو ثواب ما قرأتُ إلى روح فلان أو فلانة أو إلى أرواح أهل هذه الجبَّانة، هذا يكون شرطًا إذا لم تكن القراءة على القبر، أما إذا كانت القراءة على القبر دعا أو لم يدع تنزل الرّحمة على هذا القبر لأنه قُرِئَ القرءانُ عنده. أما إذا كانت القراءة فِى البيت للشخص الميت

فيدعو بعدما يقرأ أو قبل أن يقرأ يقول اللهم أوصل ثوابَ ما أقرأه إلى روح فلان أو فلانة أو إلى أرواح أهل هذه الجبَّانة. وإذا كان الدعاء قبل القراءة يقول اللهم أوصل ثواب ما أقرأه إلى روح فلان.

نرجع إلى مسألة النذر، النذر قسمان نذر فيه ثواب يجب الوفاء به ونذر فاسدٌ فيه معصية لا يُوَفَّى به، لا يُنَفَّذ، إذا نذر شخصٌ مَا فيه طاعة لله تعالى يُوَفّى[١]، واجب عليه أن يُوَفّىَ إن استطاع وأما من نذر ما هو معصية فلا يجوز الوفاء به ومن النذر الذِى هو معصية ما يفعله بعض الناس فِى هذه البلاد تنذر المرأة أن تشحَذَ من الناس من أجل ولدِهَا، تنذر فتدُور على النّاسِ لتَلُمَّ، وهذا حرام لأن الشحاذة لا تجوز إلّا لضرورة، الإنسان الذِى لا يجد ما يكفيه لِقُوتِهِ أو لِلباسِه الضّرورى يجوز أن يشحذ أما إنسان يشحذ لغير ذلك كهذه القضية فحرام هذا من نوع النذر المحرم قال رسول الله ﷺ **من نَذَر أن يُطيْعَ الله فَلْيُطِعْهُ ومن نذر أن يعصيَهُ فلا يَعْصِه**[٢] اهـ ورَوَيْنا عن رسول الله ﷺ أنّه قال **لا طاعة لمخلُوقٍ فِى معصيةِ الخالق**[٣] اهـ هذا

(١) مثاله أن التَّحابَّ فِى الله فيه ثواب فمن أحب إنسانًا مسلمًا لله تعالى لا لدنيا ولا لهوًى فله ثوابٌ بمحبته هذه فإذا أراد أن يؤكد محبّته هذه ويقويها بتسمية ابنه باسم هذا الشخص الذِى يُحبُّهُ لوجه الله فنذرَ أن يُسمِّيَ ابنه باسم صديقه هذا فالوفاء بهذا النذر بتسمية ابنه باسم صديقه هذا فيه ثواب، أما إذا كانت المحبة للهوى ليس لوجه الله بل للدنيا أو للجاه فليس فيها ثواب.

(٢) رواه البخاريّ فِى صحيحه، باب إِثْم مَنْ لَا يَفِى بِالنَّذْرِ.

(٣) رواه ابن أبِى شيبة فِى مصنفه، فِى إمَام السرية يأمرهم بالمعصية.

الحديثُ مهمٌّ جدًا لأنّه يدخل فِى أبوابٍ كثيرة. الشخص إذا أمرهُ إنسانٌ قريب له أو بعيدٌ صديقٌ أو بغيض لا يجوز أن يُطيْعَه فِى معصيةِ الله، الأمير الذِى يحكم البلاد لا يجوز أن يُطاعَ فِى معصيةِ الله، كذلك الوالدانِ، الأب إن أمر ابنَه أو بنتَه بمعصية اللهِ لا يجوز طاعتُه فِى ذلك والأم كذلك. كثير من الناس يهلكون هنا، كثير من الأبناء لإرضاء ءابائهم يعصون ربّهم أو لإرضاء أمّهاتهم يعصون ربَّهم كلُّ هذا هلاك، الله تبارك وتعالى هو نهانا أن نُطيْع أحَدًا من خَلْقِه فِى معصيته حرامٌ علينا أن نطيع الأمير أو الوالد أو الوالدة أو الصديق أو القريب فِى معصية الله، سواءٌ كانت هذه المعصيةُ تتعلق بظلم إنسان ءَاخَرَ أو غير ذلك، بعض الآباء الفجرةِ الفاسقين يأمرون أبناءهم بشراء الخمر أو بسكب الخمر فِى الكأس فهنا يجب على الولد عِصْيانُ الأب. ولا يجوز التعصّب والتحيّز للأب أو الأم فِى معصية الله تعالى، مثلًا الأب يخاصِمُ الأم ظلمًا فلا يجوز للولد الذِى يغلب عليه التحيز للأب أن يتحيّز للأب ليساعده على ظلمه للأم وكذلك العَكْسُ لا يجوز حرام، هذا يجب عليكم الاعتناء للعمل به لأن كثيرًا من الناس هلاكهم بالتحيز للأب فِى الظلم أو للأم فِى الظلم أما الذين لا يتحيزون للأب ولا للأم فِى معصية الله إذا كانت المعصية فِى التحيز للأب ضد الأم أو التحيزِ للأم ضد الأب. كثير من الناس ينحازون، وهؤلاء ذنبهم كبير من الكبائر. فالذِى

يجب على الولد أن ينهى الظالم من الأب والأم، قليل الذين يقفون عند حد الشرع فلا يتحيزون للأب فِى الظلم ضد الأم ولا يتحيزون للأم فِى الظلم ضد الأب هؤلاء أقل الناس، أما الأكثر فإما أن يتحيز للأب أو يتحيز للأم فِى الظلم. بل الواجب على الولد أن ينهَى الظالم منهما، إذا عرف أن الأب هو الظالم يجب عليه أن ينهاه بدل أن يساعده، ينهاه حتى يَسْلَم عند الله، فإذا كان هذا فِى الأبوين فهو فِى غيرهما بالأولى.

الحاصل أنه لا يجوز أن يعمل الإنسان بالعصبيَّة أى المعاونة على الظلم لأجل القرابة، إذا اختلف أخوه مع شخص ءَاخَرَ لا يجوز أن يتحيز لأخيه ضد الآخر إذا كان أخوه هو الظالم، فإن تحزب لأخيه ضد ذلك الشخص يكون عند الله تعالى من أهل الكبائر لأنه تحزب لأخيه ظلمًا ضد الشخص الآخر. هذا شىْءٌ كثير جدًا فِى الناس فيجب الحذر من ذلك يقول هذا بحكم العصبية كيف يغلِبُ أخى فيتعصبُ له ويتحيّزُ له بعدما يعرف أن أخاه هو الظالم. وكذلك يفعلون لابن العم، حتى للصديق يفعلون، إذا تشاجر صديقُ شخص مع شخص وكان صديقه هذا ظالمًا يتحزّبُ لصديقِهِ هذا مراعاة لخاطره فيترك طاعةَ الله تبارك وتعالى من أجل خاطر هذا الإنسان فيقعُ فِى معصيةِ اللهِ من أجل خاطرِ صديقهِ هذا، وكلُّ هذا من المهلكات فِى الآخرة ليس هذا أمرًا هيّنًا، الآن فِى الدنيا هيّن لكنه فِى الآخرة يظهر أنّه أمرٌ عظيم الوبال. فهذا الحديث الصحيح **لا**

**طاعة لمخلوق فِى معصية الخالق**[(١)] اهـ يشمل هذا كلّه.
هذا الحديث الصحيح هو من جملة جوامع الكَلِمْ التى أوْتِيهَا نبيُّنا ﷺ، الله تعالى رزقَه من الفصاحة والبلاغة ما لم يَرْزُق أحدًا من المخلوقين، أعطاه كلماتٍ كثيرةً، ألهَمَهُ إيّاها كلٌّ واحدة تجمع معانِى كثيرة، هذه يقال لها جوامِعُ الكلِم.

انتهى والله تعالى أعلم وأحكم.



(١) رواه ابن أبِى شيبة فِى مصنفه، فِى إمام السرية يأمرهم بالمعصية.

**الدرس العاشر**



# بيان الأولياء وأحوالهم وأحوال المجاذيب الذين غابت عقولهم



**درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر تشرين الأول سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف روميّة الموافق للثانى والعشرين من المحرم سنة أربع وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة وهو فِى بيان الأولياء وأحوالهم وأحوال المجاذيب الذين غابت عقولهم قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً**

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضلُ وله الثناءُ الحَسن وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنّ محمدًا عبدُه ورسوله صلواتُ اللهِ البَرّ الرّحيم والملائكة المقرّبين على سيّدنا محمدٍ خاتم النّبيين وأشرفِ المرسلين وعلى ءاله وأصْحابه الطّيبين أمّا بعد

فإنّ الله تباركَ وتعالَى أنعَم على عبادِه بنعم لا يحصِيْها إلا هو وكانَ من تلكَ النّعَم اللّسان فإنَّ الله تباركَ وتعالَى جعَلَ اللسانَ للإنسان ليعبّرَ به عن حاجاته

التى تُهِمّه لتحصيلِ مصالِح دينِه ودُنْيَاه، هذا اللسان نعمةٌ من الله تعالى على عباده ليحصّلُوا به مصالح دنياهم ومصالحَ ءاخرَتهم أى ليستعملوه فيما ينفَعُهُم ولا يضُرُّهم، فمن استعمل هذا اللسان فيما ينفَعُه ولا يضُرُّه فليسَ عليه حرجٌ وليسَ عليه مؤاخذةٌ فِى الآخرة، وأما من استعمله فيما نهاهُ الله عنه فقد أهلَكَ نفسَه ولم يَشْكُر ربّه على هذه النعمة الجَسِيْمة العظِيمة، جعلنا الله تعالى مِمَّن يحفَظُ هذه النعمة ويشكُرُ ربَّه عليها باستعمالِها فيمَا أذِنَ فيه وبِكفّها عمَّا نَهى عنهُ. روّيْنا بالاسنادِ الصّحيح من كتاب الصّمت لابن أبِى الدّنيا عبدِ اللهِ بنِ محمّد بن عُبيد القُرشِيّ قال بالإسناد إلى رسولِ الله ﷺ **خَصْلَتَانِ ما إن تجَمَّلَ الخلائِقُ بمثلِهِما حُسْنُ الخُلُقِ وطُولُ الصَّمْت**(١) اهـ معنى طولُ الصّمت أىْ تقليلُ الكَلام، طولُ الصمتِ يكونُ مطلوبًا محبوبًا عندَ اللهِ تَعالى فِى غيرِ ذِكْرِه أمّا فِى ذكرِه فإكثارُ استعمالِ اللسان مطلوب، الله تبارك وتعالى يحبُّ العبدَ الذِى لا يزالُ لسانُه رَطْبًا من ذِكْرِ الله لا سِيّما التهليلُ لا إلٰه إلا الله. طولُ الصّمتِ الذِى أخبرَ الرسولُ ﷺ أنّه خَصلةٌ محبوبةٌ عندَ اللهِ تعالى هو الصّمتُ عمّا سِوَى ذِكْر الله تعالى والمعنى أن الإنسانَ ينبغِى له أن لا يتكلمَ إلا بكلامٍ ليسَ عليه فيه مؤاخذةٌ عندَ الله تعالى.

ثم الأشياء التى ينبغِى حفظ اللسان عنها من الكلمات كثيرةٌ ومن أكثرها وقوعًا من الناس الغيبة،

(١) كتاب الصمت لابن أبِى الدنيا باب ذم الكذب.

الغيبةُ هِىَ من الكبائر إلاّ فِى غيبةِ العُصَاة فإنّ غيبةَ المتّقين أعظَمُ إثمًا عندَ الله من غيبة غيرهم. ثم إنّ الغيبة فسّرها رسول الله ﷺ فِى حديث رواه كثيرٌ من المحدّثين كأبِى داودَ رحمهُ الله فإنه رواه من طريق أبى هريرة رَضِىَ الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أنّه قال **أتدرُون ما الغيبة** قال عليهِ الصّلاةُ والسّلام **ذكرُك أخاكَ بما يكْرَه** قِيْلَ يا رسولَ الله إن كانَ بما فيه **قال إن كانَ بما فيه فقدِ اغتبتَه وإن كانَ بما ليسَ فيه فقَد بهَتَّه**(١) اهـ هذا تفسيرُ الغيبةِ، الغيبةُ هِىَ أن تذكر مسلمًا بما يكرَه لو سَمِعَ مما فيه أى هو متصف بهذا الشىء الذِى يكره أن تذكره به فِى خلفِه، ثمّ أفهمَهُم أنّه إذا ذُكِر المسلِم بمَا ليسَ فيه ممّا يكره يكونُ ذلكَ بهتانًا أىْ فهو أشَدُّ إثمًا لأنه اجتمعَ فيه سيئتان سيئةٌ أنّه ذكرَ أخاهُ المسلمَ بما يكره وسيئةٌ هى ذكره بما ليسَ فيه ممّا يكره، فهناك كثير من النّاس يظنون أنّه إذا ذُكِر المسلم فِى خلفه بما يكره أنّه ليسَ عليهم حرجٌ لأنهُم ذكروه بما فيه يقولُ أحدُهم أنا أقولُ هذا فِى وجهه كأنه يقول أنا لا بأس علَىَّ إن ذكرته إن اغتبته لأنى أغتابه بما فيه لا أغتابه بما ليس فيه. على زعمهم ذِكْرُ المسلم بما يكره فِى خلفِه بما فيه ليسَ حرامًا هذا ظاهرُ أحوالِهم، ظاهر أحوالهم أنهم يعتقدون أن ذكرَ المسلم بما يكره مما فيه ليس حرامًا إنما الحرامُ على زعمهم أن يُذكَر المسلمُ بما يسوؤه بما يكرَهُهُ فِى خلفِه بمَا ليسَ فيه. هذا ظنٌّ

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب تَحْريم الْغِيبَةِ.

فاسد، والحقيقةُ أنّ الغيبةَ التى حرّمَها الله تعالَى نَصًّا فِى القرءان الكريم وشبَّهها بأكلِ لحمِ الأخِ هِىَ ذكرُ المسلم بما يكره ممّا فيه. وهذا الحكَم عامٌّ فِى سائرِ الأحوال التى يُذكَر فيها المسلم بما يكره فِى خلفِه ممّا فيه إلّا فِى حالاتٍ استثناها الشّرع، وأباح فيها ذكرَ المسلم بما يكرهُهُ، فتِلكَ أى الغيبةُ التى استثنَاها الشّرع لا إثم فيها وإن كانَ يطلقُ عليها الغيبة من حيثُ اللغة، أما من حيثُ التحريمُ الشرعى فلا تدخل تلكَ المواضع بالغيبة المحرّمة. ومنها التحذير وهذا شاملٌ لجَميع طبقاتِ النّاس إلا الأنبياء فإنَّ الأنبياء ليسَ فيهم ما يبيحُ ذكرَهُم بما يكرهُون. فمَا سوى الأنبياء من طبقات البشر بما فيهم منَ العلماء والزّهّاد والصّحابة والصالحين يجوز ذكرهُم بما يُكْره ممّا فيهِم للتّحذير. فإن قيلَ كيفَ يجوزُ غيبةُ الوَليِّ أىْ ذكرُه بمَا فيه للتّحذير فالجوابُ أنّ الوليّ يحصُلُ منه المساوِئ أى السّيئات، وقد تحصلُ منه أخطاءٌ هِىَ غيرُ معصية لكن مما يَضُرُّ النّاسَ فهنَا يجبُ التحذيرُ من هذا الإنسان الذِى هو صالح وليّ إذا حصل منه ما يضُرُّ الناسَ وذلكَ لأنّ الخطأ فِى الفتوى جائزٌ على الصّالح الذِى هو وليّ من أولياءِ الله فيجوز أن يقال فلان غلط فِى فتواه بكذا وكذا وإن كانَ ذلكَ الشخصُ من أولياء الله الصّالحين، لأن ذلك الوليّ إن كان مجتهدًا فليس عليه وزرٌ فِى خطئه لكنّ اقتداء غيرِه به فِى ذلك الخطإ مَضَرَّةٌ للغير، فمن أجل الحذر من هذه المضرّة يجوزُ ذِكْرُهُ بما فيه للتحذيرِ من فَتواه هذه. أمّا الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام فإنّهم وإن جاز صُدُورُ الصّغائر الِتى هِىَ ليست من صغائر الخِسّة منهم لكنهم يُنبّهون فورًا فيتوبون منها فلا حاجة إلى التّحذير، فمن هذا البابِ نَجِدُ كثيرًا من كتب الفقهاء فِى مؤلفاتهم عند ذكر المسائل وقد غلِط فلان أو هذا غَفْلَةٌ منه أو قال فلان كذا وهو مردود، هذا كثيرًا ما يوجد فِى مؤلفاتِ الفقهاء والعلماء مع كون أولئكَ المذكورين الذينَ يُحَذَّرُ من قولهم هذا قسم منهم صالِحون أولياءُ وقسمٌ منهم دونَ ذلكَ لكنّ الحكمَ شاملٌ، ليس التحذيرُ خاصًّا بمن هم أهل الكبائر لأنَّ الخطأ بالفتوى يجوزُ على الصّالح الذِى هو من أولياء الله تعالى، ليسَ معنَى الولاية أنّه مبرّأ من كلِ خَطإٍ وليس معناهُ أيضًا أنّهُ مُبَرَّأ من المعاصِى صغائِرها وكبائِرها وإنّما الولىّ معصوم من الكفرِ حتّى إنّ المجاذيب الذينَ هم من أولياءِ الله فِى الباطن قد يتكلّمونَ فِى حالِ غيبوبةِ العَقل بما هو حرام وبما هو كفرٌ أيضًا يتكلّمونَ، لكنهم معذورونَ لأنّ القَلَمَ رُفِعَ عنهُم لكونِهم فِى حالةِ غيبوبةِ العَقْل، فإذا صدَر من أحدِ هؤلاء المجاذيب وهم من أولياء الله فِى الحقيقة فِى حالة غيبوبة عقولهم ما هو محرّم أو ما هو كفر فليسَ لغيرهم الاقتداءُ بهم لا يجوز أن يقال هذا فلانٌ ولىّ وقد قال كلمة كذا فأىّ بأسٍ فِى ذلك فلنقتد به بل نعتقد أنّه معذورٌ عند الله لكونه غائبَ العقل، لكن نحذّرُ الناسَ منه نقولُ للذينَ لا يعلمونَ بأحوالهم لا تزوروهُم لا تذهبوا إليهم لأنّ الذِى لا يعرفُ أحوالَ المجاذيبِ يَقْتَدِى بهم إن سمع منهم كفرًا يقولُ عن

ذلك الكفر لا بأس به لأنّ هذا وليّ وقد تفوّه به فلا بأس إن تفَوَّه هنا به فيَهلِك ويَخْسَر الذِى اقتدى بهم. مرّةً ذُكِر لِى شخصٌ فِى دِمشقَ أنّه من أهلِ الجذب وأنّه من الأولياء فذهْبنا لزيارته فوجدنَاهُ رثَّ الثيابِ رثَ الهيئة حتى كأنّ الوسَخ متجَسِدٌ عليه كأنّه لَبِسَ الوَسخ، فجلَسْنَا عنْدَه برهة فشممْنا رائحةَ الخمر ثم خرجنا من عنده لنصلِّى فصادفْنا على البابِ رجلَين فسألناهما أين المسجد فقالا ما هو المسجد استهزاءً، قلنا لهما مكَانُ الصّلاة فقالا ما هِىَ الصلاة، يستهزءان بالصلاة هذانِ الرّجلان يصحبان هذا المجذوب، وهذا المجذوبُ غائبُ العقل الذينَ يجلسون إليه من الجُهّال لا يَرَوْنَه يقوم للصّلاة، يلعَب معهم بهذه الشّدّة وأظن يُحضِرونَ الخمر إليه فيشرب معَهُم فهؤلاء الجهال الذين يجالسونه أخذوا فكرةً أن الولاية ليس من شرطها الصّلاة ليسَ من شرطِها تجنُّبُ المسكرات والمحرمات إنما الولاية أمرٌ سِرٌّ من أسرار الله تعالى يمنَحُها من عبادِه من يشاء، هذا وليٌّ صاحب خوارق وعجائب ومع هذا لا نراه يقومُ للصلاة ويشربُ الخَمر معَنا ويلعبُ بالشّدة معنا، فلما سألنا هذين عن المسجد استَهْزَءَا بالصلاة والمسجد كأنّهما يقولان أنتم من الذين يعتقدون أن فِى الصلاة شأنًا وأن فِى المسجد شأنًا، ليس الشأن فِى ذلك إنّما الشأن فِى الأسرار التى يمنَحُهَا الله لمن يشاء من عباده وليس الصلاة شرطًا لذلك هِىَ مِنحَةٌ موهبَةٌ من الله يمنَحُهَا من يشاءُ من عباده. وهذا المجذوب واحدٌ من كثير كان تخرّج فِى

الشّام من كلية الشريعة كان أخذ قِسْطًا وافيًا من الفِقه لكنه بعد أن جدّ واجتهد فِى العبادة استغرق فصار يغيبُ عقلُه فيتكلم بما لا يجوز ويفعلُ أفعالًا غيرَ جائزة بغيبوبة عقله وهو فِى تلك الحالات معذور لكنَّ المقتدينَ به الذينَ يصاحبونَه ويظنُّونَ به أنه فِى صَحْوه وأنّ كلَّ ما يفعَلُه رَمزٌ وإشارة، إن تكلم بكلمة كفر يفسّرونها بأنه يتكلم بها فِى حال عقله ووعيه وذلك رمز عن شَىْءٍ باطن يؤَوّلونه بأشياء على خلاف ظاهرها ويقولون عن ذلك رمز، لا يدرون أنَّ هذا المجذوب كان من أولياء الله ولا يزال وليّا لكنّه غابَ عقلُه فصارَ ظاهرُهُ خبيثًا وإن كان باطنه لا يزال عند الله تعالى زاكيًا طاهرًا طيّبًا. كذلك مرةً مجذوب ءاخر وهذا يصلّى الصلوات الخمس ما وصل إلى حدّ أنّه غابَ عقلُه عن الصلواتِ الخمس لكنّه يتكلّم بكلامٍ غير موزُونٍ شَرعًا، سمعتُه مرة لما كنا نتماشى أنا وإياه، يسب الله، يلعن الله، فأنكرتُ عليه قال أنا قلت هذا؟ ثم وصلنا معه إلى مكانٍ فوجدنا إنسانًا رثَّ الثياب رثَّ الهيئة ليس على جسده شىء يلبسه سوى قميص فصار يتكلم مع هذا الوليّ الذِى أنا أماشيه فصار يتكلم معه فيما بينَهُما فصرت أرى كأنه يتقاطر منه البول فقلت فِى نفسى هذا أيضًا من هذه الطائفة المجاذيب الذينَ ابتلاهُمُ الله تباركَ وتعالى فخَربت ظواهِرُهُم وإن كانت بواطِنُهُم صالحة. فالحذَر الحذَرَ من الذهاب إلى هؤلاء المجاذيب الذينَ وصلُوا إلى حدّ أنهم لا يحفظونَ ألسنتهُم وجوارحَهُم من المعاصى أى أنّ الذِى يدخلُ

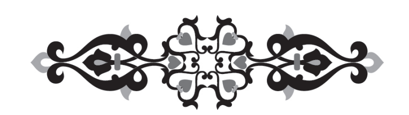
عليهم ويزورهم ولا يعرفُ أحوالَهم قد يَنْضَرُّ بهم ويعتقِدُ الحَرامَ حلالًا ويعتقد أنّ الصلاةَ ليسَ لهَا أهميّة فيقولون المهم هو السّرُّ الذِى يمنَحُه الله لمن يشاءُ من عبادِه يظن انه ليسَ المهِمُّ الصلاة ليس المهِم المحافظة على اجتنابِ ما حرّم الله تباركَ وتعالى، هؤلاء والعياذُ بالله يكفرونَ ولا يشعُرُون كذَينك الرجلين اللّذين صادفناهما قادمين للدّخول على ذلك المجذوب فوجدناهما يستهزءان بالمسجد وبالصلاة.

على زعمهم هذا بحسب الظاهر لا يقوم بالصلاة ثم لا يتجنّب كثيرًا من المحرمات، ظنوا أن الولايةَ أمرٌ وراءَ ذلك، لا يُشترط فيه المحافظةُ على الصّلاة والمحافظةُ على تجنُّبِ المحرّمات كالمسكرات، هذا من فرطِ الجَهل، وكثيرٌ منَ النّاس اليومَ هكذا، لو دخلُوا على هذا المجذوب فسمِعُوه يَسُبُّ الله يقولون هذا يسُبُّ الله وهو وليٌّ صالح له كرامات وعجائب يقولون هذا رمزٌ ما عليه ذنب ولا يكفُر لذلك، لا يعرفون أنه غاب عقلُه فخرج عن التكليف ولا يكتَبُ عليه شىء.

هؤلاء المجاذيب أولياءُ، لا يزالون أولياءَ، عمُّ رسولِ الله ﷺ حَمزةُ بنُ عبدِ المُطّلب سيّد الشهداء كان فِى الوقت الذِى كان فيه شربُ الخَمر جائزًا شربَ خمرًا هو وجماعة ففِى حالِ ثَمَلِهِ أى سُكْرِه وغيبوبَة عقلِه بالخَمر قامَ إلى ناقتين هما لعلِىّ بن أبى طالب فَبقَر بطونَهُما هو ليَطْعَم هو ويُطعِمَ جُلَسَاءَهُ الذين هم

يشربونَ الخمر، ثم أَخْبَرَ عليٌّ النّبىَّ ﷺ فدخلَ عليهم فنظر إليه حمزة الذِى هو مُتَفَانٍ فِى محبّةِ الرّسولِ ﷺ فصَعَّدَ نَظَرَهُ وصَوَّبَه، نظرَ إلى أعلاَهُ وإلى أسفَله وقال هل أنتم إلاّ عَبيدُ أبِى؟ يَعْنِى الرسولَ ﷺ ومن جاء معَهُ، قال أنتُم عَبيدُ أبِى، الرسول عَرَفَ عذْره فتركه وانصرف وهذه القصة رواها ابن حبان وغيره، هذا كان من الأولياء حمزَةُ بنُ عبدِ المُطّلب، كان من أولياء الله الصلحاء، مع ذلك غاب عقلُه بشربِ الخَمر فحصَل منه هذا الشىء لو كانَ حصلَ هذا من الشخص المسلم فِى حال عقلِه لخرجَ عن الإسلام، الذِى يقول للرسول ما أنت إلاّ عبدُ أبِى ماذا يكون؟ أليس انتقصَ الرسول؟ وانتقاصُ الرسولِ ﷺ كفرٌ، نحن نأخذ من هذَا أنَّ الإنسان إذا خرجَ من عقلِه ليسَ عليه تكليف.

انتهى والله تعالى أعلم وأحكم.



## الدرس الحادى عشر



# بيان بعض معجزات النبى ﷺ وعلو شأنه



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان بعض معجزات النبىّ ﷺ وعلو شأنه.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه الأنبياء.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أكرم أنبياءه بالمعجزات وهى الأمور الخارقة للعادة الموافقة لدعوى النبوة التى لا يستطيع المعارضون المكذبون أن يأتوا بمثلها، فِى هذا المعنى فارقت المعجزة السحر لأنّ السحر يُعارَضُ بالمثل أما المعجزة فلا يستطيع المعارضون أن يأتوا بالمثل وكان ذلك شهادة من الله تبارك وتعالى لصدق هؤلاء الأنبياء فِى ما جاؤوا به من الإخبار بالمغيبات التى ستحدث فِى الآخرة لأنهم

أخبروا أنه يكون فِى القبر عذاب وأنه يكون فِى الآخرة حساب وثواب وعقاب وأنَّ فعلَ كذا حرام أى يبغضه الله تعالى ويعاقب عليه فِى الآخرة وأن فعل كذا قُرْبَةٌ إلى الله وهم صادقون فِى كل ذلك فكانت المعجزات شاهدة لهم على ذلك لأنهم بشر مثلنا وقد أَتَوا بهذه الخوارق التى لا يستطيع المكذبون أن يأتوا بمثلها فتعين ووجب وثبت صدقهم.

وكان نبينا محمد ﷺ أكثَرَهُم معجزاتٍ وأقواهم لأن من معجزاته إحياءَ الجماد وإنطاقَه، هذا من جملة معجزات الرسول محمد ﷺ فكانت معجزاتُهُ أكبر وأكثر من معجزات غيره كإحياء الموتى الذِى حصل لعيسى لأن هؤلاء الموتى كانوا قبل أن يموتوا أحياءَ ثم عادوا إلى ما كانوا عليه أمَّا الجمادُ فإنه لم يسبق له أنه كان يتكلم لم يسبق له حياةٌ وقد حصل لرسول الله ﷺ ذلك فِى أكثر من حادثة، من ذلك حنينُ الجذع أىِ النخل أى أصلِ شجرةِ النخلِ المقطوعةِ اليابسةِ كانت فِى مسجد رسول الله ﷺ كانت فِى قبلة المسجد يستند إليها حين يخطب للجمعة ثم عُمل له منبر فوقف على المنبر فبدأ يخطب فحَنَّ ذلك الجذع الذِى كان يستند إليه عند الخطبة بشدّةٍ إلى النبىِّ ﷺ فنزل إليه النبىُّ ﷺ فِى أثناء خطبته فالتزمه أى ضمّه إليه حتى سكن وسكت، هذه خارقة عظيمة لأنه إنطاق للجماد.

وشبيهُ هذا أنه ﷺ أتى إلى العباس عمه فقال له لا تَرُمْ أنت ولا أولادك أى اثبتوا فِى البيت ثم جاء إليهم

الرسول ووضع عليهم أىْ على الجميع ثوبًا ودعا لهم فأمّنت أُسْكُفَّة الباب وجدران البيت بصوت مسموع قالوا ءامين ءامين ءامين، هذا أعجبُ من إحياء الميت الذِى حصل لعيسى ابن مريم لأنّ هذا إنطاق الجماد فهو أعجب من عَوْدِ شخص ميت إلى حالته التى كان عليها من النطق والكلام.

ثم كان من معجزاته ﷺ أنه أُسْرِىَ به من مكة إلى المسجد الأقصى فِى جزء من ليلة ثم عُرج به عقب ذلك إلى السموات العُلَى إلى حيث شاء الله أُسْرِىَ به وعُرج بجسده وروحه يقظةً لا بروحه فقط ولا بالمنام هذا القول الصحيح الذِى ثبت فِى الحديث الذِى رواه أنسُ بن مالك رضى الله عنه، ليس فيه ذكر أنه كان نائمًا، وكان ذلك فِى شهر رجبٍ قبل الهجرة بخمس سنوات ففُرضت عليه الصلوات الخمس فِى تلك الليلة فِى المقام الذِى سمع فيه كلامَ الله المنزَّهَ عن الشكل والهيئة والشبه لكلام المخلوقين سمع كلامه الأزلى الأبدِىّ الذاتِىّ الذِى ليس بحرف ولا صوت لأن الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه أن يتكلم كما يتكلم الواحد منا بلغة معينة أو ان يكون متكلمًا بجميع اللغات كما يتكلم العباد هذا لا يجوز عليه لأنه لو كان يتكلم بلغة أو بجميع اللغات كما يتكلم العباد بها لكان مثل العباد ولو كان مثل العباد لم يكن إلهًا لم يكن منفردًا بالألوهية بل لجاز أن يشاركه فِى الألوهية غيره وذلك مستحيلٌ لأن غير الله سبحانه وتعالى قام به دلائل الحدوث أىْ كلُّ ما سوى الله دلَّ الدليلُ العقلىُّ على

أنه لم يكن موجودا ثم كان موجودًا.

ثم رأى ذاتَ الله تبارك وتعالى فِى وقتٍ غيرِ وقتِ سماعِ الكلامِ رءاه بفؤاده لا بعينه. وفِى حديثٍ صحيح الإسناد عن عائشة رَضِىَ الله عنها أنه قيل لها إن محمدًا رأى ربه فقالت من قال إن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية أىْ كَذَبَ كذبًا كبيرًا ثم قال لها الشخص يحاورها ألم يقل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[1] فقالت أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال إنما هو جبريل اهـ ورَوَى أبو ذَرّ الغِفاريُّ رضىَ الله عنه عن النبىّ ﷺ أنه قال حين سأله هل رأيت ربك، رأيته بفؤادِى ولم أرهُ بعينِى اهـ وكان وقتُ رؤية النبىّ لربه غيرَ وقت سماع كلامه لأنه لا يحصل فِى الدنيا لأحد من البشر رؤية الله وسماع كلامه فِى ءانٍ واحدٍ وذلكَ مأخوذٌ من قولِ الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[2] فمعنى أو من وراءِ حجاب أىْ من غير رؤيةٍ، تكليمٌ من غير رؤية، يصح للبشر، حصلت لموسى سمع كلام الله وهو فِى جبل الطور فِى الأرض أما محمد فقد سمع كلامه فِى ذلك المستوى الذِى كان يسمع به صريف الأقلام فوق السموات السبع حيث شاء الله تعالى وموسى ﷺ اخْتَصَّ بتسميته كليم الله لأنه لم يسمع كلام الله الذاتِىّ

(١) سورة النجم/الآية (١٣).
(٢) سورة الشورى/الآية (٥١).

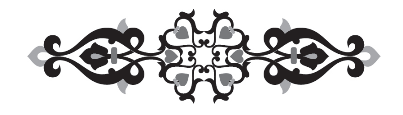
أحد فِى الأرض إلا هو فلذلك خصَّ بالشهرة بكليم الله لا لأن أحدًا سواه لم يسمع كلام الله الذاتِىَّ فموسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم سِيَّان فِى أنهما سمعا كلام الله الذاتى لكن موسى سمعه وهو فِى هذه الأرض التِى خُلق فيها فسمى كليم الله أما محمد فقد سمع فِى غير هذه الأرض وهو ذلك المستقرُّ الذِى وصل إليه بعد أن جاوز سدرة المنتهى.

الله تبارك وتعالى لا يجوز اعتقاد الحركة والتنقل فِى حقه، هو مُنَزَّهٌ عن الحركة والسكون والتنقل فلا يجوز اعتقاد أن الله تعالى دنا فتدلى إلى محمد بذاته بمعنى الحركة والنزول الحسىّ فهذا مستحيل على الله بل معنى قول الله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[1] أن جبريل دنا من محمد فتدلى عليه فكان ما بينهما من القرب قاب قوسين أى قدر ذراعين العرب تسمى الذراع قوسًا لأنه يقاس به. ومعنى ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ بل أقربُ من قاب قوسين، ﴿أَوْ﴾ بمعنى بل، ومن اعتقد أن هذا الدنو من الله أن الدنو والتَّدلّى من الله إلى محمد من دون أن يعتقد أن هذا الدنو والتَّدلّى حِسّيّان أى بالمسافة والحركة فليس عليه ضررٌ فِى اعتقاده وهذا يُروى عن جعفر الصادق رَضِىَ اللهُ عنهُ لكن ما ثبتَ عنه ويُرْوَى عن غيره أىْ أن هذا الدنو والتَّدلّى من الله إلى محمد بالمعنى لا بالحس الدُّنُوُّ

(١) سورة النجم/الآية (٨-٩).

المعنوى والتَّدلّى المعنوى ليس فيه ما يضرُّ الاعتقاد إذا قيل إنّ الله دنا من محمد تَدلّى إليه ليس بطريق الحسّ والحركة والمسافة بل بالمعنى أىْ زاده إكرامًا ورِفعة وشرفًا بهذا المعنى جائزٌ لكن الضلال والكفر هو أن يعتقد أنّ الله تعالى تحرك من المكان الذِى كان فيه حتى نزل إلى محمد فاقترب منه حِسًّا وَمَسَافَةً حتى كان ما بينهما كالحاجب من الحاجب، فِى دمشق كانوا يذكرون هذا، بعض الجهلة الذين لا يفهمون العقيدة يقولون دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أى اقترب من حيث المسافة حتى صار ما بينهما كهذا الحاجب من هذا الحاجب وهذا ضلال مبين.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين لا إلٰه إلا أنت.



**الدرس الثانِى عشر**



# بيان وجوب العمل بالسنة وأصول الإيمان



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى سويسرة سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق لسنة إحدى وتسعين وتسعمائة وألف ر فِى لوزان وهو فِى بيان وجوب العمل بالسنة وأصول الإيمان.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين وسلم

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى فِى سورة النور ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[1] فِى هذه الآية دليل على أن العمل بحديث رسول الله ﷺ فرض كما أن العمل بالقرءان فرضٌ. الله تعالى أنزل على رسول الله نوعين مِن الوَحْى الوَحْىُ القرءانِىّ والوحىُ الحديثِىُّ فمن أنكر واحدًا منهما فقد كفر. بعض الناس من أهل هذا العصر يكون فِى قلوبهم ما فيها من الزغل والفساد

(١) سورة النور/الآية (٥٤).

فيتسترون أمام الناس بقولهم لا نعمل إلا بالقرءان نعمل بالقرءان فقط فهولاء ملحدون لأنه لو كان لا يجب الأخذ بالحديث إلّا بالقرءان ما ذكر الله تبارك وتعالى إلا طاعته ما ذكر طاعة الرسول لكنه ذكر طاعته وطاعة الرسول أمرنا بطاعته سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ﷺ ففهمنا أن الحديثَ العملُ به أى قولِ الرسول وفِعْلِه فرضٌ لازم كما أن ما نصَّ عليه القرءان فرض لازم.

ثم إن الحديث الذِى يجب العمل به هو ما رواه الثقات، الصحابة لا يكذبون على رسول الله ﷺ، أيُّ فردٍ واحدٍ منهم لا يكذب على النبى عليه الصلاة والسلام، الصحابىُّ إذا روى حديثًا عن رسول الله فهو عدل فِى روايته عن رسول الله لا يُتَّهَمُ بالكذب أما فِى مَن بعد الصحابة فيُشترط أن يكون الراوِى ثقةً، كذلك فيمن بعد التابعىّ يشترط أن يكون الراوِى ثقة. معنى الثقة هو الذِى سَلِمَ من المعصية الكبيرة ومن الإصرار على الصغيرة بحيث تزيد معاصيه على طاعاته فمن غلبَتْ معاصيه طاعاته فهذا ليس ثقة. فالحديث الذِى يرويه أناس من التابعين وممن بعدهم مَنْ هُمْ ثقةٌ بمعنى أنهم عدولٌ سالمون من الكبائر ومن أن تكثر صغائرُهم وتزيد على حسناتهم، مَن سَلِمَ من ذلك وكان أيضًا متخلّقًا بخلق أمثاله لا يتعاطى عملًا الناسُ يعتبرونه رذالة وخساسة ودناءة مثل الذِى يُطَيّرُ الحمام فإنّ تَطيِيرَ الحمام يُنافى العدالة لأن نفوس الناس لا تثق به، كذلك الرَّقَّاص لو كان يؤدّى الفرائض ويجتنب المحرمات الرقَّاص وأمثاله ليسوا مقبولين فِى رواية

الحديث عن رسول الله فمن سلم من الكبائر والإصرار على الصغائر أىْ من أن تزيد صغائرهم على حسناتهم وكان متخلقًا بأخلاق أمثاله لا يكون ممن يتعاطى ما يكون عند الناس خساسةً محلًّا للتهمة والنفور عن قبول كلامه فهو عدلٌ، فالحديث الذِى يرويه هؤلاء يجب العمل به كما يجب العمل بالقرءان، أما هؤلاء الملحدون المتسترون بدعوى أنهم لا يعرفون الحديث الصحيح من غيره يقولون الحديث اختلط ما يدرينا بالصحيح منه من غير الصحيح فهؤلاء يقال لهم الحديث له أهلٌ ميَّزوا صحيحَهُ من سقيمه فما صحَّحَهُ أهل الحديث فهو كلام الرسول فهو الذِى أمرنا الله تبارك وتعالى أن نطيع الرسول الذِى عناه بقوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[١]. هذا الحديثُ الذِى يرويه هؤلاء الثقات لو ثقةٌ واحد عن مثله رواه فيجب العمل به كما يجب العمل بما جاء فِى القرءان ثم إن كل ما ثبت عن رسول الله من الفرائض والنوافل يُسَمَّى سنَّةَ رسول الله أىْ طريقته ليس معنى السنة فِى الأصل ما قابل الفرض، لا، هذا اصطلاحٌ للفقهاء، الفقهاءُ فِى مؤلفاتهم إذا أرادوا الفرق بين الفرض وغيره من أمور الدين من أعمال الدين يقولون هذا فرض هذا سنة أما فِى الأصل فالسنة تشمل الفرائض والنوافل، كلُّ ما جاء به رسول الله يقال له سنةٌ، سنةُ رسول الله ﷺ ثم إذا أريد تمييزُ ما هو فرض مما هو ليس بفرض يقال

(١) سورة النور/الآية (٥٤).

هذه سنة واجبةٌ سنة مفروضةٌ وهذه سنة غير مفروضة غير واجبة يُمَيَّزُ على هذا الشكل وهذا الذِى عناه رسول الله بالحديث المشهور الصحيح[١] الذِى ذكر فيه الستة الذين لعنهم الله ولعنهم كل نبىّ مجاب ذكرَ الرسولُ فِى هؤلاء الستة التاركَ لِسُنَّتِه المُفارِقَ للجماعة قال **والتاركُ لسُنَّتِى** قال فِى تعداد هؤلاء الستة **والتارك لسُنَّتِى المفارق للجماعة** معنى التارك لسنتِى أى العقيدةِ التِى أنا جئتُ بها التِى هِىَ أصول العقيدة وفروعها، العقيدةُ لها أصولٌ ولها فروعٌ ولها أصلُ الأصولِ، العقيدة منها أصولٌ ومنها أصلُ هذه الأصول ومنها أصول ليست بمثابة هذه بل أقل منها أهمية، أصل أصولِ العقيدة هو معرفة الله ورسوله أى الإيمان بهما ليس مجرد المعرفة [أىِ العلم] لأن مجرد المعرفة لا يكون الإيمانَ الذِى يوجِبُ النجاة فِى الآخرة وذلك لأن الإنسان قد يعرف الشىء وينكره مع معرفة قلبه، ينكر الشىْءَ الذِى يعرفه قلبُهُ كما قال الله تبارك وتعالى عن اليهود ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ﴾[٢] معنى هذه الجملة أن اليهود كانوا يعرفون أن محمدًا نبى الله، كيف كانوا يعرفون لأن كتابهم التوراة وكتبَ الأنبياء الآخرين وكتبَ علمائهم المسلمين كانت تذكُرُ محمدًا ﷺ بنعته وصفته فهم وَصَلَ إليهم هذا فعرفوا أن محمدًا

---

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه فِى ذكر لعن المصطفى مع سائر الأنبياء أقواما من أجل أعمال ارتكبوها.

(٢) سورة الأنعام/الآية (٢٠).

نبِىّ الله لكن عنادًا ينكرونه يكذبونه بألسنتِهِم وقلوبُهم تعرفه تعرفُ أنه نبِىٌّ، هذه معرفةٌ بلا تصديق معرفةٌ بلا إذعانٍ المعرفةُ إذا اقترن بها الإذعان أىْ رضا النفس بالشىء الذِى عَرَفْتَهُ، إذا نفسُكَ رضيتْ بالشىء الذِى عَرَفْتَهُ بقلبك فهذا هو الإيمان، أما مجرد المعرفة مع عدم الإذعان ليس إيمانًا مقبولًا عند الله إنما الإيمان الذِى هو مقبول عند الله الذِى يوجب لصاحبه الخلودَ فِى الجنة والنجاةَ من الخلود فِى النار هى المعرفة التى قارنها إذعانُ النفس أى قبول النفس، إذا اجتمعت المعرفة والقبولُ فِى القلب هذا هو الإيمان، مجرد المعرفة لا تكفى لكن إذا قلنا الإيمان معرفة الله ورسوله فالمراد تلك المعرفة التى يَقترن بها الإذعانُ القلبىّ.

المراد بالسنة فِى هذا الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام فِى تعداد الستة الذين لعنهم الله ولعنهم الأنبياء **والتارك لسنتى المفارق للجماعة** من ترك عقيدة أهل السنة التِى كان عليها الصحابة ثم التابعون ثم أتباع التابعين وهلم جرًّا، الأُمَّةُ لا تخرج عن ذلك، جمهور الأمّة لا يخرجون عن تلك العقيدة فهؤلاء الذين شَذُّوا فِى العقيدة عمّا كان عليه الصحابة ومن تبعهم هؤلاء الذين لعنهم الله ولعنهم كلُّ الأنبياء أما من خالف فِى الأعمال بأن ارتكب محرّمًا أو ترك فرضًا من الفرائض العملية ليست من الفرائض الاعتقادية فهذا يستحق العقاب لكن ليس مثل أولئك الذين شذوا فِى العقيدة عمّا كان عليه الصحابة ومن تبعهم.

هِىَ هذه العقيدة منها معرفة الصفات الثلاث عشرة الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والوحدانية والقيام بالنفس أى استغناء الله عن كل شىء أنه لا يحتاج إلى غيره لا ينتفع بأحد ولا ينضرُّ بأحد والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام والحياة هذه الصفات الثلاثَ عشرةَ يقال لها أصول العقيدة هذه الصفات الثلاث عشرة أهم من كل العقائد بالنسبة لخطورة إنكارها أو الشك فيها فمن أنكر صفة واحدة من هذه الثلاث عشرة أو شكَّ فِى قلبه فهو غير مؤمن غير مسلم عند الله.

ثم يبقى من أصول العقيدة الستة التى فسر رسولُ الله ﷺ الإيمان بها فِى حديث جبريل لمَّا جاءه جبريل بصورة إنسان لا يعرفه ولا يعرفه أحد من الصحابة سأله عن الإسلام الرسولُ فسر له الإسلام بخمسة أشياء هذه الخمسة عمليَّةٌ شىْءٌ يعمله الإنسان بجوارحه ببدنه وفسر له الإيمان بستةِ أشياءَ اعتقاديةٍ ليست عمليةً قال **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره** اهـ وفى لفظٍ **والقدر كله** اهـ هذه الستةُ تُلْحَقُ بتلك الأصول أى أصول العقيدة الثلاثَ عشرةَ صفة وإنما كانت تلك أهمَّ بالنسبة لمن شك فيها أو أنكرها لأن هذه الثلاث عشرة يدل عليها العقل مع النقل، العقلُ دليلٌ على ثبوتِها للهِ تلك الصفات الثلاث عشرة العقل دليلٌ، لو لم يَرِد القرءان بها فالعقل يدل على أن الله لا بد أن يكون متصفًا بها فلا يعذر أحدٌ لو كان ممن أسلم اليوم لا يعذر فِى

إنكارها أو الشكِّ فيها، لا يعذر، فمن أنكر واحدة منها أو شك فإنه ليس بمسلم ليس بمؤمن عند الله لأن هذه الثلاثَ عشرة العقل يدل عليها لو لم يكن لها ذكر فِى القرءان مع أنها مذكورة فِى القرءان بعضها باللفظ وبعضها بالمعنى هذه الثلاث عشرة من أنكرها فهو كافر لا يُعذر لو كان قريبَ عهد بإسلام ولو كان عاش بعيدًا من الأرض التى يوجد بها علماء لو كان عاش بعيدًا من البلد التِى فيها أهل العلم لا يعذر، أما ما سوى ذلك كالصلوات الخمس فإذا إنسان عاش ببلد ليس فيها عالم يُحدّث الناس عن أمور الدين أنَّ فِى الإسلام خمسَ صلواتٍ مفروضاتٍ وأنَّ فِى الإسلام صيامَ شهر واحد من السنة رمضان وأنَّ فِى الإسلام زكاةَ الأموال وأنَّ فِى الإسلام حجَّ بيت الله الحرام وأنَّ فِى الإسلام النطقَ بالشهادتين لو عاش فِى بلدٍ لا يُتحدث فيها من صغره إلى الوقت الذِى هو فيه ما سمع من أحد لكنه عرف اعتقد بقلبه أنه لا أحد يستحق أن يُعبد إلا الله الذِى لا يُشبه شيئًا وأن محمدًا رسولُه صادقٌ فِى كل ما جاء به مِن قِبَل الله عرف من الإسلام هذين الأمرين فقط [وما سمع] أن هناك الصلوات الخمسةَ وأن هناك صيامَ رمضان وأن هناك زكاةً وأن هناك حجَّ بيت الله الحرام ما سمع بهذه كلها، أو كان قريب عهد بإسلام لا يعرف أن المسلمين من دينهم هذه الأشياء لا يعرف أسلم من أسبوع من شهر من شهرين أو أكثر هذا يُعذر بمعنى لا يكفر إن أنكرَ هذه الأشياء لا يكفر لأنه ما سمعها ولا العقل يدل عليها، العقل لا يدلُّ على أن

الصلوات الخمسَ فرض وأن صيام رمضان فرض وأن الحج فرض وأن الزكاة فرض، لولا ورودُ السمع أى الخبر من الله تبارك وتعالى عن طريق النبىّ ما عرفنا هذه الأشياء، لذلك قريب عهد بالإسلام ومن عاش فِى أرضٍ لا يَسمع فيها بأمور الإسلام لا يكفر إن أنكرها أو شك فيها، يُعَلَّمُ ثم بعد أن يَعْلَمَ أن هذا من دين الإسلام إن عاد إلى الإنكار أو الشك عندئذ يكفر. أما هذه الصفاتُ الثلاثَ عشرةَ وجودُه وكونُه أزليًّا لا ابتداء لوجوده وكونُه غنيًا عن كل شىء مستغنيًا عن كل شىء وكونُه واحدًا لا ثانىَ له وكونُه باقيًا لا يلحقُه فناء وكونه عالمًا بكلّ شىء وكونُه قادرًا على كل شىء وكونه سميعًا بصيرًا على ما يليقُ به ليس على معنى سَمْعِ المخلوق وبصرِهِ وكونُه مخالفًا للحوادث أىْ لا يشبه العالم لا يشبه أىَّ شىء مما أحسسناه بأبصارنا ومما لم نحسّ بأبصارنا كالعرش، الآن العرشُ نحن ما رأيناه مع ذلك مخلوق من المخلوقات له حدٌّ لا شكَّ، له مِساحة، مهما اتسعت ومهما بَعُدت مساحته فالعقل السليم يعلم بأن الله تعالى ليس شيئًا له حدٌّ لأن الشىْءَ الذِى له حد يحتاج إلى مَن جعله على ذلك الحد، الشىءُ لا يجعل نفسه على الحد الذِى هو عليه وكونه حيًّا أىْ متصفًا بحياة هىَ صفة أزلية ليست كحياة المخلوقين حياةُ المخلوقين هى بالروح واللحم والدم حياةُ الإنسان توجد بوجود الروح واللحم والدم وكونه متكلمًا أى له كلام لكنه لا يشبه كلام المخلوقين كلام المخلوقين له ابتداءٌ وانتهاء وله ترتيب أما الله تعالى

متصف بكلام ليس هكذا ومع ذلك أنزل كتبًا سماويةً على بعض الأنبياء هذه الكتب عبارة عن ذلك الكلام ذلك الكلام الذِى هو ثابت لذات الله تعالى ليس حادثًا أى ليس شيئًا يُبتدأ ثم يُختم لا يوجد شىء منه ثم ينقضِى ثم يوجد شىء منه ثم ينقضِى [ليس هكذا]، هذه الصفات العقلُ لو لم يرد الشرع يَعْلَمُ بثبوتها لله تعالى لذلك إنكار واحدة من هؤلاء الثلاثَ عشرةَ كفرٌ سواء كان المنكِرُ قريب عهد بإسلام أو ناشئًا ببلد بعيدة من علماء الإسلام فِى الحالين يكفر.

هِىَ هذه الصفات الثلاثَ عشرةَ العقلُ يقضِى بثبوتها لله تعالى لو لم ينزل القرءان بها على أن القرءان نزل بها لكن فِى القرءان لم تأتِ معدودةً على هذا الترتيب الوجود والوحدانية والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر والحياة، القرءانُ دلَّ على معانيها لو لم يسردها على الترتيب كما نحن نسردها عند تعليم الناس، القرءان مشتمل عليها، يُفْهَمُ معانيها من عدة مواضع من القرءان القيام بالنفس مثلًا هو معنى قول الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ وكذلك بقية الصفات الثلاث عشرة تفهم من القرءان لو لم ترد باللفظ الذِى نحن نسرده عند التعليم فأىّ إنسان أنكر قدرة الله على كل شىء أو شكَّ فِى ذلك هذا لا يُعذر بل يَكفر ولا يُقال هذا قريب عهد بإسلام هذا نشأ بأرض بعيدة من العلماء بل يكفر أما تلك الأشياء الصلواتُ الخمس وصيامُ رمضان والحجُّ والزكاةُ هذه

إذا كان الشخص قريب عهد بإسلام ما كان يسمع أن المسلمين من دينهم هذه الأشياء ما سمع، أو كان وَلَدَهُ أبوان مسلمان ثم تركاه فِى شاهقٍ ليس فيه أحد يعرفُ ويتكلمُ بأمور الدين فهذا لا يكفر إن أنكر شيئًا من هذه الأشياء، كذلك لا يكفر إن أنكر حرمة الزنى وأكلِ لحم الخنزير وشربِ الخمر إن أنكر هذه الأشياءَ أيضًا لجهله لأنه ما سمع أن دين الإسلام يحرّم هذه الأشياء فاستحلها لا يكفر بل يُعلَّم ثم بعد أن يَعْلَمَ ويَعرفَ أن هذا دينَ الإسلام تحريمُ هذه الأشياء الزنى والسرقة وشربِ الخمر وأكل لحم الخنزير والقمار ونحو ذلك والربا وضرب المسلم بغير حق إذا أنكرها فإنه يكفر أما قبل أن يعلم إذا جهلها وتكلَّم بخلاف الواقع فِى دين الله لا يكفر لأن هذه الأشياء لا يدل عليها العقلُ، الصلوات الخمس لا يدل العقل على وجوبها وكذلك الصيام صيام رمضان وكذلك الحج وكذلك الزكاة العقل لا يدل على وجوبها لولا أن الشرع ذكرها لولا أن الرسول بيَّنها ما كنا نعرف أن هذه الأشياء فرض أما الصفات الثلاث عشرة لو لم يذكرها الله ورسوله العقل يعرف، العقل الصحيح يعرف لأن العقل الصحيح يعرف أن هذا العالم ما وُجد من دون موجِد لا يصح فِى العقل الصحيح وجود هذا العالم من دون موجِدٍ من دون مكوّنٍ ولا يصح فِى العقل أن يكون مكوّن هذا العالم يشبه العالم بل العقل يقضِى بأن مكون هذا العالم لا يشبهه.

كان فِى زمن سيدنا عمر رجل أسلم من وقت قريب

ثم بين الناس صار يتحدث بين الناس يقول عن نفسه إنه زنى، هذه الليلة زنَيْتُ، يعنِى كأنه لا بأس بهذا عنده من شدة جهله لكونه قريب عهد بإسلام كان يتحدث كأنَّه ما فيه بأس كأنه عمل شيئًا لا بأس به فأُخْبِرَ سيدنا عمر فقال عَلِّمُوه أنه حرامٌ أنَّ الزنى حرام ما قال هذا كَفَرَ ارتدَّ كيف يعتقد أن الزنى حلالٌ لم يقل إنه مرتد قال علّموه فإن عاد بعد ذلك فاقتلوه إذا استحلَّها بعد أن يعرف أنّ الزنى حرام فِى دين الإسلام إن عاد فاستحلَّها يجوز قتله[1].

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) أى من قبل الخليفة.

**الدرس الثالث عشر**



## بيان من يجوز لعنه ومن لا يجوز



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان من يجوز لعنه ومن لا يجوز. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه الطيبين وءاله الطاهرين.

أما بعد فقد روينا بالإسناد المتصل فِى مسند الإمام أحمد وغيرِه أن نبيّ الله ﷺ قال **لَعْنُ المسلم كَقَتْلِه**[١] اهـ

شرح الحديث اللعنُ من الله تعالى الإبعاد من الخير فمعنى لَعَنَ اللهُ فلانًا أى أبعده من الخير ليس معناه لا يرحمه الله ألبتة الرحمة العامة ولا الرحمة الخاصة، وأما مِن العبد فهو الدعاء على العبد بأن يبعده الله من الخير وإنما قيد رسول الله ﷺ فِى هذا الحديث بالمسلم لأن لعن الكافر ليس كلعن المسلم، الكافر

(١) رواه أحمد فِى مسنده من حديث ثابت بن الضحاك الأنصاريّ رضِىَ الله تعالى عنه.

يجوز لعنه بالتخصيص والتعيين وبالتعميم أى من غير تخصيص وتعيين، كلا الأمرين جائز، هذا هو القول المنصور الذِى تؤيده الأحاديث النبوية وليس لما قاله بعض الشافعية كالغزالىّ وجهٌ وهو أنه لا يجوز لعن شخص معين لو كان كافرًا إلا من عُلِمَ موتُهُ على الكفر بطريق النصّ الشرعِىّ أى إلا إذا كان واردًا فِى القرءان أنه يموت كافرًا أو نص عليه رسول الله ﷺ. الغزالى وكثير من الشافعية على هذا القول لكن هذا القول غير معتمد، القولُ المعتمد أنه يجوز لعن الكافر الذِى ورد النص على موته كافرًا والذِى لم يَرِدِ النصُّ بموته على ذلك.

الذِى ورد النص [مثلًا] على موته كافرًا فرعون فإن الله تبارك وتعالى قال ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[1] فلو كان إيمانه بعدما أدركه الغرق مقبولًا ما قال الله تبارك وتعالى ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ ولا قال رسول الله ﷺ فيمن لا يحافظ على الصلوات الخمس إنه يكون يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأُبَىّ بن خَلَفٍ، هؤلاء قد قام النص من رسول الله ﷺ على موتهم على الكفر، الحديث دل على أنهم من أصحاب النار المؤبدين المخلدين فيها ولذلك ضُرب بهم المثل لعقوبة تارك الصلاة لأن تارك الصلاة يرافق هؤلاء برهةً من الزمن وذلك دليل على شدة عذاب تارك الصلاة، لو كان تاركُ الصلاة من

(١) سورة هود/الآية (٩٨).

الذين عذابهم خفيف ما قال فيه رسول الله ﷺ هذا القولَ لكنه لما كان من أشد الناس عذابًا يوم القيامة قال فيه ذلك، وليس فِى هذا الحديث أن تاركَ الصلاة المعتقِدَ لفرضيتها الذِى يؤمن بالله ورسوله يكون دوامًا فِى الآخرة مع هؤلاء أئمة الكفر فرعون وهامان وقارون وأُبَىّ بن خلف.

ثم الثلاثة الأول فرعون وهامان وقارون ليسوا من أمة محمد الذين أرسل الله إليهم محمدًا لأنهم كانوا فِى أيام موسى عليه السلام والرابع من أمة محمد الذِين شملتهم دعوةُ محمد، هو أُبَىُّ بن خلف كان من أكابر مشركى قريش من أهل مكة الذين كانوا شديدِى الأذى على المؤمنين من أهل مكة.

أمّا لعنُ المسلم فيجوز لسبب شرعىّ وهو أن يكون غاشًّا يغش المسلمين فِى معاملاته الدنيوية أو يغشهم فِى دينهم يتصدَّى للتدريس وهو ليس بأهلٍ فيحرّفُ شرع الله هذا أكبر غشًّا من الأول فيجوز لعنه لكن ليس مطلقًا بل بنية زجره عن هذه المعصية التِى هىَ جريمة كبيرة فإنَّ الغش إن كان فِى أمور الدنيا كالبيع والشراء وإن كان فِى أمور الدين فهو من كبائر الذنوب، أما الكافر فيجوز لعنه مطلقًا إلا الكافر الذمّىَّ فإنه لا يجوز لنا أن نلعنه بحيث يسمع. الذمّىُّ هو الذى دفع الجزية والتزم الشروط التِى يُعطى العهد عليها كالذين عاهدوا عمر بن الخطاب ومن جاء بعدهم من الكفار الذين وافقوا على دفع الجزية مع التزام الشروط بعد عمر رضى الله عنه، كل هؤلاء ذميون

حتى ينقضوا العهد. روينا فِى سنن أبِى داود أن أهل نجران أمرهم رسول الله ﷺ بالجزية وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا وأنهم إن أحدثوا حدثًا أو أكلوا الربا أى إن نقضوا العهد أو أكلوا الربا الذِى شرط عليهم رسول الله أن لا يأكلوه انتقض عهدهم وخرجوا عن كونهم ذميين، ثم نقضوا العهد فأجلاهم عمر بن الخطاب بعد وفاة رسول الله ﷺ أجلاهم أى أخرجهم من أرض اليمن، هى نجران معدودة فِى الأصل من اليمن، والآن هى مع السعودية تحت حكم السعودية كان هناك مسكنُهُم، كان عمر بن الخطاب خاف أن يميلوا على المسلمين ميلة لأنه وجدهم عمر قد تكاثروا فحدثَ السببُ من قبلهم وهو أنهم خالفوا الشرط شرط الذمة الذِى وضعه عليهم رسول الله فانتهز هذه الفرصة فطردهم، أجلاهم.

الكافر الذميُّ لا يجوز لعنُهُ فِى وجهه وفى خلفه بحيث يبلغه فيتأذى، مع كفره لا يجوز، هو يفترق عن سائر الكفار، مع كفره يفترق عن غير الذميين من الكفار وكذلك المعاهَد يفترق عن غيره، المعاهد هو الذِى صالحه إمامُ المسلمين لمصلحة الإسلام على ترك المقاتَلة من الجانبين لمدة لا تزيد على عشر سنين فكفار قريش عاهدهم رسول الله عام الحديبية على ترك قتالهم أىْ على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه عشر سنوات ثم انتقض عهدهم بعد عامين، هم نقضوا العهد، الرسولُ ﷺ ساحتُهُ منزهة عن نقض العهد، هو أوفى الناس بالعهود، أوفى خلق الله بالعهد هو رسول الله ﷺ إنما نَقْضُ العهد حصل منهم، كانوا ساعدوا طائفة

من الكفار دخلوا فِى ذمتهم على ضرب طائفة من الكفار كانوا داخلين فِى عهد رسول الله ﷺ، أولئك الذين كانوا فِى عقد كفارِ قريش مشركى مكة يقال لهم بنو بكر والذين كانوا فِى عهد رسول الله ﷺ يقال لهم بنو خزاعة، هؤلاء كفار قريش الذين كانوا عاهدوا رسول الله وعاهدهم على ترك القتال عشر سنوات ساعدوا هؤلاء بالسلاح والخيل ليضربوا هؤلاء الذين كان لهم عهدٌ من رسول الله فبذلك انتقض عهدهم فغزاهم رسول الله ﷺ بعد مُضِىّ عامين من مدة الهُدنة ففتح رسول الله ﷺ مكة وفى ذلك أنزل الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[1].

ثم ليس من شرط جواز اللعن لمسلم فاسق فاجر غشاش أو كافر من الكفار أن يُعْلَمَ موته على الكفر بطريق الوحى من الله تعالى فقد لعن رسول الله ﷺ أشخاصًا من غير أن يُوحَى إليه أنهم يموتون على الكفر بل أسلموا بعد ذلك، بعد أن لعنهم رسول الله ﷺ صاروا من المسلمين الطيبين، هذا القولُ الذِى يدور فِى أفواهِ كثير من المتفقهة إنه لا يجوز لعن الكافر المعين الذِى لم يَرِدْ نصٌّ بموته على الكفر قول ضعيف لا يؤخذ به.

فمعنى الحديث **لعن المسلم كقتله** أىْ أن من يلعن

(١) سورة النصر ءاية (١-٣).

مسلمًا بدون سبب شرعىّ أى لا هو غشاش للناس فِى معاملاتهم الدنيوية أو فِى أمور الدين ولا هو متجبر حطّام حُطَمَةٌ للناس ولا هو فِى معنى ذلك هذا الذِى قال فيه الرسول إن ذنبه كذنب قتله فليحفَظِ المرءُ لسانَه عن إطلاق اللعنة على أحد من المسلمين إلا أن يتحقق أنه من أهله بأن يعلم منه أنه غشاش فِى تجارته أو معاملاته التِى يعامل بها الناس باسم الدين كهؤلاء الذين يتصدرون للتدريس أو لإعطاء الطريقة يوهمون الناس أنهم أولياء الله حتى يعتقدَ فيهم الناس ويهدوهم الهدايا ويَسْخَوْا لهم بأموالهم هؤلاء يجوز لعنهم.

ثم هؤلاء الذين يدّعون الطريقة والولاية قسم منهم خرجوا من دائرة الإسلام ليسوا فِى دائرة الإسلام ومع ذلك يعلمون الناس كلمات كفرية كإيهامهم لبعض الناس أنهم أنبياء كما قال أحدهم هذا الشيخ رجب ديب قال نحن أنبياء مُصَغَّرُون، هذا كافر من الكفار هذا ليس له حكم لعن المسلم، وكذلك مَن أشبهه ليس له حكم لعن المسلم، كل هؤلاء ليس لهم حكم لعن المسلم. قلنا المسلم الذِى هو غشاش يجوز لعنه بنية التحذير منه أو بنية زجره هو فيرتدع، يجوز لعنه، فكيف الذِى يقول للناس هذه الكلمة نحن أنبياء مصغرون، هذا تكذيب للقرءان الله تعالى قال ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[١] أىْ أن محمدًا لا يأتِى بعده نبى فكيف يتجرأ من يدعى الإسلام والولاية والطريقة مع دعوى

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

الإسلام والولاية والطريقة على هذا القول نحن أنبياء مصغرون كيف يتجرأ، والذِى لا يُكَفِّرُهُ بعد أن يعلم منه ذلك فهو مثله. إنا لله وإنا إليه راجعون، مع هذا تُقَبَّلُ له يدُهُ يسمعون منه هذا الكلام ثم يقبلون يده ما هؤلاء، هؤلاء ليسوا مسلمين ما عرفوا الإسلام، كثيرٌ من الناس لما يسمعون قول الرسول ﷺ **رُبَّ قائمٍ ليس له مِن قيامه إلا السهرُ ورُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**[١] لا يدرك معنى هذا الحديث، هذا الحديث يفسر بهؤلاء وبأناس ءاخرين هم مسلمون ما خرجوا عن الإسلام لكن لا يقومون بالصلاة مع شروطها وأركانها أو يُؤَدُّونها بشروطها وأركانها لكن للرياء، وكذلك هناك أناس مسلمون مؤمنون لكنهم يصومون بدون شروط الصيام يُخِلُّونَ بشروط الصيام بضروريات الصيام أو يصومون حتى يقال عنهم هؤلاء صوامون.

هذا معنى الحديث. فاحفظوه وليكن على ذُكْرٍ منكم **لعن المسلم كقتله**[٢] المراد به المسلم الذِى ليس غشاشًا ليس ذا غش للناس فِى دينهم أو فِى معاملاتهم ولا هو متجبّرٌ حُطَمَةٌ للناس أىْ ظلوم. هذا المؤمن الذِى عقيدته صحيحة مؤمن بالله ورسوله ولا يقترف

---

(١) رواه أحمد فِى مسنده من حديث ثابت بن الضحاك الأنصارىّ رضِىَ الله تعالى عنه.

(٢) رواه النسائىّ فِى السنن الكبرى باب ما ينهى عنه الصائم من قول الزور والغيبة.

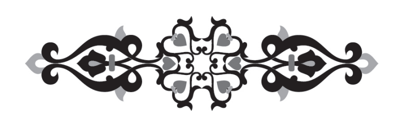
كفرًا من الكفريات لا فِى حال غضبه ولا فِى حال مزحه سالم من الكفريات جميعها ومن الغش للمسلمين ومن التجبر والظلم لهم لعنُ هذا المسلم هو الذِى قال فيه الرسول **كقتله**.

وما أكثر ما يحرّف كثير من الناس أحاديث رسول الله وءايات كتاب الله، مثلًا إذا ذكر إنسان إنسانًا حصل منه كفر للتحذير منه سمعوا منه تكفير ذلك الشخص بحق يقولون من كَفَّرَ مؤمنًا فقد كفر يضعون هذا فِى غير محله مَن كَفَّرَ مسلمًا فقد كفر معناه الشخص الذِى ما حصل منه كفر لا قوليٌّ ولا فعلى ولا اعتقادى لا فِى المزح ولا فِى الغضب ولا فِى حال الرضا ما حصل منه كفر من الكفريات عنادًا كَفَّرَهُ هذا الذِى يُحكم عليه بكفره لأنه كفَّر مسلمًا أما من سب الله فِى حال الغضب أو المزح أو اعترض عليه لشدة الفقر أو لشدة المصيبة كما يفعل بعضُ الناس عندما يتضايقون فإنهم يسبون الله تكفير هؤلاء حق من كفّر هؤلاء لا يقال فيه من كفر مسلمًا فقد كفر انظروا كيف يحرفون الحكم.

تكفّرُ إنسانًا بحق بدليل شرعىّ ثم يدافعون عنه، من جهلهم يقولون من كفَّر مسلمًا فقد كفر هذا لا يقال فيه ذلك إنما يقال هذا إذا شخص أراد أن يحطم إنسانًا فقال فلان كافر بدون سبب شرعى لهذا يقال من كفّر مسلمًا فقد كفر اتق الله لا تكفّره بلا سبب شرعِىّ هذا من كفّر مسلمًا بدون سبب شرعِىّ لا قال الكفر ولا

فعل فعل الكفر كدوسه على اسم الله تعالى كدوس ورقة فيها اسم الله تعالى عمدًا أو سجود لصنم عمدًا بدون إكراه ولا اعتقد غير عقيدة الإسلام كاعتقاد أن الله تبارك وتعالى جالس على العرش أو أنه شىْءٌ نور أبيضُ أو نور أزرقُ أو نور أصفرُ فالذى كفّر مسلمًا بدون سبب شرعىّ فليقولوا له بمثل هذا أما إنسان يكفّر من سب الله علم أنه سب الله فقال كَفَرَ هذا كَفَرَ أو قال فِى قلبه فلان كفر فلان كافر لا يُقال لهذا أنت تكفّر مسلمًا ومن كفر المسلم فهو كافر لا يقال لهذا إنما يقال لذاك الذِى كفّر مسلمًا بدون سبب لأنه خالف هواه قال عنه فلان كافر فلان كافر هذا يقال فيه مَن كفّر مؤمنًا فهو كافر أنت كَفَرْتَ لأنك كَفَّرت مؤمنًا بدون سبب شرعىّ.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الرابع عشر**



# بيان عقيدة أهل السنة والحث على نشرها



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيان عقيدة أهل السنة والحث على نشرها.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلاة الله البر الرحيم على سيدنا محمد وعلى ءاله الطيبين الطاهرين

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى جعل هذه الدنيا مرحلة يُنتقل منها إلى الآخرة فالعاقل من ينتهز فرصة الحياة وفرصة الشباب وفرصة الفراغ وفرصة الاستطاعة لاكتساب مزاد الآخرة وأما من غفل عن ذلك فهو خاسر قال رسول الله ﷺ **الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأمانِىَّ**(١) اهـ معنى الحديث أن الإنسان الذِى يعرف ما هو صالح له هو الذِى يغلب نفسه على طاعة

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب صدقة التطوع.

الله تعالى يحمّلها طاعة الله تعالى ويحمّلها الابتعاد عن المعصية ويغلبها على ذلك، من غلب نفسه على أداء الطاعة واكتساب العبادات ومن غلب نفسه فِى زجرها ونهيها عن المعاصى هذا الإنسان هو العاقل هذا الذِى يقال له الكَيّس وأما العاجز أىِ الضعيفُ الهِمَّة ليس العاجزَ فِى جسمِهِ وضعف قواه الجسمانية إنما العاجزُ هو العاجز فِى فهم ما يَصلح له فِى ءَاخِرَتِه هذا الذِى سماه الرسول ﷺ العاجز قال **العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانىَّ** الذِى يترك نفسه مع هواها أى مع ما تشتهيه من ملذات الدنيا أىْ يسترسل فِى المعاصِى ثم مع هذا يتمنى على الله الأمانىَّ أىْ أن الله يرحمه ويكرمه بعد الموت يتمنى لنفسه ذلك مع استرساله فِى ما تشتهيه نفسه وتكاسله عن طاعة الله تعالى أىْ عنِ التزود للآخرة.

وسبيل السلامة فِى الآخرة هو تعلم علم الدين على مذهب أهل السنة الذِى كان عليه الصحابة والتابعون وأتباع التابعين وتبعُ الأتباع ومن جاء على هديهم إلى وقتنا هذا، هذا الدّين لا ينقطع إلى يوم القيامة وإن شذَّت بعض الفئات مع دعواها الإسلام لكن الجمهور عقيدتُهُمْ لا تزيغ عن العقيدة التى يرضاها الله ورسوله هؤلاء اليوم يسمون الأشعرية ويسمون الأشاعرة لأنهم ينتسبون إلى الإمام أبى الحسن الأشعرىّ كان الإمام أبو الحسن الأشعرىُّ فِى القرن الثالث ثم أدرك أول القرن الرابع وتُوُفّى وإنما انتسب إليه أهل السنة لأنه دافع عن مذهب أهل السنة ببيان الدلائل العقلية

والدلائل النقلية، قرر مذهب الصحابة والتابعين وأتباعِ التابعين من حيث العقيدةُ ببيان الدلائلِ النقليةِ أىَ الدلائل التى وردت فِى القرءان والحديث الصحيح الثابت والدلائلِ العقلية، أثبت قواعد أهل السنة والدلائلَ التى تؤيِّدها الدلائلَ العقلية والدلائلَ النقلية.

الأشعرية مئات الملايين اليوم فِى أندونوسية نحو مائة مليون[1] ويزيدون وهم أشعرية أى على عقيدة الأشعرية كذلك مصر كذلك تركية كذلك المغرب وإفريقية السود والحبشة واليمن وجنوب إفريقية وما فِى السند والهند، كلٌّ هؤلاء المسلمين على عقيدة الأشعرية، وكان الإمام السلطان الملك العادل صلاح الدين الأيوبى الذِى حَرَّرَ القدس بعد أن استولى عليها الأوروبيُّون تسعين سنة هذا كان أشعريًّا كان مهتما بالعقيدة الأشعرية حتى إنه فِى مصر كان مدرسةٌ يقال لها الصلاحية نسبة إلى صلاح الدين الأيوبى بجوار قبر الإمام الشافعى رضى الله عنه هذه المدرسة بناها لتعليم عقيدة الأشعرية عقيدتِنا.

من جملة عقيدة الأشعرية أن الله موجود بلا ابتداء بلا انتهاء وأنه موجود بلا مكان كان قبل المكان وأنه غير محدود ليس له مساحة لا مساحة قصيرة ولا مساحة طويلة، لا يجوز اعتقاد أن الله تعالى شىء له امتداد قصير أو طويل أو وسط، لو ظن ظانٌّ أن الله

(١) هذا العدد كان عند إعطاء الشيخ هذا الدرس وأما فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة فالعدد ضعف ذلك.

تعالى جسم ممتد إلى غير نهاية فهو جاهل بالله ما عرف الله، هو الحدُّ يَحتاج إلى من جعله ويخلقه، الله تعالى لو كان شيئًا له حدٌّ أى مِساحة لاحتاج إلى من جعله على هذه المساحة كالشمس أى أنَّ الشمس لها مساحة فهىَ تحتاج إلى مَن جعلها على هذه المساحة، والعرشُ له مِساحة فهو محتاج إلى من جعله على تلك المساحة التِى لا يعلمها إلا الله وأما الله تبارك وتعالى فهو مُنَزَّهٌ عن المساحة بالمرة، الجسم مهما كان صغيرًا له مِساحة كالنملة لها مِساحة، تنزيهُ الله تبارك وتعالى عن المساحة هو مذهب أهل السنة والجماعة، وكان صلاح الدين الأيوبىُّ رحمه الله قرر فِى أيامه قراءة عقيدة الأشعرية، عقيدتِنا هذه، عقيدةِ أَبِى الحسن الأشعرى على المآذن قبل صلاة الفجر فِى مصر واليمن وبلاد الشام كلها سورية ولبنان والأردن وفلسطين والحجاز هو كان يحكم هذه البلاد كان يحكم ثلاث عشرة ولاية اليمن بأسره والحجاز بأسره إلى نجد وسائرَ ملحقات الحجاز هذه كلها كان هو يحكمها وكان يحث الناس على هذه العقيدة العقيدة الأشعرية فالعقيدةُ الأشعرية عقيدة أهل السنة قديما وحديثا وإنما نُسبت إلى أبى الحسن الأشعرىّ لأنه اشتغل بتقريرها بالأدلة العقلية والنقلية ودفع شبه المخالفين شبهِ المعتزلة وشبهِ الخوارج وشبهِ النجارية، اثنتان وسبعون فرقة شذَّتْ عن مذهب أهل السنة كان أبو الحسن الأشعرى يبيّن بطلان هذه الفرق الاثنتين والسبعين ويؤيّد مذهب الفرقة الناجية الذين هم جمهور الأمة،

وهذه العقيدة هى عقيدة جمهور الأمة قديمًا وحديثًا.

ثم الرسول أوصى باتباع السواد الأعظم السواد الأعظم معناه ما عليه أكثر أمته، هذا السواد الأعظم، وصّانا رسول الله ﷺ باتباع ذلك فواجب علينا على الرجال والنساء تأييدُ هذه العقيدة بنشرها وتعليمها للصغار والكبار. كان فِى أيام صلاح الدين الأيوبى قصيدةٌ فِى العقيدة الأشعرية وفيها بيانُ ما ندرسه نحن أنَّ الله موجود بلا مكان وأنه متكلم بكلام قائم بذاته ليس له ابتداء ولا انتهاء ليس يُبتدأ ويُختتم وليس حرفًا وصوتًا، فيها هذا وفيها أنَّ الله مُنَزَّهٌ عن المكان وفيها أن الله مُنَزَّهٌ عن مشابهة المحدثات أى المخلوقات كلها، هذه القصيدة موجودة هى مطبوعة فعلينا أن نهتم بتعليم هذه للرجال والنساء والفائز من قام بذلك، الفائز الناجى فِى الآخرة من عمل بهذا، ومن غفل عن هذا فله الويل فِى الآخرة، الرسول عليه الصلاة والسلام قال **لا يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة**(١) اهـ معناه الإنسان المسلم العاقل الذِى هو صاحب فهم فِى دينه لا يشبع من الازدياد فِى العلم لا يقول أحدُنا أنا تعلمتُ ما يعرفه الناس فلا حاجة بى لحضور مجالسهم حتى الذِى أخذ قدر الكفاية مطلوب منه أن [يحضر] المجلس الذِى يُدَرَّسُ فيه علمُ أهل السنة لتشجيع غيره وإن كان هو لا يستفيد

(١) رواه الترمذى بلفظ «لن يشبع» فى أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة حديث (٢٦٨٦).

مزيدًا على ما تعلمه فيحضرُ ليشجع غيره أو يشتغل بتعليم الناس ما حصّله من القدر الضروريّ فأما الذِى يتقاعد عن هذا فهو غارٌّ نفسَه.

ثم الإنسان الله تعالى جعله أطوارًا كان فِى الضعف فِى بدء أمره ضعيفًا ثم صار قويًّا ثم يعود إلى الضعف، لما تَكْبَرُ سِنُّهُ يصير ضعيفًا لكن هو الذِى ينتهز أيام شبابه قبل العجز وأيام فراغه قبل ان يحصل له شواغل وأيام صحته قبل أن يشغله المرض ويغتنم حياته قبل موته هذا الإنسانُ العاقلُ، ليس العاقلُ مَن يجمع المال بعضه على بعض ليتلذذ به ويتقلب بالترفُّه ليس هذا الإنسان العاقل، الترفُّهُ بالحلال جائز لكن الأولى أن يتركه كما كان الأولياء والأنبياء، الأنبياء ما كانوا يترفَّهون حتى سليمان الذِى ءَاتَاهُ الله ذلك الملك الذِى لا يعطيه الله لأحدٍ بعدَهُ إلى يوم القيامة ما كان يترفَّهُ، وكذلك سيدُنا عيسى، سيدُنا عيسى كان يأكل الشعير ويلبس الشعر أيِ الثياب التى تعمل من شعر البهيمة من الغنم ويأكل من نبات الأرض مثلِ شبهِ الملوخيَّة والنباتات التى تنبت فِى الأرض من دون أن تُزرع كان يكتفِى بهذا، وسيدنا محمد كان يمضِى عليه الشهر والشهران ولا يوجد فِى بيته شىْءٌ ساخن إنما هو تمر وماء، هؤلاء العقلاء الذين يقنعون بالقليل من الرزق بالحلال ولا يعلقون نفوسهم بالكثير.

بارك الله فيكم وسلك بكم مسالك النجاة.

والله تعالى أعلم وأحكم.

## الدرس الخامس عشر



# بيان أهمية الإيمان والوفاة عليه



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أهمية الإيمان والوفاة عليه.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على سيد المرسلين، وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين. أما بعد، فقد قال الله تبارك وتعالى فِى سورة الصف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾﴾[1] قوله تعالى ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فيه تقديم ذكر الإيمان بالله والإيمان برسوله على الجهاد فِى سبيل الله بالنفس والأموال، مع أن الجهاد أمر عظيم فِى دين الله، لكن الإيمان بالله ورسوله هو أساس الدّين بحيثُ إنَّ مَن فقد هذين أيِ الإيمانَ بالله ورسوله فهو خاسر لا ينفعه أيُّ عمل يعمله من صدقة وإحسان إلى الناس وبر الوالدين والجهاد

(١) سورة الصف/الآيتان (١٠ و١١).

وغير ذلك، كل الأعمال لا تنفع بدون هذين أى بدون الإيمان بالله والإيمان برسوله، أعظم نِعَم الله على الإنسان فِى هذه الحياة الدنيا هو الإيمان بالله ورسوله لأن من ءامن بالله ورسوله وثبت على ذلك ومات على ذلك فهو مضمون له عند الله تعالى دخول الجنة إن كان بعد عذاب على ذنوبه الكبيرة التى مات قبل أن يتوب عنها وإن كان بلا عذاب، من دون سبق عذاب، لابد له من دخول الجنة.

كان رجل من قريش من قبيلة أبى بكر الصديق رضى الله عنه يدعى عبد الله بن جدعان، كان فِى الجاهلية على عبادة الأوثان لا يؤمن بالآخرة، كان فِى بدء أمره فاتكًا شريرًا مؤذيًا، حتى أبوه من شدة ما كرهه ومل منه قال له أمام جمع من الناس أنت لست ابنِى، فطرده فَكَرِهَ الحياة فقال اطلبُ الموت. فخرج خارج مكة فتوجه إلى جبل فوجد شقًّا قال أدخلُ هذا الشق لعل فيه ما يُريحنِى من الحياة، فدخل فوجد ثعبانًا كبيرًا عيناه جوهرتان مضيئتان فظنه ثعبانًا حقيقيًا فاقترب منه فوجده ثعبانًا كله ذهب، ثم وراءه فِى الشق وجد رجالًا ليسوا من أهل ذلك الزمان ووجد عند رؤوسهم لوحًا من الفضة مكتوبًا فيه بيت شعر

صاحِ هل رَيْتَ أو سمعت براعٍ

رد فِى الضرع ما جرى فِى الحلاب

مرادهم بهذا أن الإنسان إذا حلب البهيمة فهذا اللبن الذِى حلبه لا يعود إلى الضّرْع كِذلك نحن بعد خروجنا

من الدنيا لا نرجع إليها.

ثم عبدُ الله وجد كومًا من ذهب وكومًا من فضة فأخذ من الذهب ما استطاع فِى ردائه فرجع إلى قومه صار يعطِى هذا من هذا الذهب ويعطِى هذا ويعطِى هذا فأحبوه وجعلوه سيدًا لهم فصار يحسن إلى الناس ويَقْرِى الضّيف ويصِل أرحامه فكان مشهورًا بهذا بين العرب، فسألت سيدتنا عائشة رسول الله عن هذا الرجل هل ينفعه ما كان يفعله بعد موته فقال **لا إنه لم يقل يومًا رب أغفر لى خطيئتِى يوم الدين**[1] اهـ المعنى أنه لم يكن من الذين ءامنوا بالله واليوم الآخر. فمن هنا لا ينفع إنسانًا أيُّ عملٍ يعمله إلا أن يكون مات على الإيمان بالله ورسوله والإيمان باليوم الآخر. وأصلُ الإيمان هو الإيمان بالله ورسوله، لذلك قال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعرِىّ أفضل العلوم العلم بالله والعلم برسوله والعلم بأمور دينه اهـ

معناه أفضل ما يكتسبه الإنسان فِى حياته ويربحه هؤلاء الأمور الثلاثة الإيمان بالله، والإيمان بالرسول ومعرفة ما فرض الله على الإنسان كالصلاة والصيام ونحو ذلك.

الإيمان بالله ليس مجرد أن يقول الإنسان لا إلٰه إلا الله، بل الأمر المهم الذِى لا بد منها أن يعرف معنى لا إلٰه إلا الله، ومعناه أنه لا يجوز أن يتذلل نهاية

(١) رواه مسلم فِى صحيحه بابُ الدَّلِيلِ على أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الكُفْر لا يَنفَعُهُ عَمَلٌ.

التذلل إلا لله، والله تبارك وتعالى هو الموجود الذِى لا يشبه شيئًا من الموجودات لا يشبه الإنسان ولا الملائكة ولا الهواء ولا النور أى الضوء، ولا الظلام ولا الروح، ليس ذا لون ليس ذا شكل ليس ذا حد، ليس ذا هيئة، منزه عن كل ما هو من صفات البشر وغير البشر، منزه عن الحد بمعنى أنه لا تجوز عليه المساحة ليس مقدارًا بالمساحة، لا يجرى عليه التقدير بالمساحة، دليل ذلك من حيث الشرع قول الله تبارك وتعالى فِى سورة الشورى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1] معناه أن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئًا بوجه من الوجوه، وأما من حيث العقل فلأن الله تبارك وتعالى لو كان له حدٌّ أىْ مِساحة لم يستحقَّ الألوهية.

هذا المعنى جاء به القرءان، فلو كان هناك فِى القرءان الكريم ءاياتٌ من فسرها على ظواهرها أوهم ذلك أن لله حيزًا وأن له مساحة وحدًّا وأن له جهة فهذه الآيات ليس معناها هذا المعنى الذِى يتبادر إلى الأذهان، بل لها معانٍ ليست من قبيل صفات الخلق.

جعلنا الله تبارك وتعالى ممن يثبتون على الإيمان، وحفظنا من المهالك فِى الدنيا والآخرة، وجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مُضِلّين وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

**الدرس السادس عشر**



# أولياء الله تعالى وأحوالهم



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى وهو عن أولياء الله تعالى وأحوالهم.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] علامة حُب الله تعالى هو اتباع سيدنا محمد ﷺ فمن اتبع سيدنا محمدًا اتباعًا كاملًا فهو من أولياء الله، من أحباب الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، سواء كانوا رجالًا أو نساء، من كان فيهم هذه الصفة فهو من أهل الولاية. وليس هناك أمر ءاخر يكون الإنسان به وليًا إلا هذه

(١) سورة ءال عمران/الآية (٣١).

الطريق وهو اتباع الرسول اتباعًا كاملًا، ومن جملة ذلك أداءُ الواجبات، ومن جملة الواجبات تعلم علم الدين الضرورى، من لم يعرف علم الدين الضرورىّ لا يكون وليًا، مهما أتعب نفسه فِى العبادة لا يكون وليًا، ثم علم الدين يُتَلَقَّى من أهل المعرفة الذين تعلموا ممن قبله حتى يصل الاتصال إلى أصحاب رسول الله ﷺ فهذا الإمام الشافعىّ وهذا الإمام مالك وهذا الإمام أحمد ابن حنبل وهذا الإمام أبو حنيفة ليسوا رجالًا مفكرين يكتفون برائهم بل تلقوا العلم ممن قبلهم، وأولئك الذين تلقوا منهم تلقوا ممن قبلهم إلى أن يصل الأمر إلى الصحابة ثم إلى رسول الله ﷺ. من تعلم علم الدين على هذه الطريقة ولو القدر الضرورىّ وعمل به أى أدّى الواجبات لأنه تعلم ما فرض الله على عباده واجتنب ما حرَّم الله وأكثر من النوافل هذا يكون ولىّ الله، هذا يقال له ولىّ.

فيمن قبل سيدنا محمد أمة موسى وأمة عيسى وأمة سليمان عليهم الصلاة والسلام كان فيهم أولياء، ليس الأولياء من خصوصيات أمة محمد، كان ذاك الذِى يقال له جُرَيْج من أمة عيسى من الذين كانوا على شريعة المسيح، من الذين كانوا يصلُّون صلاة المسيح عليه السلام ويصومون صيامه على حسب تعاليم المسيح عيسى، فهذا جُرَيج كان منهم، اعتزل الناسَ للعبادة، كانت له أم تأتيه من وقت إلى وقت إلى الصومعة التى هو اعتزل فيها لعبادة الله،كان هو وليًا حقيقيًا اتبع المسيح عيسى عليه السلام اتباعًا كاملًا،

أدى الواجبات واجتنب المحرمات بعد أن تعلم ما هو الواجب فِى شريعة عيسى وتمسك بالنوافل، زاد على الفرائض وتجرد للعبادة، اعتزل الناس خارج المدينة فِى مكان مرتفع حيث بنى صومعة من طين، لأن همه الآخرة، واعتقد الناس أهل البلد فيه الصلاح والولاية حتى إن ملك تلك البلاد صار يعتقد فيه ذلك، ثم إن امرأة فاسدة قالت لبعض الفاسدين الفاسقين أنا أفتنه، فذهبت إليه وتعرضت له فِى صومعته فلم يلتفت إليها، وما استطاعت أن تفتنه، وكان بالقرب من ذلك المكان رجل راعٍ يرعى، فواقعها هذا الراعى فحملت منه ثم لما ظهرٍ حملها قالت هذا من جُرَيج، وعندما تأكد الناس أنها حامل بأن وضعت ذهبوا إليه وبأيديهم الفؤوس ليهدموا له صومعته، قالوا هذا الذِى كنا نعتقد فيه أنه ولى الله يفجُرُ بهذه المرأة، فأخذوه ووضعوا فِى عُنُقه حَبْلًا وجروُّه وهدَموا صومعته بالفؤوس فقال لهم أمهلونى حتى أُصَلّى ركعتين، فتوضأ، إذ إن أُمَّةَ عيسى كان لهم وضوءٌ وصلاةٌ فيها ركوع وسجود كما نحن، فتوضأ جُرَيْج وصلى ركعتين ثم قال لهذا الغلام المولود الذِى وضعته هذه المرأة البغى يا غلام من أبوك فأنطق الله الغلام فقال أبِى الراعِى فلما سمعوا هذه التبرئة انكبّوا عليه يقبّلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنِى لك صومعتك من ذهب، قال لا أعيدوها كما كانت من طين. فجُرَيْج هذا من أمة سيدنا عيسى عليه السلام وهو ولىٌّ من أولياء الله.

وكما فِى الرجال كذلك فِى النساء، كان لابد يوجد

تقيات ممن أتبع المسيح، وكذلك أيام موسى وكذلك فِى أيام سليمان. فهذا الذِى حَمَل عرش بلقيس من أرض اليمن بكرامه أعطاه إيّاها الله تعالى، أى بالسر الذِى أعطاه الله إيّاه حمل من اليمن إلى بر الشام عرش بلقيس فى وقتٍ قصير جدًا، بقدر ما يمد الإنسان عينه لينظر مد بصره قبل أن يُطبق عينه أحضره، وهذا العرش شىء عظيم طوله ثمانون ذراعًا من ذهب مكلل بالجواهر وعرضه أربعون، سليمان ليس رغبة فِى عرشها هذا طلب إحضاره بل لتقتنع نفسُها، حتى يقتنع قلبُها بأن الإسلام الذِى يدعو إليه سليمان هو الدين الصحيح وتدخل فِى الإسلام لأنها كانت تعبد الشمس، وبلقيس كانت ملكة سبأ، وهى أرض فِى اليمن. وقد أسلمت بلقيس بعد أن رأت هذا العجب، وهذا الذِى أَحْضَرَ عَرْشَ بلقيس من تلك الأرض البعيدة يقال له ءاصف بن بَرْخِيَا، صاحبُ سليمان وهو من البشر على القول المشهور عند العلماء، كان وليًا من الأولياء ما كان نبيًا، كان يلازم سليمان وسليمان عليه السلام كان له عند الله جاهٌ عظيم، الله تعالى أعطاه مُلْكًا لا ينبغِى لأحد من بعده، ومع هذا الملك العظيم سخر الله له الشياطين الكافرين، فإذا ما خالف أحد منهم أمره يحطمه الله تعالى، يُنَزِّلُ الله عليه عذابًا فيتحطم، فكان هؤلاء الشياطين يبنون له مبانِىَ فخمةً ويُخرجون له من قعر البحر الجواهر واللآلئ، كانوا مسخرين له، وسخر له الريح أيضًا، كانت الريح تحمله وجيشه، بساط الريح يحمله صباحًا إلى مسافة شهر ثم بعد الظهر

يَرُدُّهُ، وغير هذا مما أنعم الله به عليه، مع هذا كان هو شديد الرغبة فِى الجهاد فِى سبيل الله، سيدنا محمد تحدث عنه أنه كان عنده مائة امرأة، وأما أهل التاريخ المؤرخون يقولون كان عنده ثلاثمائة مهرية وسبعمائة سرية. هذا ليس شيئًا يقينًا إنما اليقين أنه كان عنده مائة امرأة لأن الرسول أخبر بذلك، ومن شدة تعلق قلبه وعلو همته فِى الجهاد فِى سبيل الله، جهاد الكفار لنشر الإسلام، ذات يوم حلف أنه يطوف على المائة فِى ليلة واحدة يطوف عليهن لتحمل كل واحدة بولد فارس يجاهد فِى سبيل الله. خص الله تعالى الأنبياء فِى هذه الدنيا بعجائب وفى الآخرة جعل درجاتهم أعلى من كل درجات العباد، هذه القوة التى يأتِى بها مائة امرأة فِى يوم واحد، هذه غريبة، وغيره من البشر لا تصير له هذه القوة، ثم هذا ليس من كثرة الأكل والعناية ببطنه، هو ما كان معتنيًا ببطنه، كان يأكل خبز الشعير بدل أن يأكل خبز القمح والرز، هذا الشعير قوتُ أهل الفقر والفاقة، أهل الشدة، لأنه خشن خبزه ليس مثل خبز القمح ولا لَذَّتُهُ كَلَذَّةِ خبز القمح، مع كل هذا النعيم الذِى أغدق الله عليه ما كان يأكل أفخر المآكل ولا كان يشرب ألذَّ المشارب لأن قلبه متعلق بعبادة الله متعلق بالآخرة، وهذا الملك الذِى أعطاه الله إياه ما جمعه بنية الافتخار على الناس والتعاظم، كذلك النساء اللاتى جمعهن، هذا العدد الكثير من النساء ليس لإشباع الشهوة بل لغرضٍ شرعيٍّ دينيٍّ، وهكذا كل أنبياء الله ليس لهم تعلقٌ قلبيٌّ بالنساء ولا

بالمال كلهم قلوبهم متعلقة بخالقهم.

فالحاصل أن الأولياء كانوا فيمن قبل أمة محمد، كان أولياء فِى أمة موسى وأمة عيسى وفى أمة سليمان ومن قبل ذلك. هذا هو الولى؛ ليس الولى الذِى يتكهن للناس ويقول أنت يأتيك كذا وكذا مستقبلك كذا وكذا، هؤلاء قد يكونون معتمدين على النظر فِى النجوم، والنجوم التى ينظرون فيها على حسب ما يقوله المنجمون فِى كثير من الأشياء يوافق كلامهم وفى كثير من الأشياء لا يوافق كلامهم بل يكون كذبًا وخطأً أو يكون له صاحب من الجن فإن الجن منهم هوائيون يطيرون فِى الهواء يستطيعون أن يَلُمُّوا الأخبار من عدة بلدان فِى يوم واحد فِى وقت قصير، يستطيعون أن يذهبوا إلى بيت فلان وإلى بيت فلان وفلان يطيرون ويتجسسون الأخبار ثم يأتون بهذه الأخبار للإنسان الذِى له ارتباط معهم، يعطونه ويقولون له فلان حصل له كذا وكذا اليوم.

ثم إنّ قسمًا كبيرًا من الجن مسلمون مؤمنون والقسم الأكبر كفار أتباع إبليس.

أما المسلمون منهم ففيهم طيبون أتقياء أولياء كما هو فِى البشر والأغلب فجار فاسقون يؤذون الناس ويظلمون.

كما أن البشر الذين هم مِنَّا أكثرُهم فاسقون يظلم هذا هذا ويسفك هذا دم هذا ويضرب هذا هذا ظلمًا، وهم كذلك أغلبهم فاسقون ولو كانوا مسلمين.

فليس الوليُّ من يتكهَّن، وينظر فِى النجم ويقول للناس الولد الذِى يولد فِى هذه اللحظة مستقبله كذا وكذا أو يقول للذى ضاع له مال مالك ذهب به إنسان صفته كذا وكذا، ليس هؤلاء أولياء، الأولياء هم المتبعون للرسول اتباعًا كاملًا، هؤلاء هم الأولياء، أما الذِى يتبع الرسول اتباعًا غير كامل هذا ليس وليًا، يقال له مسلم فقط، مسلمٌ عاصٍ، أما الأولياء فهم الذين أدوا الواجبات واجتنبوا المحرمات وزيادةً على ذلك أكثروا من النوافل، هؤلاء لهم عند الله درجات عالية فِى الدنيا وفى الآخرة ففى الدنيا يعطيهم الله كراماتٍ وفى الآخرة يعطيهم ما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يخصُّهُم من بين مَنْ دخلوا الجنَّة من المسلمين بمواهب وعطايا لا يراها غيرهم.

هؤلاء يقال لهم الصالحون. إذ الصالح ليس مجرد إنسان يصلى ويصوم ويكون ملاطفًا للناس شفيقًا رحيمًا بالناس لا يُؤْذِى هذا ولا هذا كما يقول كثير من الناس، إذا رأوا إنسانًا يصلّى ويصوم ولا يؤذى الناس يقولون فلان صالح، هذا غلط، الصالح هو الذِى تعلم علم الدين الضرورى وعمل بما تعلم، أتى بالواجبات التى فرضها الله على العباد أن يعملوها فعملها وتجنب المحرمات التى تعلم فِى دين الله تعالى أنها محرمات فإذا زاد على ذلك أنه يكثر النوافل كصلاة الليل، أو نوافل النهار وقيام الليل، أو يكثر من صيام النفل أو يكثر من قضاء حاجات الناس لوجه الله، يعتنى بخدمة

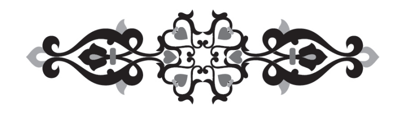
الناس، بخدمة المسلمين لوجه الله، من شدة الشفقة على الناس يصير وليًّا من أولياء الله. وتظهر لهؤلاء الأولياء يوم القيامة قبل دخول الجنة مزايا، منها أن الله تعالى لا يسلط عليهم حر شمس يوم القيامة، فإن الشمس يوم القيامة تدنو إلى رؤوس الناس ولا تكون فِى المركز الذِى هى فيه اليوم، اليوم مركزها بعيد من رؤوسنا فما بيننا وبينها مسافة طويلة بعيدة، أما ذلك اليوم تقترب فيعرق هذا وهذا وهذا من شدة الحر ولا سيما الكفار، وبعض المسلمين يصير لهم عرق شديد لا يسيل عرق هذا إلى الذِى يليه ولا عرقُ هذا إلى هذا ولا عرقُ هذا إلى هذا كلٌّ على حسب عمله، عرق هذا يتكوّم حوله وعرق هذا يتكوم حوله. الكفار بعضهم عرقهم يُغرقهم يرتفع ويعلو فيعُمُّهُم ويغمرُهُم.

فالأولياء والوليات فِى ذلك الوقت يكونون فِى ظل العرش حيث لا يوجد فيه أَذى حر الشمس، يخصهم الله تعالى بهذه الرحمة بين الناس. كذلك أناسٌ دون الأولياء يحصل لهم يوم القيامة هذا، منهم الذين يسهلون على الناس الذين يُقرضونهم، لهم ديون على الناس ولا يشددون عليهم، إما يسامحوهم يتركون لهم، أو لا يشددون عليهم فِى المطالبة فيقولون الآن أعطنى، لا يقولون هذا، بل يوسّعُون فِى الأجل، يقولون للذين لهم ديون عليهم إذا تيسر لكم تعطوننا وأحيانًا يُعفونهم يقولون سامحناك، هؤلاء أيضًا يُظلهم الله يوم القيامة بظل العرش، فلا يصيبُهم أذى الشمس؛ كذلك الذين يتحابُّون فِى الله فالرجال والنساء الذين

يتحابون فِى الله، أى ليس للمال يتحابون ولا للقرابة ولا لتآلفٍ شكليٍ إنما لأن هذا مؤمن يحب الله ورسوله وهذا مؤمن يحب الله ورسوله يتآلفان ويتحابان ثم يتصافيان المحبة فلا يعامل أحدهما الآخر بالغش والخيانة والمكر بل الذِى يحبه الواحد منهم لنفسه يحبه لأخيه وذاك مثل ذلك، يُحِبُّ لهذا ما يُحِبُّ لنفسه من الخير، هؤلاء لهم منابر من نور يوم القيامة لا يصيبهم أذى حر الشمس.

نسأل الله العصمة من الزّلل والتوفيق فِى ما يحب من العمل والحمد لله رب العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.



**الدرس السابع عشر**



## بيان العقيدة الصحيحة



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الثانِى من رجب سنة سبع وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للثالث من ءاذار سنة سبع وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان العقيدة الصحيحة.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البرّ الرَّحيم والملائكة المقربين على نبينا محمد أشرف المرسلين وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين وسلامُ الله عليهم أجمعين.

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **من أرادَ بُحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**[١] اهـ

المعنى أن الذِى يريد أن يدخل الجنة وينجوَ من عذاب الله فليلزم جمهور الأمة أى عقيدتهم، عقيدة جمهورِ الأمة، السوادِ الأعظم، لأن الله تعالى أكرم

(١) رواه الترمذىّ فِى سننه باب ما جاء فى لزوم الجماعة.

سيدنا محمدًا بأن حفظ أمته عن أن يضل جمهورُهم أى أن يخرجوا من الإسلام، الله تعالى وعد نبينا محمدًا أن يحفظ عقيدة الإسلام على جمهور أمته أى معظمهم، معنى ذلك أن بعضهم قد يكفر، بعض الأمة قد يكفرون أما الجمهور لا يكفرون، إلى وقتنا هذا على هذه الحال بقيت الأمة ولا يزالون فيما بعد على هذا، عقيدةُ الإسلام محفوظة للجمهور أى للمعظم، أما الشراذمُ التى تخالف الجمهور فهذه هالكةٌ.

أصحابُ رسولِ الله كانوا على عقيدة واحدة وهىَ أن الله موجود بلا مكان بلا جهة من غير أن يتحيز فِى جهة من الجهات، ومن غير أن يكون حالًّا فِى جميع الجهات، كان فِى الأزل موجودًا ليس لوجوده بداية، موجودًا قبل المكان والزمان، وهو موجودٌ أبدًا بلا جهة ولا مكان.

المكان لم يكن ثم أوجده الله، والزمان كذلك فالذِى يكون قبل الزمان والمكان موجودًا بلا ابتداءٍ لا يتطور، ولا يتغير ولا يتحول من حال إلى حال، أما المخلوق يتحول من حال إلى حال، حتى النور والظلام يتحول من حال إلى حال، الآن أرض من الدنيا عليها ظلام كهذه الأرض وقسم من الدنيا عليه نور تقلص عنه الظلام فتسلط عليه الضوء، وهكذا الضوء يتنقل والظلام يتنقل، وكلٌّ له كمية عند الله تعالى، النور له مساحة يتسلط عليها والظلام كذلك وكلٌّ منهما يتحول من حال إلى حال، والشمس كما

تعلمون عند الغروب يكون لونها حمراء وعند طلوعها كذلك حمراء، وفي غير ذلك بيضاء.

فخالق العالم لا يتغير، لأنه لو كان يتغير لكان مخلوقا مثلها يحتاج إلى من أوجده، أخرجه من العدم ثم ينقله من حال إلى حال. وهو سبحانه لا تدركه الأوهام ولا تتصوره، ليس كل موجود يتصورهُ قلب الإنسان بل فِى المخلوقات التى خلقها الله يوجد ما لا يستطيع الإنسان أن يتصوره وهو أن النور والظلام لم يكونا فِى وقت، النور نستطيع أن تتخيله بقلبك وحده والظلام كذلك، أما وجود وقت ليس فيه نور ولا ظلام لا تستطيع، فكيف الله، كيف يستطاع تَصَوُّرُهُ وهو لا يشبه العالم اللطيف ولا العالم الكثيف.

الذين تصوروه جسما فوق العرش بقدر العرش، هؤلاء كفار لأنهم جعلوه مثل خلقه، جعلوه موازيًا للعرش الذِى هو مخلوق، لم يكن العرش فِى الأزل، الله كان وحدهُ لم يكن معه شىء، لا عرشٌ ولا سماء ولا أرض ولا جهةُ فوق ولا جهة تحت ولا جهة يمين ولا جهة يسار ولا جهة خلف ولا جهة أمام، كان موجودًا بدون هذه الأشياء ثم خلق هذه الأشياء، ثم هو لم يتغير عما كان عليه، لم يتخذ مكانًا، وهذا العرش خلقه لإظهار قدرته لأنه يوجد ملائكةٌ لا يعلم عددهم إلا الله، محيطون بالعرش، يدورون حول العرش يسبحون الله بحمده، هؤلاء لما يرون هذا الجرم الكبير الذِى لا يعلم حده إلا الله يزدادون يقينًا

بكمال قدرة الله، لهذا خلقه ليس ليجلس عليه، الجلوسُ من صفة الخلق، الإنسان يجلس والكلب يجلس والبقر يجلس فالله تبارك وتعالى لا يجوز عليه أن يكون كشىء من خلقه، هكذا يكون معرفةُ الله، ليس معرفة الله بأن يعتقد أنه جسم فوق العرش بقدر العرش، لا يوجد شىء له حياة مستقرٌ فوق العرش، يوجد كتاب فوق العرش كتب الله فيه إن رحمتى سبقت غضبى.

هؤلاء الذين يقولون فوق العرش لا مكان، والله تعالى هناك حيث لا مكان، قولوا لهم كذبتم، يوجد فوق العرش مكان، الله تعالى وضع ذلك الكتاب فوق العرش، أما أنتم تتصورون جسمًا فوق العرش عظيما واسعًا مساحته بقدر العرش وهذا وهمٌ لا وجود له، هكذا قولوا لهم، فمن اعتقد أن الله موجود بلا مكان بلا جهة من غير أن يكون حجمًا لطيفًا كالملائكة والنور ومن غير أن يكون حجمًا كثيفًا كالإنسان وأنه هو الذِى يستحق أن يعبد، فهذا عرف الله، فإذا اعتقد رسالة سيدنا محمد ﷺ فهو مسلم ما دام على هذا الاعتقاد، لكن يبقى شىء لاستمرار إسلامه وهو أن يحفظ لسانه من سب الله فِى حال غضب أو فِى حال مزح أو فِى غير ذلك، وإلا خرج من الإسلام. لا ينفعه اعتقاده بقلبه أن الله موجودٌ وأن الرسول عليه السلام نبىُّ الله وتصديقه بالجنة والنار، كلُّ ذلك لا ينفعه إذا وقع فِى الكفر بسب الله أو بسب رسول الله أو بسب الملائكة، أو بسبِّ نبيٍّ من الأنبياء عيسى أو

موسى أو ءادم أو سليمان أو غيرهم من الأنبياء.

سيدنا سليمان عليه السلام يقول عنه الكفار إنه كان مَلِكًا من الملوك وكان يعمل بالسحر. والحقُّ أنه كان نبيًا سخر الله له الشياطين، الشياطينُ كانوا مُغتاظين منه لأن الله أعطاه سرًا فكانت الشياطين تطيعهُ مع كفرهم، من غير أن يؤمنوا كانوا يخدمِونه، يعملون له أعمالًا شاقة، الذِى يخالف الله تعالى ينزل به عذابًا فِى الدنيا لذلك كانوا مقهورين له، لما مات كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه، ثم ظهر بعضهم، عدد منهم فقالوا هل تدرون بما كان يحكمكم سليمان كان يحكمكم بالسحر، احفروا تحت كرسيه، فحفروا فوجدوا هذا الكتاب، فصدقوا أن هذا الكتاب لسليمان وضع فيه السحر، فكفروا، الذين صدقوا الشياطين كفروا، لأن السحر ليس من عمل الأنبياء ولا الأولياء، الأنبياء لهم معجزات، أمور خارقة للعادة لا يستطيع من يكذبهم أن يفعل مثلها.

عيسى عليه السلام كان أحيا موتى بعد أن دفُنوا، وكان يبرئ الإنسان الذِى ولد أعمى من دون إجراء عملية يفتح بصرهُ.

اليهود الذين كذبوه هل يستطيعون أن يفعلوا مثل ذلك لا يستطيعون، وهكذا نبينا محمد، الله تعالى أعطاه معجزات لم يستطع الكفار أن يتحدوهُ فيعملوا مثلها.

المهم هو حفظ الإيمان، بأن يحفظ الشخص لسانه

من النطق بأى شىء فيه استخفاف بالله أو بدينه، أو بأنبيائه أو بملائكته، أو بجنته أو يصغّر ويهوّن عذاب جهنم فيقول أيش فيها، نتدفأ بها، هذا كفر، بعض السفهاء يقولون نتدفأ بها، هؤلاء كفروا خرجوا من الإسلام، ولو كانوا فِى قلوبهم يعتقدون عقيدة الإسلام. والحمد لله رب العالمين.

والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.



**الدرس الثامن عشر**



## بيان أن الله تعالى خالق كل شىء



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أن الله تعالى خالق كل شىء.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وسلام الله عليهم أجمعين.

قال أهل الحق الله تبارك وتعالى منفردٌ بالخلق أى الإحداث من العدم إلى الوجود، لا يشاركه فِى ذلك شىء لا من ذوى الأرواح ولا من الجمادات ولا من الأسباب العادية لا يشاركُ اللهَ تعالى شىء فِى خلق منفعة أو مضرة أو عينٍ أو أثر وذلك لِما علموا من قول الله تعالى ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾(١) وقوله ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾(٢) وقوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ

(١) سورة فاطر/الآية (٣).

(٢) سورة الفرقان/الآية (٢).

خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[١] وقول رسوله الكريم ﷺ **إن الله صانعُ كلّ صانع وصنعتِه**[٢] اهـ فعلمنا أنَّ الأسباب العادية ليست خالقةً لشىء من مسبباتها بل الله خالق الأسباب والمسببات، وهذا الترابط بين الأسباب والمسببات أمرٌ أَجْرَى اللهُ به العادة أىْ أنَّ اللهَ تعالى يَخلقُ المُسبَّبَ عند وجودِ السبب فكلاهما أىِ السببِ والمُسبب يَستنِدُ فِى وجوده وحصوله ووقوعه إلى إيجادِ الله تبارك وتعالى.

كثيرٌ من الناس يوقفُون تفكيرَهم عند الظاهر فيقضون ويحكمون بأن هذه الأسباب هى تخلق المسببات، وهذا خلافُ الحقيقة. لو كانت الأسباب تخلق المسببات لوجبَ حصولُ المسبَّبِ عند كلّ سبب والواقعُ خلاف ذلك، نجدُ كثيرًا من الأسباب تُستعملُ ولا يوجد إثرَها المُسبَّبُ فبذلك يُعلم أنّ الأسباب بِقَدَرِ الله والمسبَّباتِ بقدَر الله فإن سبق فِى مشيئة الله وعلمه الأزليين وجودُ هذا المـُسببِ إثر السبب كان ذلك حتمًا حصوله، لأن الله شاء وعلم أن هذا السبب يحصلُ إثْرَهُ المسبَّبُ لا محالة من ذلك، أما إن لم يكن سبق فِى علم الله ومشيئته حصولُ المسبب إثر هذا السبب فلا يحصل ذلك المسبب، روينا فيما يشهد لهذا حديثا فِى صحيح ابن حبان[٣] أن رسول الله قال **إنّ اللهَ خلَق**

---

(١) سورة الرعد/الآية (١٦).

(٢) رواه البيهقىّ فِى شعب الإيمان.

(٣) كتاب الطب.

**الدَّاءَ وخَلَقَ الدَّواء فإذا أُصيبَ دَوَاءُ الدَّاء بَرَأ بإذنِ الله** اهـ قولهُ عليه الصلاة والسلام **بَرَأ بإذنِ الله** دليلٌ على أن الأسباب من أدويةٍ وغيرِها لا تُوجِبُ بطبعها، بذاتها حصولَ المُسبب وشاهدُ الواقع يشهدُ بذلك، نرى كثيرًا من الناس يتداوون بدواءٍ واحدٍ وأمراضهم متّحدة فيتعافى بعضٌ منهم ولا يتعافى الآخرون، فلو كان الدواء هو يخلُق الشفاء لكان كلٌّ واحد يستعمل ذلك الدواء يتعافَى حتمًا ولم يكن هناك حصولُ الشفاء لبعض وعدمُ حصوله لبعض، لهذا قال عليه الصلاة والسلام **فإذا أُصِيبَ دَواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذنِ الله**.

فبذلك نعلم أن الأدوية وجُودُها بتقدير الله والشفاءُ بتقدير الله ليست الأدويةُ تخلق الشفاءَ بحيثُ لا يتخلفُ عند استعمال أيِّ دواء حصولُ الشفاء إثرَه،كذلك سائر الأسباب العادية النار ليست موجبة لحصول الاحتراق إنما اللهُ تعالى شاء أن يحصل إثرَ مماسةِ النار للشىء الاحتراقُ.

فإن حصلَت مُماسةُ النار لشىء ولم يحصُل الاحتراق علمنا بأن المانع من حصول الاحتراق إثر مُماسةِ النار هو أنه سبق فِى علم الله ومشيئته الأزليين أنه لا يحصل الاحتراق إثر مُماسةِ النار لهذا الشىء.

الله تبارك وتعالى خلق ألوانًا وأشكالًا من ذوات الأرواح، جعل فِى بعضها مالم يجعل فِى الآخرين، هذا الطير المسمى السَّمَنّدل ويقال له السَّمَنْد بلا لام، ويقال له السندل بالسين، هذا معروف أنه لا يحصل له

احتراق، جلده لا يحترق بالنار وهو يدخل النار ويتهنأ فيها لا يتأذى وهو عزيز الوجود، يقول ابنُ خلكان فِى تاريخه عن اللغوىّ المشهور عبد اللطيف البغدادى، هذا من أئمة اللغة، يقول شاهدت قطعة من جلد السمندل أُهديت إلى الملك الظاهر ابن الملك الصالح صلاح الدين عرض ذراع فِى طول ذراعين، صاروا يغمسونها فِى الزيت ثم يشعلونها فتشتعل النار ثم تنطفئ النار وتبقى تلك القطعة بيضاءَ نقية، وحيوانه فِى حال حياته هكذا يدخل النار ولا يؤثر فيه وهو كغيره من الحيوانات مؤلف من لحم ودم وعظم، فلو كانت النار تخلق الإحراق بطبعها لم يحصل تخلُّفُ الإحراق للسمندل إذا مسته النار بل كان يحترق كما يحترق غيره، قال بعض الشعراء فِى ذلك

نسجُ داودَ لم يُفِدْ ليْلَةَ الغار
وكان الفَخَارُ للعَنْكَبُوتِ

معناه ليلة كان رسول الله فِى الغار هو وأبو بكر حماهُما اللهُ تعالى بنسج العنكبوت فكان الفضل لنسج العنكبوت ولم يكن هذا الفضلُ لنسج داود، نسج داود هو الدرع معناه الله تعالى لم يَحمِهما بنسج داود بل حماهُما بنسج العنكبوت وهو منَ الخلق الضعيف، قال

وبَقَاءُ السَّمنْد فِى لهب النَّار
مُزيلٌ فضِيلةَ الياقُوتِ

يعنى أن عدم احتراق السمند فِى لهب النار يدل على أن له مزية ليست للياقوت.

فالحاصل أنه يجب اعتقاد أن الأسباب لا تخلق مسبباتها بل الله يخلق المسبَّبات إثرَ الأسباب أىْ أنه تعالى هو خالق الأسباب وخالق مسبباتها، وعلى هذا المعنى يفسَّر ما شاع وانتشر على ألسنة المسلمين فِى أثناء أدعيتهم يا مُسبِّبَ الأسباب، معناه أن الله تعالى هو الذِى خلق فِى الأسباب حصول مسبباتها إثر استعمالها، وهذا من كلام التوحيد الذِى هو اشتهر وفشا على ألسنة المسلمين علمائهم وعوامهم وهو يرجع إلى توحيد الأفعال أى أن الله تبارك وتعالى هو الذِى فِعلُه لا يتخلفُ أثرُه، إذا شاء حصول شىء إثر مزاولة شىء حصل لا محالة، لا بُدَّ.

وكما أن الله تبارك وتعالى هو خالق المـُسببات إثر استعمال الأسباب فهو خالق العباد حركاتهم وسكناتهم، لا خالق لشىء من ذلك غيرهُ.

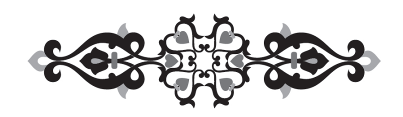
فالإنسان مكتسبٌ لأعماله الاختيارية ليس خالقًا بل اللهُ خالقها، هذه الحركات التى نتحركُها للخير أو للشر، الله تبارك وتعالى هو خالقها فينا، هو الذِى يُجريها على أيدينا، ولا فرق فِى ذلك بين أعمالنا التى هى حسنات وبين أعمالنا التى هِىَ سيئات.

المراد بالحسنات هنا الطاعات والمراد بالسيئات المعاصى، فالطاعات من الإيمان وما يتبعه من صلاة وصيام وإلى غير ذلك مما لا يُحصى، والسيئات من الكفر وما بعده كل ذلك بخلق الله تعالى، هذا الاعتقادُ هو اعتقاد الفرقة الناجية وهم الصحابة الذين تلقَّوا عن

رسول الله المعتقد الإيمانىَّ ثم تلقَّى منهمُ التابعون ثم أتباع التابعين وهَلُمَّ جرا، هذه هى عقيدة الفرقة الناجية. وتسميتهم الفرقة الناجية ليس لأقليتهم بالنسبة للفرق المنتسبة للإسلام المخالفة لهم بل هذه الفرقة الناجية هِىَ الأكثر، أما أولئك الفرق المخالفة التى خالفت الفرقة الناجية فِى معتقدها فأولئك وإن تعددت أسماؤهم بحيث بلغت إلى اثنتين وسبعين فرقة فإنهم الأقل.

وهذه الفرق الاثنتان والسبعون الشاذة التِى هِىَ ضالة كثير منها انقرضوا ولم يبق إلا أقلهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم
والحمد لله رب العالمين.



**الدرس التاسع عشر**



# بيان توحيد الله تعالى في الذات والصفات والأفعال



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى السابع والعشرين من شهر ربيع الثانِى سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للحادِى عشر من شهر شباط سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان توحيد الله تعالى فِى الذات والصفات والأفعال. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى ءاله وصحبه ومن والاه، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى فرض على عباده أن يوحدوه، وتوحيد الله هو أعظم الفرائض ومعنى التوحيد هو اعتقاد أن الله تبارك وتعالى واحدٌ فِى ذاته، واحدٌ فِى صفاته، واحدٌ فِى فعله.

أما ذاته تبارك وتعالى أى حقيقته فهو ذات لا يشبه شيئا من الذوات أى لا يشبه شيئا من الحقائق ليس مصوَّرًا أى ليس ذا صورة ولا تركيب ولا تأليف ولا ذا كيفية، لا تجوز عليه المساحة والمقدار، فقد قال

الإمام أبو الحسن الأشعرى فِى كتاب (النوادر) ما نصه من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافرٌ به اهـ فالله تعالى مُقَدّرُ المقادير وخالق الطول والعرض والصغر والكبر، فلا يكون مُتَّصِفًا بهذه الأوصاف التى خلقها، هو موجود لا يشبه الموجودات.

وأما صفاته فإن منها العلم والسمع والبصر والحياة والإرادة وغير ذلك من صفاته العلى، وكل صفة من صفاته لا تشبه صفات الخلق علمه ليس كعلم غيره، وقدرته ليست كقدرة غيره، ومشيئته أى إرادته ليست كإرادة غيره، فهو حَيٌّ قدير عليم سميع بصير حى لا كالأحياء لأنه حىّ بحياة أزلية أبدية ليست بروح ودم ولحم، وعلمه ليس كعلم غيره، علمه أزلىّ أبدىّ لا يتجدد وليس كعلم غيره، وإرادته ليست كإرادة غيره، هِىَ إرادة أزلية أبدية لا تتغير ولا تتطور ولا تتبدل، وسمعه ليس كسمع غيره بل سمع الله أزلى أبدى، أما غير الله فإنه يسمع سمعًا محدثًا بآلة، غيره يسمع بأذنه أما هو فسمعه أزلىٌّ أبدىٌّ لأن الأذن لا تجوز على الله، غيرُ الله يَرَى بحدقة أما هو فيرى بغير حدقة.

فمَنْ ءَامَنَ قلبُه بأن الله تعالى موجود لا يشبه الموجودات موصوفٌ بصفاتٍ لا تشبه غيره فقد عرف الله.

ويجب على العبد أن يعتقد أن الله تبارك وتعالى خالق الحادثات أىْ خالق كلّ ما دخل فِى الوجود، خالق الأجسام وخالق أعمالها. الله خالقٌ لأجسامنا

وأجسام الحيوانات والجن والملائكة خلق أجسامهم وأعمالهم، هو الخالق لا خالقَ سواه، فالعباد لا يخلقون حركاتهم وسكونهم بل الله خالق ذلك سواء الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية، كلٌّ بخلق الله تعالى، لأن الخلق وهو إبراز المعدوم من العدم إلى الوجود خاص بالله تعالى، فلا أحد يخلق شيئًا من الأجسام والأعمال إلا الله. قال الله تعالى ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾(١) فأعلمنا أنه هو الخالق فقط لا خالق سواه للأجسام وللأعمال، فمن جعل خلق الأعمال للعباد والبهائم فإنه كذب قول الله. كم وكم اليوم من الذين يدَّعون العلم يقولون والعياذ بالله إن الله خلق الجسم فقط وأما أعمال الجسم من الحركات والسكون يقولون أنها من العباد ليس له تصرف فِى ذلك، هؤلاء قوم ملحدون، هم والذين يعبدون الأوثان كافرون؛ فأولئك جعلوا أنفسهم شركاء الله بقولهم نحن نخلق أعمالنا، الله تعالى قال ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ ليس معنى الآية لا خالق للأجسام إلا الله، بل معناها لا أحد يخلق شيئًا من الأجسام والأعمال إلا الله، هذا مذهب أهل الحق الذِى جاء به الأنبياء جميعهم وهذا مذهب أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان،كلهم كانوا على هذا الاعتقاد، كانوا يعتقدون أن الله هو الذِى خلق الأجسام والأعمال، ومع ذلك صح تكليفه للعباد ولا يكون عليه ظلمًا. فأهل الحق كلهم موحدون

(١) سورة فاطر/الآية (٣).

لله يعتقدون اعتقادًا جازما لا يخالطه شك أن الله خلق الأجسام والأعمال، ومع ذلك كلف العباد بأداء أوامره واجتناب نواهيه فإن امتثلوا أمره ونهيه كان لهم بفضل الله الثواب الجزيل ومن خالف أوامره ونواهيه استحق العذاب الأليم.

ثم الذِى يبقى للعباد هو أن العباد يكسِبون أعمالهم كسبًا والله يخلقها خلقًا والكسب هو توجيه العبد قصده وإرادته نحو فعل الشىء فيخلقه الله عند ذلك.

وكذلك سائر الأسباب العادية لا تخلق شيئًا بل الله سبحانه وتعالى يخلق المنافع والمضار التى تترتب على هذه الأسباب.

مثلًا النارُ إذا لامسها إنسان تحصل فيه الحرقة فالنار جعلها الله تعالى سببًا للإحراق ولكنها لا تخلق الحرقة، ولو كانت تخلق الحرقة ما سلم أحد من كل ذِى روحٍ ما لمس النار إلا وأحترق، لكنه ثبت أن أفرادًا من البشر لم تحرقهم النار منهم نبىّ الله سيدنا إبراهيم الخليل والتابعِىُّ الجليل أبو مسلم الخولانى.

فعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام وأبى مسلم دليل ظاهر على أن الأسباب لا تخلق مسبَّباتها وإنما الله تعالى يخلق المسببات عند وجود السبب، الله يخلق الاحتراق فِى الشىء الذِى لمسته النار. حتى يومنا هذا يوجد من يدخل النار ولا تحرقه. كان فِى مدينة حمص شيخ من السعديين، وقد روى ولده الشيخ برهان أن والده رحل إلى إسطنبول أيام السلطان عبد الحميد،

ولما عرفوا أنه ينتسب إلى طريقة التصوف قالوا له أرنا ءاية إن كنت من أهل النسب (كان منسوبًا إلى سيدنا الحسين) فأشعلوا الفرن بشدة فدخل فيه فلم تؤثر فيه بل هو بمكثه فيه أطفأه، فوصل خبره إلى السلطان فبنى له بناية فخمة فِى حمص حتى يتخذها زاوية للذكر. قبل ذلك كان هو وأحبابه يذكرون فِى مكان متواضع مساحته صغيرة، فلما بنى له السلطان هذه البناية وَسِعَته هو ومريديه للذكر ووسعته للسَّكَن.

والنعام كغيرها من البهائم من لحم ودم وعظم، فهى تأكل الجمر الأحمر أكلًا تستمرئه، أى من غير أن يزعجها، كذلك المسامير المحمرة من النار تأكلها النعام ولا يؤذيها مع أنها من لحم ودم، فلماذا هذا الجمر وهذه القطع الحديدية المحماة من نار لا تحرقها وتحرق فِى العادة غيرها لأن النار لا تخلق الإحراق كذلك الخبز لا يخلق الشبع لآكله وكذلك الماء لا يخلق الرِّىّ لشاربه، وكذلك الدواء لا يخلق الشفاء لمستعمله فمن كان الله شاء له فِى الأزل أن يصيبه المرض الفلانى وأن يستعمل الدواء الفلانى وأن يتعافى من هذا المرض حصل الشفاء من هذا الداء، ومن لم يشإ الله تعالى أن يحصل الشفاء له عند استعمال الدواء لم يحصل له الشفاء مهما تداوى. فإذًا الأسباب لا توجِب المسببات بطريق التلازم العقلى إنما جرت العادة بمشيئة الله على أن يحصل الشفاء عند استعمال الأدوية، وفى كثير من الأحوال لم يشأ أن يحصل الشفاء، فهذا دليل عيانىٌّ وبرهان يقينىٌّ على أن

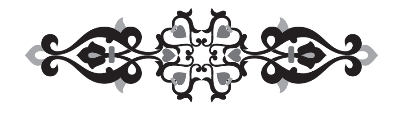
الأسباب لا تخلق المسببات إنما تلازُم الأسباب لا تخلق المسببات إنما تلازم الأسباب والمسببات من هذا القبيل عاديٌّ، فلا يتوكل العبد على الأسباب بل يتوكل على مسبب الأسباب أى خالق الأسباب أى الله الذِى جعل ارتباطًا بين الأسباب والمسببات، كيف يُنسى خالق الأسباب والمسببات من أجل الأسباب نسيان المسبِّبِ على الدوام من شيمة الغافلين عن الله الواقفين عند الأسباب، وأما من اعتقد أن هذه الأسباب هِىَ تخلق مسبباتها ولا يعتقد أن الله هو خالق الأسباب ومسبباتها فإنه كافر.

الله تبارك وتعالى أخبرنا فِى القرءان بأنه هو خالق كل شىء أى خالق كل ما دخل فِى الوجود من الأجسام والأعمال، كل شىء وجد أى حدث بعد أن لم يكن موجودًا فِى الأزل الله خلقه، لم يخلق نفسه ووُجد دون فاعل أو خالق بل الله هو الفاعل والخالق الله خالق الأعمال التى يحبها كالإيمان والطاعة، والأعمال التى لا يحبها ونهى عبادة عنها، كله خَلقٌ لله، فكثير من الناس لجهلهم بعقيدة الأنبياء التى يشهد بها العقل السليم يعتقدون أن الإنسان هو يخلق المعاصى والله يخلق الخيرات، هذا خلاف عقيدة الأنبياء، فالرسول وكلُّ الأنبياء يعتقدون أن الله هو خالق كل ما يدخل فِى الوجود من الذرة إلى العرش. الله تعالى خلق الأشياء المتقابلة البياض والسواد والأرض والسموات والخير والشر. هذا كمال لله تعالى عكس ما يقوله الجهال بأن الذِى يقول الله خلق

الخير والشر فهذا ظلم بحق الله.

قول أهل الحق بعيد عن التنقيص بحق الله تعالى بل هو تنزيه لله تعالى. وبقول الجهال والعياذ بالله إن الله لا يخلق الشر جعلوه مغلوبًا والله غالب على أمره. نحن وإياهم متفقون على أن الله لا يحب الشر ولكن الاختلاف أننا نعتقد أنه خالق الخير والشر وهذا تنزيه وتمجيد لله، لأننا جعلناه هو الغالب، أما هم فقد جعلوه مغلوبًا والإيمان لا يصح بالاعتقاد أن الله مغلوب فلو كان كذلك لكان متندمًا متحسرًا.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.



## الدرس العشرون



# بيان أن مشيئة الله نافذة ولا تتغير



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أنَّ مشيئة الله نافذة ولا تتغير.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى ءاله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فمن أصول الإيمان الذِى لا يكون الإنسان مؤمنًا إذا خالف فيه معرفة الله ورسوله، لا يكون الإنسان مؤمنًا إلا بمعرفة الله ورسوله.

أما معرفة الله فهو اعتقاد أن الله موجود ليس كمثله شىء من الأشياء لا يشبه شيئًا من العالم، ليس جسمًا لطيفا ولا جسمًا كثيفا، ولا جسمًا صغيرًا ولا جسمًا كبيرًا، إنما هو موجود لا يشبه شيئًا، لا يمكن تصوره فِى النفس، هذا معنى معرفة الله.

أما معرفة الرسول فهو اعتقاد أن محمد بن عبد الله رسول الله صادق فِى كل ما يبلغه عن الله.

ثم الأصل الثانى من أصول الإيمان اعتقاد أن الله هو خالق كل شىء، هو خالق الأجسام صغيرها وكبيرها، الخردلة هى من أصغر الأجسام ثم بعدها شىء أكبر منها ثم بعد ذلك شىء أكبر منه، إلى أن ينتهى كبر الجسم إلى العرش، بعد العرش لا يوجد شىء أكبر من العرش، ما خلق الله شيئا أكبر منه.

الله كان قبل العرش وقبل السموات وقبل الأرض بلا مكان بلا جهة ثم خلق العرش والماء وغير ذلك، ولم يتخذ شيئًا من هؤلاء مكانًا له.

كذلك الحركات والسكنات، حركات الإنسان وسكناته وتقلب قلبه والعلوم والإدراكات، علوم الخلق وإدراكاتهم وتصوراتهم وخواطرهم كل ذلك لا يخلقه إلا الله، الإنسان لا يخلق شيئًا، يفعلُ لكن لا يخلق، وإذا نظر إلى شىء، هذا النظر ليس هو يخلقه وإذا تفكر فِى شىء فهذا التفكر الله يخلقه فيه ليس الإنسان يخلقه، هذا الأصل الثانى، فمن فقد شيئًا من هذا فهو ليس بمسلم ليس بمؤمن بل هو كافر.

الله تعالى لا يتغير لا يجوز عليه أن يكون كخلقه الخلق بعضه ساكن بلا حركة العرش والسموات السبع ساكنون بلا حركة، منذ خلقهم الله تعالى ساكنون لا يتحركون، والنجوم متحركة منذ خلقها الله، الإنسان والملائكة والجن والبهائم يتحركون مرة ويسكنون مرة ويكون بعضهم فِى جهة وبعضهم فِى جهة أخرى أما الله تعالى لا يجوز عليه أن يكون كخلقه متحيزًا فِى

جهة فوق أو فِى جهة تحت ولا يجوز أن يكون متحركًا دائمًا ولا ساكنًا دائمًا ولا متحركًا فِى بعض الأوقات وساكنًا فِى بعض الأوقات، كلُّ هذا الله منزهٌ عنه لأنه أنزل فِى القرءان ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) هذه الآية معناها أن الله لا يشبه شيئًا من العالم بوجه من الوجوه. هذه الآيةُ تُنَزِّهُ الله عن كل صفات الخلق، تُنزّهه عن أن يكون حجمًا كبيرًا أو صغيرًا، وتُنزّهه عن أن يكون فِى جهة من الجهات، فوق أو تحت، وتنزهه عن أن يكون متحركًا أو ساكنًا وتنزهه عن أن يكون متغيرًا، تنزهه عن أن تكون صفاتُه متغيرةً علمُه وقدرتُه ومشيئتُه وسمعُه وبصرُه وحياتُه وكلامُه وتنزهه عن أن تكون كل صفاته كصفات العالم، علمُه لا يزيد ولا ينقص لأنه بعلم واحد يعلم كل شىء حصل ويعلم كل ما سيحصل لا يتجدد له علم كذلك بمشيئة واحدة شاء وجود هذا العالم الذِى دخل فِى الوجود، والذِى سيدخل فِى الوجود شاء بمشيئة واحدة فِى الأزل لا تحدُثُ له مشيئة جديدة.

بعض الناس من جهلهم بالعقيدة يظنون أن الله تعالى إذا إنسان دعاه أو تصدق صدقة، أو دعا ليلة النصف من شعبان أن الله يغير له مشيئته ويظنون أنه قد يكون الله شاء أن يكون فلانٌ فقيرًا يعيش فِى الفقر أو شاء أن يكون على الشقاوة ثم لَمَّا يدعو هذا الإنسان ليلة

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

النصف من شعبان الله تعالى يغير مشيئته، هؤلاء كفار ما عرفوا الله هؤلاء جعلوا الله مثل خلقه، نحن مشيئتنا تتغير، الإنسان قد يعزم على شىء أن يفعل كذا وكذا ثم يغير مشيئته أما الله تعالى لا يجوز عليه هذا، ما شاء فِى الأزل أن يكون لا بد أن يكون وما لم يشأ فِى الأزل أن يكون فلا يكون.

أما الدعاء والصدقة وسائر الأشياء التِى يحصل منها نفع ليس معنى ذلك أن الله يغير مشيئته التِى هِىَ سبقت إلى خلافها إنما الدعاء معناه أن الإنسان يطلب من الله أن يعطيه شيئًا أو أن يصرف عنه شيئًا من البلاء والمكروه، ثم الله تبارك وتعالى إن شاء فِى الأزل أن هذا الإنسان يدعو بكذا فيعطيه ما يريد أو يدفع عنه ما أراد الله أن يصرف عنه يحصُلُ ذلك، هذا معنى الدعاء. وكذلك الصدقة اللهُ عالم فِى الأزل أن هذا الإنسان يتصدق بكذا وكذا فيصرف عنه من البلاء كذا وكذا. الله عالم فِى الأزل بأن هذا الإنسان يدعو ليلة النصف من شعبان بأن يصرف الله عنه من البلاء كذا وأن يزيل عنه الفقر الذِى كان فيه فيصرف عنه ويعطيه ما طلب أو لا يعطيه ما طلب، اللهُ عالم فِى الأزل قبل أن يدعوَ الناسُ فِى تلك الليلة.

الرسول عليه الصلاة والسلام سأل ربه أربعة أشياء سأله أن لا تَكْفُرَ أمتُهُ جملةً قال فأعطاه الله ذلك وسأل أن لا يُهْلِكَ أمتَه بهلاكٍ شاملٍ كهلاك قوم نوحٍ، قومُ نوح كل البشر الذين لم يؤمنوا به الله أهلكَهم بالغرق

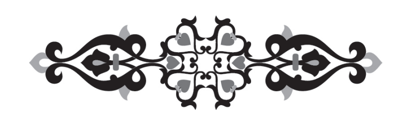
إلا نحو ثمانين شخصًا كانوا ءامنوا به هؤلاء ركبوا معه السفينة، الله علَّمَه أن يعمل سفينة فركب هو وأركب من البهائم والطيور فِى هذه السفينة، مَنْ سوى هؤلاء الثمانين - نَحوِ الثمانين - البشر الكبار والصغار حتى الأطفال الرضع الماءُ أكلهم، الرسولُ دعا أن لا يُسلّط على أمته هلاكًا مثلَ هذا الهلاك قال فأعطانيه فلا يصير فيها بعد سيدنا محمد إلى يوم القيامة هلاكٌ عام لا بالمجاعة ولا بالغرقِ إنما يهلِك قسم، بعض أمته يحصل لهم زلازل يهلِكون وبعض الأمة يحصل لهم مجاعة يهلِكون أما الهلاك العام فإن الله تعالى رفعه عنهم استجاب له فيه، ثم سأل الله تبارك وتعالى أن لا يُسَلّط كفارًا يبيدون أمته فأعطاه الله ذلك، الكفار مهما قَوُوا مهما كثروا لو كان عندهم سلاح أكثر مما بين أيديهم اليوم لا يستطيعون أن يبيدوا أمَّة محمد لا يستطيعون أن يمحُوْهُم من الوجود بالقتل، وسأله أن لا يقاتل بعضُهم بعضًا أى أن لا يصير بين بعضهم البعض عداوة وقتال فمنعنيها، لذلك بين المسلمين يصير قتال بعد كل مدة يقاتل بعضهم بعضًا. أيام سيدنا علِىّ حصل قتال بين المسلمين قتل بعضهم بعضًا وبعد ذلك بعد كل برهة يتجدد ولو كان الله تعالى يغير لدعاء إنسان شيئًا كتبه وقدره كان أعطى سيدنا محمدًا هذه الرابعة لكن الله لا يغير مشيئته وأعطاه الثلاثة الأول أما هذه الرابعة ما أعطاه، لو كان الله يغير مشيئته لعبد من عباده كان غير لسيدنا محمد لأنه أحب الخلق إلى الله.

هذا والله تبارك وتعالى منفرد بخلق كل ما يدخل فِى

الوجود. الأجسام مهما كانت صغيرة هو يخلقها لا خالق لها غيره، وحركات الخلق وسكناتهم وخواطر قلوبهم وتقلب أبصارهم ينظر مرة هكذا ومرة هكذا ويفكر فيُحَصّلُ معلوماتٍ وإدراكات كل هذا ليس العبد يخلقه،كذلك إذا إنسان طلع تقيًّا، مؤمنًا تقيًّا وليًّا، الله تعالى خلق فيه هذه الطاعة ليس هو هذا المؤمن التقِيّ خلق لنفسه هذه الأعمال الصالحة، والكافر أيضًا يكفر بمشيئة الله الأزلية الكافر ليس هو خلق كفره، الله يخلق فيه الكفر لكن الله يحب الإيمان والطاعة وهو يخلقه فِى خلقه ويكره الكفر والمعاصى ومع ذلك هو يخلقه فِى خلقه، الكفار ليس هم خلقوا كفرهم الله تعالى خلق فيهم هذا الكفر بعلمه وقدرته ومشيئته وتقديره، من خالف هذا فهو كافر. كان يوجد شخصٌ فِى أواخر أيام الصحابة كان أصله من موالى سيدنا عثمان بن عفان، كان عبدًا مملوكًا، ثم هذا أزاغ الله قلبه صار يقول الأعمال التى نحن نعملها نحن نخلقها بمشيئتنا نحن نخلقها، صار يوسوس لهذا ولهذا ولهذا، صار شره كبيرًا، ثم أيام عمرَ بنِ عبد العزيز عند نهاية المائة الأولى بلغ خبرُهُ عمرَ بنَ عبد العزيز رَضِىَ الله عنه فطلبه وقال له أنت بلغنِى أنك تتكلم بكذا فِى القدر فقال يا أمير المؤمنين يكذبون عَلَىّ، وكان عمر بن عبد العزيز له هيبة بالتقوى ليس كبعض الملوك الذين كانوا من عشيرته مبذّرا مسرفًا متعجرفًا كان من أشد الناس تواضعًا، ورافضًا للتنعم لا يتنعم حتى إنه عندما يصلّى فِى بيته يفرش ترابًا ليسجد على التراب من أجل

التذلل لله ما تجرأ غيلان أن يقول نعم أنا قلت كذا بل قال يكذبون عَلَيّ يا أمير المؤمنين، سيدنا عمر ما اطمأن قلبه بكلامه قال إن كان فِى قلبك خلافُ ما تقول بلسانك الله تعالى يذيقك حَرَّ السيف اهـ يعنِى تُقْتَلُ يُقْطع رأسُك بسيف. بعدما مات سيدنا عمر بدأ يتكلم ثم جاء خليفة ءاخر هو هشام بن عبد الملك فطلبه فقال له أنت تتكلم فِى القدر قال نعم يا أمير المؤمنين إن شئتَ اجمعنِى بشخص يناظرنِى فأرسل بطلب الإمام الأوزاعِىّ كان هنا فِى بيروت وهشام كان بدمشق وغيلان كان بدمشق جمعه بسيدنا الأوزاعِىّ فِى الشام فحَطَّمَهُ سيدنا الأوزاعِىّ بالعلم ثم قال الأوزاعِىّ عن غيلان لأمير المؤمنين هشام كافر وربِّ الكعبة يا أمير المؤمنين فقتله لأنه اعتبره كافرًا كذَّبَ قول الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[1] قطع يديه ورجليه ثم قطع رأسه وعلقه بباب دمشق.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) سورة الرعد/الآية (١٦).

**الدرس الحادِى والعشرون**



## بيان خطر اللسان



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الرابع من شوال سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للخامس عشر من تموز سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف ر وهو فِى بيان خطر اللسان.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

روينا فِى صحيح ابن حبان أن سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قال **قلت يا رسول الله أخبرنى بشىء أعتصم به، قال قل ءامنت بالله ثم استقم، قال قلت ما أشد ما تتخوف عَلَيَّ فقال هذا**[١] اهـ وأخذ بلسانه، أى أخذ الرسول بلسانه فقال له هذا.

الجزء الأخير من هذا الحديث كثير من الناس لا

(١) أى إنّ لسان المرء من أخوف ما يخاف عليه منه.

يعملون به، وهو أن هذا الصحابى الجليل سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قال يا رسول الله ما أشد ما تخاف عَلَىَّ فقال الرسول هذا، وأخذ بلسان نفسه، أمسَكَ لسانه وقال هذا أشدُّ ما أخاف عليك، يعنى أكثر ما يضرك معاصى لسانك.

النفس لها شهوة كبيرة فِى الكلام الذِى تهواه من غير تفكير فِى عاقبته، ماذا يصيبنى من هذا الكلام فِى الآخرة أو فِى الدنيا من غير تفكير فِى عاقبة هذا الكلام الناس يتكلمون، لذلك الرسول ﷺ قال أشد ما أخاف عليك لسانك، فِى الأول قال له الرجل أخبرنِى بشىء أعتصم به، أى علّمنِى أمرًا أتمسك به لدينى، فقال له الرسول ﷺ **قل ءامنت بالله ثم استقم** أى اثبت على الإيمان ثم استقم أى اعمل بطاعة الله واجتنب معاصى الله، ثم الرجل سأل عن أشد شىء يهلكه، يضره، فقال الرسول ﷺ هذا، ثم أخذ الرسول ﷺ بلسانه أى أن لسانك هو أشد ما أتخوفه عليك.

حفظ اللسان أمر مهم، أكثر ما يهلك الإنسان فِى الآخرة معاصى اللسان، لأن الكلام سهل على اللسان، المشى يحتاج إلى كلفة، أما اللسان سهل أن ينطق بما يشاء فأكثر ما يفعله الإنسان من الذنوب والمعاصى هو من اللسان.

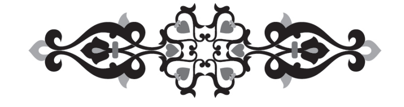
فيجب على الإنسان أن يحفظ لسانه، وطريقة حفظ اللسان أن يتفكر الإنسان فِى عاقبة ما يخطر له أن يتكلم به، ثم إن لم يكن فيه خطر، ينطق به، هذا طريق السلامة.

أكثر الكفر يكون باللسان، وأكثر العداوات سببها اللسان وأكثر الخصومات كذلك، وأكثر أسباب التباغض والتقاطع هو اللسان، كل إنسان يحاسب نفسه ويفكر فيما يعود عليه بكلامه الذِى يتكلم به قبل أن يتكلم فبذلك السلامة.

فيما أنزل الله تبارك وتعالى على سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما أخبر بذلك الرسول عليه السلام، الله أنزل على إبراهيم عشر صحائف أمثال أى مواعظ وعبر ليس فيه أحكام شرعية كالقرءان، القرءان جامع أحكام وأخبار الأنبياء الأولين، وجامع أمور الآخرة، وجامع المعاشرة فيما بين الناس، وما يكون بين الرجل والزوجة وغير ذلك من المصالح، القرءان شامل العقيدة والأحكام، أما صحف إبراهيم العشر ما كان فيها إلا المواعظ. مما كان فِى صحف إبراهيم على العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها فِى صنع الله، وساعة يخلو فيها لمطعمه ومشربه، هذه الكلمات فيها موعظة كبيرة، فالمطلوب من البالغ العاقل هذه الأمور الأربعة، أحدها أن يكون له وقت يناجى فيه الله بالصلاة والذكر، إما بالصلاة وإما بالذكر، هذه مناجاة الله أى أن هذا أمر مهم، والأمر الثانى أن تكون له ساعة يحاسب فيها نفسه أى يتفكر فِى نفسه ماذا عملت اليوم من الواجبات من أمور الدين، وماذا حصل منى من المعاصى ليتدارك نفسه، إن تذكر أنه أضاع واجبًا

يتداركه بأدائه، وإن تذكر أنه عمل معصية يتدارك نفسه بالتوبة من تلك المعصية، والأمران الآخران أحدهما أن يتفكر فِى صنع الله أى فِى حال نفسه وفى حال هذه الأرض التى يعيش عليها وفى حال العالم العلوى السماء والنجوم، فإن فِى هذا التفكر زيادة اليقين بكمال قدرة الله، وفى ذلك تقوية الإيمان وفى ذلك محبة الله وغير ذلك من الفوائد، والأمر الرابع هو أنه لا بد له من ساعة يأكل فيها ويشرب، هذه الرابعة قد يغنى الله تبارك وتعالى بعض الصالحين عنها فلا يحتاجون للأكل والشرب، بعض أولياء الله فِى أيام الحجاج بن يوسف أخذه ليقتله بالجوع، قال احبسوه وأغلقوا عليه الباب، أدخلوه وأغلقوا عليه الباب خمسة عشر يومًا ثم فتح الباب، وعلى ظنهم أنه مات، فوجدوه قائمًا يصلى، فتخوف الحجاج من قتله فأطلقه، بعضُ الأولياء هكذا، الله تعالى لا يحوجهم إلى الأكل والشرب، يعطيهم قوة بلا أكل ولا شرب وصحتهم محفوظة، لكن أغلب الناس لا بد لهم من أن تكون لهم ساعة للأكل والشرب، هذا الولىُّ يقال له عبد الرحمن بن أبى نعم، هذا الحجاج الذِى فعل به هذا قَتَلَ ظلمًا فِى غير معركة مائة وعشرين ألف نفس مسلمة، كان من أكبر الظُّلَّام الذين كانوا من حكام بنى أمية، هذا أظلمهم.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الثانِى والعشرون**



## بيان وحدة كلام الله تعالى



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيان وحدة كلام الله تعالى.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وحبيب رب العالمين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

أما بعد، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى موجود لا يشبه الموجودات. ذاته أزلى أبدى لم يسبق له عدم ولا يلحقه عدم. قال الإمام أبو جعفر الطحاوىُّ تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات اهـ إذا قيل الله ليس بمحدود ليس معناه أنه شىء ممتدٌّ إلى غير نهاية، معناه ليس له حجم كبير أو صغير. الذِى يعتقد أن الله شىء ممتدٌّ إلى غير نهاية كافر، والذِى يعتقد أن الله له امتدادٌ ينتهى صغيرٌ أو كبير كذلك كافر، كل شىء له مقدار مخلوق، والعرش

الذِى هو أكبر العوالم مخلوق، الوهابية تقول الله بقدر العرش، ومنهم من يقول ترك من العرش بقعة ليُقعد عليها الرسول ﷺ يوم القيامة. هؤلاء جعلوا العرش جسمًا أكبر من الله. ولو قالوا بقدر العرش فهم كفار، ولو قالوا أوسع من العرش بالآف المرات فهم أيضًا كفارٌ كفارٌ. كل شىء يحُلُّ فِى جهة جسم، النور أليس يأخذ مكانًا؟ والظلام أليس يأخذ مكانًا؟ فالنور جسم والظلام جسم، وكذلك الذِى يعتقد أن الله فِى جهة فوقٍ كفر.

بعض الشافعية خالف كلامُهُ كلام الإمام الشافعى. قال هؤلاء الشافعيةُ الجاهل إذا قال الله فِى جهة فوق لا نكفره، هذا كفر. إذا قال الشخص الله فِى السماء وفهم من ذلك أن الله حالٌّ فِى السماء كافر، أما إذا كان يفهم من ذلك أن الله أعلى من كل شىء درجة لا يكفر. فِى القرءان ورد ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1] معناه الله معبود فِى السموات وفى الأرض، فِى السموات تعبده الملائكة وفى الأرض يعبده مؤمنو الإنس ومؤمنو الجن. قال الله تعالى فِى سورة المُلك ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[2] هذه الآية الذِى يفسرها على الظاهر يظن منها أن الله تعالى حالٌّ فِى السماء يكفر، والذِى لا يفهم الحلول ويفهم منها أن الله أعلى من كل شىء درجة

(١) سورة الأنعام/الآية (٣).
(٢) سورة الملك/الآية (١٦).

فلا يكفر. كذلك من قرأ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[(١)] إن فهم منها أن الله قهر العرش فهو حقٌّ، العرش الذِى هو أكبر المخلوقات مقهور لله، معناه أن الله قهر كل شىء، أما الذِى يفهم منها الجلوس كفر. الشافعىُّ قال المجسم كافر بعد أن قال الشافعىّ المجسم كافر إذا وجدنا فِى كتب بعض الشافعية من قال الله فِى جهة فوق لا نكفّره نَنْبِذُ كلامه لا نعتبره شيئًا. نردّه لأنه خالف كلام الإمام، الشافعىّ ولد سنة مائة وخمسين من الهجرة وتوفى سنة مِائَتَيْنِ وأربع من الهجرة ورد حديث عن رسول الله ﷺ عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا معناه سيأتِى عالمٌ من قريش يملأ طباق الأرض علمًا. العلماء نظروا قالوا من يكون، قالوا الشافعىَّ لأن علمه انتشر فِى الأرض، فِى أندونيسية واليمن والحبشة والصومال حتى بلاد إيران وبر الشام ومصر وغيرها. قالوا ما وجدنا عالمًا انتشر علمه فِى الأرض كما انتشر علم الشافعىّ. يوجد كتاب يقال له كتاب القواعد للعز بن عبد السلام ذُكِرَ[(٢)] فيه من قال الله فِى جهة فوق لا نكفره قال لأن التخلِّىَ عن هذا صعب، هذا الكلام مردود لأنه خالف كلام الإمام.

كل شىء يكون فِى جهة فهو جسم، إما جسم لطيف أو جسم كثيف، الجسم اللطيف كالنور والريح

---

(١) سورة طه/الآية (٥).

(٢) قال الشيخ الهررىّ اعتقادى أن هذا الكلام مدسوس على العزّ اهـ

والظلام، والجسم الكثيف كالنجم والشمس والقمر. النجم والشمس والقمر فِى هذا الفراغ فوقنا، هذا الفراغ من هنا إلى السماء الأولى مسيرة خمسمائة سنة، الريح فِى هذا الفراغ، الريح جسم، الذِى يقول الله فِى السماء ويظن أن الله ضوء حلَّ فِى جهة السماء جعله جسمًا كفر. والذِى يقول بصورة البشر أكفر. كان فِى الماضى مشبهة يدّعون الإسلام ويُصَلُّون ويصومون منهم من يقول الله بصورة شاب أمرد ومنهم من يقول بصورة شيخٍ أشمط أى اختلط سواد شعره ببياضه. هؤلاء أكفر من الذِى يقول الله فِى جهة فوق ولم يجعله بصورة بشرٍ. الذِى جعله بصورة بشر أكفر. هذا معنى المجسم من اعتقد أن الله جسم أو قال يسكن فِى مكان.

أما قول الإمام الطحاوىّ ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر فمعناه أن الذِى يعتقد أن لله كلامًا ككلام البشر من حرف وصوت، والذِى يعتقد أن رؤيته بمقابلة، أىْ أنه يَرَى العالم من جهة من الجهات كافر، كذلك الذِى يعتقد أن المؤمنين يرون الله بعدما يدخلون الجنة فِى جهة من الجهات أو فِى كل الجهات فهو أيضًا كافر بل يراه المؤمنون فِى الجنة من غير مقابلة أى من غير أن يكون فِى جهة منهم، الله تبارك وتعالى يُرَى لا كما يرى المخلوق، المخلوق يُرَى قريبًا بالمسافة أو بعيدًا بالمسافة.

كذلك الذِى يظن أن كلامه سبحانه وتعالى بحرف وصوت شَبَّهَهُ بالبشر. نحن كلامنا بحرف وصوت. أبو

حنيفة رضى الله عنه كان أدرك الصحابة، ولد سنة ثمانين من الهجرة، تعلم العلم ممن تعلم من الصحابة قال نحن نتكلم بالآلات والحروف والله يتكلم بلا ءالة ولا حرف. الذِى يقول الله يتكلم بالآلة والحرف والصوت شبهه بخلقه، هذا البيان ليس شيئًا جديدًا، أبو حنيفة قاله. قال نحن نتكلم بالآلات والحروف معناه بعض الحروف تخرج من الشفة، وبعضها من الحلق، لا تخرج إلا من الحلق، وبعضها من طرف اللسان. الحروف لها مخارج، الذِى يقول الله يتكلم بالحرف والصوت جعله كخلقه. الذِى يظن أن الله يتكلم ثم يَقْطَعُ ثم يتكلم ثم يقطع أو يظن أن الله علم أشياء ثم علم أشياء ثم علم أشياء هذا جعل الله مثلَ خلقه، جعل الله حادثًا. الله لا تقوم به صفة حادثة، قال أبو حنيفة من اعتقد أنه (أىِ الله) تقوم به صفة حادثة أو شك أو توقف فهو كافر اهـ

القرءان نقول عنه كلام الله لا بمعنى أنَّ الله قرأه بالحرف والصوت، بل نقول كلام الله لأنه عبارة عن كلام الله الأزلىِّ، كما إذا قلنا الله نكون ذَكَرْنَا الله بالحرف والصوت، لكن الله الذِى نذكره ليس كشىءٍ من الأشياء.

الحنابلة الذين ضلُّوا يقولون الله كلامه بحرف وصوت مثل ابن تيمية هؤلاء كفروا لأنهم وصفوا الله بالحادث. الله لا يوصف بالحادث كلُّ صفاته أزلية أبدية حياته أزلية أبدية لا يدخلها تقطع، كذلك علمه

أزليٌّ أبديٌّ كذلك قدرته أزلية أبدية وسمعه أزليٌّ أبديٌّ ومشيئته أزلية أبدية وبصره أزلى أبدىّ، ومع هذا نحن لا نقول القرءان مخلوق ولو كانت هذه الحروف التِى نتلفظها باسمه تعالى مخلوقة لأن هذه الحروف عبارة عن كلام الله الذِى ليس حرفًا. كما إذا قلنا الله ما معنى الله؟ ذلك الذات الأزلىّ الأبدىّ الذِى لا يشبه شيئًا، لكن هذه الحروف التى نتلفظها باسمه تعالى مخلوقة شىء يحدث ثم ينقضِى. حروف لفظ الجلالة الله تدل على ذلك الذات الموجود الذِى ليس له ابتداء. كذلك هذه الحروف أى حروف القرءان تدل على ذلك الكلام الأزلىّ الأبدىّ.

كلامه ليس ككلام الخلق ليس بحرف وصوت، كلامه كلام واحد ليس ككلام الخلق بالانتقال من حرف إلى حرف، القرءان اللفظ الذِى نقرأه من الباء إلى السين، أوله باء من بسم الله الرحمن الرحيم وءاخرُهُ سينُ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ١٣﴾[1] ليس الله قرأه بالحرف والصوت، لو كان كذلك لكان شبيهًا بنا. ليس الله يبدأ بالكلام ثم يسكت ثم يتكلم ثم يسكت لأن كلامه ليس حروفًا ولا صوتًا، يستحيل أن ينطق بالحرف. لمَّا نقولُ بسم الله تأتى الباء ثم تنقضِى ثم تأتى السين ثم تنقضِى، يستحيل أن يتكلم الله بها هكذا. كلام الله كلامٌ واحد ليس متجزئًا وليس له أبعاض، هو كلام واحد، أمرٌ ونهىٌ، كلام الله الأزلىُّ الأبدىُّ فِى

(١) سورة الناس/الآية (١٣).

الدنيا سمعه من البشر موسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ من بين الأنبياء كلهم. أمَّا فِى الآخرة يسمعه كل البشر والجن، كلهم يسمعون ذلك الكلام الذِى ليس حروفًا ولا صوتًا. موسى وسيدنا محمد عليهما السلام سمعا كلامه الذِى ليس حروفًا ولا صوتًا وليس له ابتداء ولا انتهاء. من كان يعتقد أنه حرف وصوت له ابتداء وانتهاء فليس مؤمنًا، فليس عارفًا بالله.

بعض الناس إذا سمعوا كلام الله ليس بحرف ليس بصوت يستغربون، قد يظنون من جهلهم أن هذا شىء من عندنا ولا يدرون أنَّ هذا التفصيلَ والبيانَ أبو حنيفة قاله. وكل أهل السنة يعتقدون أن الله كلامه ليس حرفًا ولا صوتًا.

ورد فِى القرءان ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾[1] معناه كلام الله ليس شيئًا له أبعاض، وإنما هو كلام واحد. وإنما قال تعالى ﴿لِكَلِمَٰتِ﴾ بلفظ الجمع للتعظيم، ليس معناه أن له كلامًا متجزئًا. فِى القرءان فِى موضع ورد ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾[2] وورد ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[3]، بلفظ الجمع وبلفظ الإفراد كما أن الله عبر عن نفسه بلفظ الجمع وبلفظ الإفراد، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[4]

(١) سورة الكهف/الآية (١٠٩).
(٢) سورة التوبة/الآية (٤٠).
(٣) سورة لقمان/الآية (٢٧).
(٤) سورة الإخلاص/الآية (١).

هذا صريح فِى الإفراد، وعبَّر عن نفسه بلفظ الجمع قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾[1] وهو واحد لكن عبر عن نفسه بلفظ الجمع وهو واحد ليس جمعًا. وعبر بلفظ ﴿فَـٰعِلُونَ﴾[2] وهو فاعل واحد خالقٌ واحدٌ، كذلك قال ﴿كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ للتعظيم كما عبر عن نفسه بنحن وهو واحد ليس اثنين ولا ثلاثةً ولا أكثر.

هذا القرءان الذِى نحن نقرأه والتوراة والإنجيل والزبور كل هؤلاء عبارات عن ذلك الكلام، هذه العبارات حروف، هى عبارات عن كلام الله الذاتى الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا. بعض العبارات بالعربية وهو القرءان وبعض العبارات بالسريانية وهو الإنجيل وبعض العبارات بالعبرانية وهو التوراة والزبور. كلٌّ يُقال له كلام الله لا بمعنى أن الله قرأه هكذا[3]، بل بمعنى أن هذه الكتب تدل على ذلك الكلام الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا.

صفات الله علمه وقدرته ومشيئته وسمعه وبصره وكلامه وحياته كل صفة من هذه الصفات صفة واحدة. كل أصوات الخلق الله تبارك وتعالى يسمعها بسمع أزلىّ ليس بسمع حادث، ليس بسمع يحدث له عندما يوجد الصوت نحن لما يحصل منا صوتٌ يحصل منا سمعٌ، الله تعالى يسمع الأصوات الحادثة من

(١) سورة ق/الآية (٤٣).
(٢) سورة المؤمنون/الآية (٤).
(٣) أى بالحرف والصوت.

المخلوقين بذلك السمع الأزلىّ الأبدىّ الذِى ليس له انقطاع. كذلك رؤيته لا يرى الأشياء برؤية حادثة بل برؤية أزلية.

الله تبارك وتعالى له قدرة واحدة أزلية أبدية لا تتقطع، لا يدخلها تَقَطُّعٌ، قدرته قدرة واحدة ليس كقدرتنا نحن نقدر على شىء، ثم نقدر على شىء ءاخر وقد تضعف قدرتنا وقد تقوى، أما الله تبارك وتعالى فقادر على كل شىء بقدرة واحدة أزلية أبدية، وكذلك له مشيئة واحدة ليس له مشيئة متعددة كالخلق، المخلوق يشاء شيئًا ثم يشاء شيئًا ثم يشاء شيئًا أما الله ليس كذلك، الله تبارك وتعالى شاء وجود كل ما دخل فِى الوجود وما سيدخل فيما بعدُ بمشيئةٍ واحدةٍ، كله شاءه بمشيئة واحدة، الله تعالى شاء فِى الأزل وجود هذا العالم على الترتيب الذِى وُجد عليه بمشيئة واحدة، شاء وجود الماء وما بعده.

وعِلْمُ الله واحدٌ دائم ليس شيئًا له أجزاء، لا يزيد ولا ينقص، شامل لكل شىء ليس له ابتداء ولا انتهاء، يعلم بهذا العلم الواحد كل شىء، علمه تبارك وتعالى ليس كعلمنا، نحن علومنا حادثة وقدرتنا حادثة أول ما نخرج من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا ثم يحصل لنا بعد ذلك علم شىء ثم شىء ثم شىء. أما علمه تبارك وتعالى واحد شامل لكل شىء لا يزيد ولا ينقص. وهذا العالم كلُّه بقدرةٍ واحدة خَلَقَهُ، وبعلم واحد وبمشيئة واحدة وحكم واحد. بكلام واحد فِى الأزل

حكم بوجود العالم فوُجِدَ، قال تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[١] معناه بحكمِه الأزلىِّ خلق الأشياء أى يحكم فِى الأزل بوجود الشىء فيوجد، وليس معناه أن الله ينطق بكاف ونون، ليس معناه أن الله عندما يريد أن يخلق شيئًا يقول كن، كن، ويكفر من يعتقد أن الله قرأ بالكاف والنون.

كلام الله تبارك وتعالى واحد شامل للأمر والنهى والخبر والاستخبار[٢] والوعد والوعيد. الله تعالى أمر جبريلَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بأن يأخذ هذه الكتب من اللوح المحفوظ وينزل بها على بعض الأنبياء. فِى الحقيقة العقلية كلام الله ذاك الذِى هو أزلى أبدى ليس حرفًا ولا صوتًا ليس متبعضًا، وبالحقيقة الشرعية نقول لهذا الذِى نقرأه أيضًا كلام الله.

لا يجوز أن يقال الله نطق أولًا بالباء ثم بالسين إلى أن انتهى ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. هذا الترتيب على حسب ما كُتب فِى اللوح المحفوظ ثم قرأه جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على محمد ﷺ. وجبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أخذ القرءان من اللوح، ليس هو ألفه، ولا أحد من خلق الله ألفه، جرى القلم على اللوح المحفوظ فكتب هذه الكتب الأربعة وكتب ما يصير إلى يوم القيامة من أعمال الناس وأرزاقهم وءاجالهم، فلان يموت على الإيمان وفلان يموت على الكفر، فلان يسلم ويختم له

(١) سورة يس/الآية (٨٢).

(٢) بمعنى طلب الإخبار ولا يقتضِى ذلك عدم علم المستخبر بالخبر.

بالإيمان وفلان لا يسلم ويختم له بالكفر، كل ذلك كُتب. هذا القرءان الذِى نقرأه ليس الله قرأه على جبريل، لكن جبريل ﷷ سمع كلام الله الأزلىَّ الأبدىَّ وأمرَهُ بذلك الكلام أن يأخذ القرءان الذِى كتب على اللوح المحفوظ وأن ينزل به على محمد ﷺ، وجبريلُ ﷷ قرأه بالحرف والصوت. السينُ والشين والحاء والخاء واللام والميم والهاء والياء، من هؤلاء الحروف القرءان الكريم، هكذا كان مكتوبًا فِى اللوح المحفوظ نزل به جبريل ﷷ على محمد ﷺ وقرأه عليه. القرءان ليس من تأليف جبريل ﷷ ولا من تأليف محمد ﷺ، فنقول كلامُ الله لا بمعنى أن الله قرأه بالحرف والصوت قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[١].

بعض الناس يقولون الله تعالى يوم القيامة يقول لَمَّا يحيى الخلق بعدما يُفْنِى الإنس والجن والملائكة، لما يعيدهم يقول لمن الملك اليوم ثم يجيب نفسه بنفسه لله الواحد القهار، هذا غير صحيح، هذا كذب لا يجوز. الصحيح أنه عندما يقوم الناس من القبور يأمر الله ملكًا فينادِى لـمَنِ الـمُلْكُ اليوم، ثم هذا الملك يقول لله الواحد القهار فيسمع أهل الموقف كلهم، لأنه لا يوجد فِى الآخرة ملوك كما يوجدون اليوم. هو الله مَلِكُ ذلك اليوم، لا ملك يوم القيامة غيره، قال الله

(١) سورة البروج/الآيتان (٢١-٢٢).

تعالى ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[١] هذا المَلَكُ هو نفسه يعود ويقول لله الواحد القهار. هكذا ينبغى أن يُفهم علم التوحيد.

الغلطُ فِى التوحيد خطره أعظم من الخطر فِى الأعمال، الصلاة إن أخطأت فيها تقضيها مصححة والصيام كذلك، والحج إن دخله فساد تعيده على الوجه الصحيح.

وأمّا الحديث إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ليس معناه أن الله تبارك وتعالى يسكت كما تسكت المخلوقات عن الكلام، إنما المعنى أن الله تبارك وتعالى ما أنزلها فِى القرءان الكريم ولا على لسان الرسول ﷺ، أىْ ما أوردها فِى القرءان ولا أنزلها فِى شريعة الرسول ﷺ، ليس معنى وسكت أن الله يجوز عليه السكوت، الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه السكوت، الله تبارك وتعالى متكلم أزلًا وأبدًا لأن كلامه ليس حرفًا ولا يتخلله انقطاع. سكت فِى هذا الحديث ليس معناه أن الله تكلم بأشياء ثم سكت ثم تكلم ثم سكت[٢]، لو كان الله يتكلم ثم يقطع ثم يتكلم ثم يقطع لكان مثلنا

---

(١) سورة الفاتحة/الآية (٤).

(٢) معنى سكت فى هذا الحديث ترك البيان.

ولا يجوز أن يكون الخالق مثل خلقه.

والله تعالى أعلم.



**الدرس الثالث والعشرون**



# بيان حديث إن الله يبغض كل جعظرىّ



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان حديثِ إن الله يبغض كل جعظرى.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى ءاله الطيبين وعلى سائر المرسلين وسلام الله عليهم أجمعين. أما بعد فقد روينا بالإسناد المتصل فِى صحيح ابن حبان رحمه الله[1] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال **إن الله يبغض كل جعظرى جواظ سخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة** اهـ. فِى الحديث وصف رسول الله ﷺ أناسًا بصفات، منها أن يكون المرء

(١) ذكر الزجر عن العلم بأمر الدنيا مع الانهماك فيها والجهل بأمر الآخرة ومجانبة أسبابها.

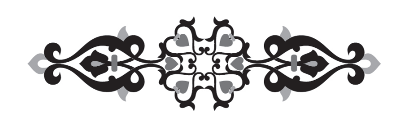
جعظريًا وأن يكون جواظا أى أن يكون الرجل جموعًا منوعًا وأن يكون فظًّا غليظًا مستكبرًا، والجَموع المَنوع هو الذِى يحرص على جمع المال بنية فاسدة ويبخَلُ عن دفع المال فيما أمر الله تعالى بالإنفاق فيه أىْ هو الذِى يكون جمعه للمال حبًا بالمال ويتكبر على عباد الله، ليس يجمع المال من طريق الحلال ليصرفه فيما أحل الله لأن الذِى يجمع المال ليصرفه فِى الحلال فإن ذلك ليس بمذموم، لأن المال منه ما يُذَمُّ ومنه ما يمدح، فالمال المذموم هو المال الذِى يجمعه المرء من حرام أو يجمعه ليقضِىَ به شهواتِه المحرمةَ أو ليفخر به على الناس أو ليتكبر فهذا هو المال المذموم، وأما المال الذِى يجمعه المرء المسلم من حلال بنية أن يستر به نفسه وينتفع به أو ينفع غيره أو ينفقه على أولاده أو على أبويه أو غيرهما من أقاربه بغير نية التوصل إلى الفخر والتكبر علَى الناس فإنَّ ذلك المال ليس بمذموم، ودليلُنا على ذلك ما رويناه بالإسناد الصحيح عن الإمام أحمد وابن حبان[١] أنه ﷺ قال لعَمْرِو بنِ العاصِ **نِعْمَ المالُ الصالح للرجل الصالح** اهـ والمال الصالح هو المال الذِى يجمعه المرء ويكتسبه بطريق حلال، وأما الرجل الصالح فهو الإنسان المؤمن الذِى يقوم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد بأن يعرف ما افترض الله تعالى عليه ويؤدّيَهُ

(١) باب ذكر الإباحة للرجل الذى يجمع المال من حله إذا قام بحقوقه فيه.

ويعرف ما حرم الله عليه ويجتنبه. فإذا جمع الإنسان مع صفة الجعظرىّ أن يكون جوَّاظًا فقد ارتفع فِى الشر والفساد. ثم إن زاد على ذلك أن يكون سخابًا بالأسواق فقد زاد فسادًا أى أنه من شدة شحه وحرصه على المال يكثر الصياح والكلام فِى الأسواق فِى سبيل جمع المال. ثم إن زاد على ذلك أن يكون جيفة بالليل حمارًا بالنهار فقد زاد شرُّه أىْ إذا كان يستغرق ليله بالنوم ولا يهتم بأن يكسِبَ فِى ليله من الصلوات ويتزود من الطاعات وأن يجعلَ همَّهُ التفنُّنَ بالأكل فِى النهار والإكثارَ من الملذات وينشغل بذلك عن القيام بما افترضه الله عليه. ثم إذا أضيف إلى ذلك الوصفُ الأخيرُ وهو أن يكون عارفًا بأمر الدنيا جاهلًا بأمر الآخرة فقد تزايد شره، فمن هنا يعلم أن مَن ءَاتَاهُ اللهُ عز وجل المال وكان غارقًا بطرق جمع المال وهو جاهل بأمور الدين أىْ بما افترض الله تعالى عليه معرفته من علم الدين فهو من شرِّ خَلْقِ الله، ثم لا سبيل إلى أداء ما افترض الله سبحانه وتعالى واجتناب ما حرم الله إلا بمعرفة العلم الضرورىّ من علم الدين، فمن أعرض عن تعلم هذه الضروريات من علم الدين فإنه يهلِكُ وهو لا يشعر فإنا لله وإنا إليه راجعون، روينا بالإسناد المتصل إلى صحيح الإمام البخارىّ رَضِىَ الله عنه أن الإمام علىَّ بن أبى طالب رَضِىَ الله عنه قال ارتحلتِ الدنيا وهى مدبرة وارتحلت الآخرة وهىَ مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا

حساب وغدًا حساب ولا عمل. فعجبًا لمن يقبل على المدبرة ويدبر عن المقبلة.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين والله تعالى أعلم. انتهى.



**الدرس الرابع والعشرون**



## بيان أن الله تعالى أعرف المعارف



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررِىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أن الله تعالى أعرف المعارف.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله ربّ العالمين، وصلوات الله البَرّ الرّحيم والملائكة المقرّبين على سيدنا محمَّد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وءَال كلٍّ والصالحين، اللّهم علّمنا ما ينفَعُنا وانفعنا بما علّمتَنا وزِدنا علمًا.

مِن دلائل وجودِ الله تبارك وتعالى وقُدرتِه وعِلمِه وإرادته اختلافُ أحوالِ العالَم مِن جماداتٍ وحيَواناتٍ ولطَائفَ وكثَائف، كلُّ ذلكَ تَعتَريه تَغيّراتٌ أى انتقالٌ مِن حالٍ إلى حال، فالعَقلُ الصّحيحُ يَدلُّ على أنّ كلَّ طارئٍ لا بُدَّ لهُ مِن مُكوّنٍ أحدثَه وأدخلَه فِى الوجود لأنَّ تغَيُّرَ الشّىءِ بنَفسِه مستَحِيلٌ عقلًا، كما أنّ العقل يُحِيلُ دخولَ الشّىءِ فِى الوجودِ مِن دون مُكوّنٍ يُدخِلُه

فِى الوجود، كذلك طُروءُ التّغَيّراتِ على الذِى دخَل فِى الوجود مِن غيرِ مكوّنٍ مستحيلٌ عقلًا فمِن هنا قالَ أهلُ الحقّ الإنسانُ يَستدِلُّ مِن نَفسِه على وجودِ مكوّنِه، وسلَكُوا لذلكَ مقَدّمتَين ونتيجَة وهى أن يقولَ الإنسانُ أنا كنتُ بعدَ أن لم أكن فما كانَ بعدَ أن لم يكن فلا بُدّ له مِن مُكوّن، هاتان مقدّمتان، وتَترتّبُ عليهما النّتيجَة وهى أنا لا بُدّ لى مِن مُكوّن معناه أنا حادثٌ لأنّى وُجِدتُ بعدَ أن لم أكن، وكلُّ ما وُجِدَ بعدَ أن لم يكن فلا بُدّ له مِن مُكوّن يكوّنُه يُدخلُه فِى الوجود، يُخرجُه منَ العدم إلى الوجود، وكذلكَ سائرُ الأشياء العُلويّة والسُّفليّة كلٌّ إذا نظَر فيها الإنسانُ بعَقله وفكّرَ تَفكيرًا صحيحًا يجِدُ هذا الدّليلَ فلذلكَ اللهُ تباركَ وتعالى مِن أسمائه الظّاهرُ لأنّه ظاهرٌ بآياتِه أى أنَّ كُلَّ شىءٍ دخَل فِى الوجود دليلٌ على وجودِه حيثُ إنّه يستحِيلُ فِى العقل أن يكونَ دخَل فِى الوجود مِن غيرِ مكوّن.

ومِن هذا القبيل قولُهم أى قولُ علماءِ التّوحيد العالَم متَغيّر أى تعتَريْه صِفاتٌ تختَلفُ عليه وكلُّ متَغيّرٍ حادثٌ فالعالَم حادثٌ، ثم مِن هنا يُنتَقَل إلى أنّهُ يجِبُ للعالَم محدِثٌ أَحدثَه أى أدخلَه فِى الوجود هذا عامٌّ فِى الأجسام والصفاتِ التى تَطرأ على الأجسام، فإذًا ثبَت بالدّليل العقلىّ أنّ العالَم وصفاته التِى تَعتريهِ كلُّ ذلك حادثٌ أىْ لم يكن موجُودًا ثم صارَ موجودًا، ثم مِن شأن هذا المكوّن أنّه موجودٌ لا كالموجوداتِ أى لا

يُشبِه الموجوداتِ فِى شىءٍ مِن صِفاتها وأحوالِها لأنّهُ لو كان يُشبِهُها لكانَ محتاجًا إلى مكوّن فإمّا أن يتسَلسَل الأمرُ وهوَ مُحال وإمّا أن يدُورَ الأمرُ على نفسِه والتّسلسُل والدَّورُ كلاهما مُحالانِ عَقلًا فثبَت أنّ مُكوّن العالم يجبُ أن يكونَ موجودًا لا يُشبِه الموجودات، ووجَب أن يكونَ متَّصفًا بالقُدرَة والعِلم والإرادة والحياة، يجبُ أن يكونَ حَيًّا لا كالأحياء، قديرًا لا كالقَادِرين علِيمًا لا كالعالمِين مُرِيدًا لا كالمُريدين، أى أنّه جميعُ صفاتِه ليسَت حادثةً بل أزليةٌ لا ابتداءَ لوجودِها، فيتّضحُ بذلك أنّ كلَّ ما سِواه، ما سوى هذا المكوّن مُحتاجٌ لغيره، لا شىء منَ الموجودات موجودٌ بذاته إلّا مكوّنُ العالَم الذِى أدخَل كلَّ أفرادِ العالم مِنَ العدَم إلى الوجود هذا الذِى لا يحتاجُ إلى غيرِه، أمّا هذا العالم فهو محتاجٌ فِى أصلِ وجوده إلى غيرِه وهو مكوّنُه، ثم فِى استمرار وجودِه كذلك ليس مستغنِيًا بذاتِه بل هو لا يزالُ محتاجًا إلى ذلك المكوّن الذِى كوَّنَ ذاتَه وهو الذِى يحفَظُ عليه وجُودَه إلى حيث يشاءُ هو أى ذلك المكوّنُ، ويجب عقلًا أيضًا أن يكونَ مكَوّن هذا العالَم عالمًا بكلّ شىء عِلمًا أزليًّا فلا شىءَ يَحدُث فِى العالَم مِن تغَيُّر أحوالٍ إلا وقَد سبَق عِلمُه بذلكَ، ولا شىءَ مِن هذه الموجوداتِ الحادثةِ التى وجودُها بغَيرها يَخلُق شيئًا منَ الحركاتِ أو السّكَنات، بل لا خالقَ إلّا خالقُها الذِى أحدَث أجرامَها فهو الذِى يَخلُق ما يَطرَأ عليها منَ التّغيّرات، والإنسانُ لا يَخلُق شيئًا مِن أعمالِه الاختياريّة فَضلًا عن الاضطِراريّة، لأنّ

الواحدَ إذا شَقّ التّفاحةَ لا يكونُ هذا الشَّقّ بخَلق هذا الإنسان بل بخَلق مكوّنِه اللهِ، والدليلُ على ذلك أنّه لو كانَ يَخلُق هذا الشّقّ لاسْتَطاع أن يخلُقَ الالتِئام، ولن يستطيعَ ذلك فهذا دليلٌ على أنّ الإنسانَ لا يَخلُق شيئًا إنما اللهُ تعالى يَخلق فيه بقُدرته التّطوّراتِ والحرَكات والسّكَنات هذا خالصُ التّوحِيد فمَن حادَ فقد ضَلّ وخرَج عن قضيّة العقلِ الصّحيحة وعن النّصوص القرءانية، الله تبارك وتعالى يقول ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾[1] وقال ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾[2] معناه لا أحدَ يخلُق إلّا الله، ولا يجُوز أن يكون بعضُ الأشياء يخلقُها الله وبعضُ الأشياء يخلقُها غيرُ الله كما تقولُ الثّنويّة، هؤلاء الثنويّةُ طائفةٌ منَ المجوس يقولون النّورُ يَخلُق الخيراتِ والظّلامُ يَخلُق الشّرور وفى التّشنيع عليهم قال المتنبى

وكم لظَلام اللّيلِ عندك مِن يَدٍ
تُخَبّرُ أنّ المانويّةَ تَكذبُ

المعنى أن إسنادَ خَلْق الشّرور كلّها إلى الظّلام وتجريدَ الظلام مِن نَفع وفائدةٍ هذا كذِب، الليلُ فيه منافعُ كما أنّ نورَ النّهار فيه منافع.

والمانويةُ هى طائفةٌ منَ الثّنَويّة، يَظُنُّونَ أنّ النّورَ أزليٌّ والظّلامَ أزليٌّ ثم هما على زَعم الثنويّة يَخلُقانِ

(١) سورة فاطر /الآية (٣).
(٢) سورة النحل /الآية (١٧).

الخَيرَ والشّرّ أحَدُهما يَخلُق الخيرَ ويُسَمُّونَه يَزْدَانَ بالفَارسيّة والآخرُ يُسَمُّونَه أهْرَمَنَ، المتنَبّى قال عن المانَويّة التى هى من الثّنوية

وكَم لظَلام اللّيلِ عندك مِن يدٍ
تخبّرُ أنّ المانويّةَ تَكذِبُ

المعنى أنّ إسنادَ خَلقِ الشّرور كُلّها إلى الظلام وتجريدَ الظّلام مِن نَفع وفائدةٍ هذا كذِبٌ، الليلُ فيه منافعُ كما أنّ نورَ النّهار فيه منافع.

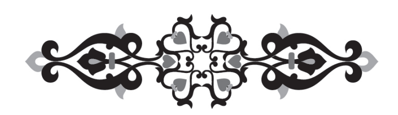
ثم إنّ الله تبارك وتعالى بما أنّه ثبَت أنّهُ مالِك كلّ شىء لأنّ خالقَ كلّ شىءٍ هو مالكُه، بما أنه ثبَت أنّه مالكٌ حقِيقىٌّ لكُلّ شَىءٍ فهو فَعَّالٌ لما يُريد لا يُوصَفُ بالظُّلم، لا يُقالُ لِمَ لَمْ يَخلُق أفرادَ البَشر على حَدّ سَواء على صفةٍ واحدةٍ، هو كانَ قادرًا على أن يخلُقَ جميعَ أفرادِ البشَر على صِفةٍ واحِدةٍ مِن حيثُ الشّكل ومِن حيث الخَلقُ ومِن حيث المعيشة بجميع الوجوه لكنّ اللهَ تبارك وتعالى خلَق البشَر على أشكالٍ شتَّى ليكونَ ذلك دليلًا على كمالِ قُدرتِه لأنّنا لو لم نَر هذه الأشياءَ المتقابلَة لم يَقوَ فينا الاعتقادُ بوجودِه وقُدرته إلى هذا الحدّ الذِى نصِل إليه، لمَّا نرَى الأشياءَ المتقابلة نرَى الإنسانَ الطّويلَ ونرى الإنسانَ القصير ونرَى الإنسان الجسِيم ونرى الإنسانَ النّحِيف ونرى الإنسان الذِى هو دَمِثُ الأخلاق قريبُ التّآلف ونرى العَكس فمِن رؤيتِنا للمُتَقابلات نزدَاد عِلمًا بكمالِ قُدرَة الله تعالى، نحنُ نَزدادُ أمّا اللهُ تعالى لا يَزدادُ شَيئًا،

يستَحيل أن يَطرأ عليه شىءٌ جَديد لا يَزدادُ كمالًا ولا يَنقُص.

اللهُ سُبحانَه وتعالى سَمَّى نفسَه الظّاهرَ لأنّ كلَّ شَىءٍ يَدُلُّ على وجُودِه فهو تبارك وتعالى أَعْرَفُ المَعَارِفِ كمَا قالَ سِيبَويْهِ رحمه الله اللهُ أَعرَفُ المَعَارِف، المعَارِفُ عندَ عُلَماء النّحْو معروفٌ، قالَ سِيبَويه اللهُ أَعرَفُ المعَارِف ثمّ رُئِىَ بعدَ مَوتِه فقيلَ لهُ ما فعَل اللهُ بكَ قال غَفَر لى بقَولى اللهُ أعرَف المعارف اهـ

الأسماءُ عندَ النّحْويّين قِسمان معَارفُ ونَكِرات، فالمعَارفُ على مراتِب فأعرَفُ المعَارف قال سِيبَويه اللهُ لأنّ كلَّ شَىءٍ دليلٌ على وجودِه فلا شىءَ معروفٌ يَشهَدُ بوجودِه كُلّ شَىء إلّا الله، الله تعالى أعرَفُ المعَارف.

انتهى والله تعالى أعلم.



**الدرس الخامس والعشرون**



# بيان فضل علم التوحيد



**درس محرر للشيخ عبد الله الهررى أعطى بتاريخ الخامس من شهر صفر سنة ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين الموافق للثامن عشر من شهر نيسان سنة ألفين واثنين ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررى رحمه الله تعالى فى بيان فضل علم التوحيد.**

**قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة**

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين وسلم

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا**[١] اهـ معنى الحديث أن الدنيا أى هذه الحياة الدنيا عاقبتها غير محمودة إلا هؤلاء الأربعة ذكرَ الله أى طاعة الله، وما والاه أى ما يساعد على طاعة الله أى كالمال الحلال، وعالمًا ومتعلمًا أى العالم بعلم الدين

(١) رواه الترمذىّ فِى سننه. قال الشيخ رحمه الله وهو مختلفٌ فى صحته اهـ

ومتعلمَهُ، ما سوى هؤلاء الأربعة ليس له عاقبة محمودة من هذه الحياة الدنيا لأن ما سوى هؤلاء الأربعة غرور كما قال تعالى فِى سورة الحديد ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾[١] ثم أهم علوم الدين أىْ أحبُّه إلى الله وأنفعه فِى الآخرة هو علم العقيدة الذِى يُعرف به الخالق كما يجب فهذا أىِ العلم بالله هو الفقه الأكبر أما علم الأحكام فهو الفقه الأصغر وذلك لأنه لا تصح عبادة المعبود إلا بعد معرفته، ولا تصح معرفة الله إلا على طريقة التنزيه وهى معنى هذه الآية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[٢] هذه الآية فيها التنزيه الكلى، فهذه الآية لفظها وجيز ومعناها واسع لأنها أبلغ من قول الله ليس مثله البشر ومن قول الله ليس مثله الملائكة ومن قول الله ليس مثله النور لأن كلمة ﴿شَيۡءٍ﴾ تشمل كل ما سوى الله من الأجسام اللطيفة كالنور والأجسام الكثيفة كالإنسان والشمس والقمر والنجم وتشمل الحركة والسكون واللون والانفعال والتغير وكلَّ صفات الحجم وكلَّ الأعراض أى صفات الحجم صفات الحجم الكثيف وصفات الحجم اللطيف وهِى التى تسمى عرضًا فهذه الآية تنزه الله تعالى عن ذلك كله، فمن نزه الله تعالى عن كونه جسمًا لطيفًا أو جسمًا كثيفًا وعن صفات الحجم كلها كالتحيز فِى جهة ومكان واعتقد أنه موجود مع تنزهه عن هذا كله فقد عرف الله.

---

(١) سورة الحديد/الآية (٢٠).

(٢) سورة الشورى/الآية (١١).

والمكان هو الفراغ الذِى يشغله الحجم، الحجم اللطيف والحجم الكثيف يشغل الفراغ، فهذا الفراغ الذِى يشغله هو المكان، ليس المكان الحجمَ الصُّلب الذِى يُمَسُّ بالحجم فقط، نحن الآن نماس ما تحتنا، هذا المكان الصلب هذا مكاننا والفراغ الذِى يحوينا مكان لنا، فالله تبارك وتعالى منزه عن أن يكون متحيزًا بمماسة شىء صلب كالعرش وعن التحيز فِى الفراغ من غير مماسة شىء، الشمسُ والقمر والنجوم مكانُهُنَّ الفراغ الذِى يشغَلْنَهُ، فالله تبارك وتعالى لا يجوز أن يكون متحيزًا فِى الفراغ من دون مماسة شىء صلب ومنزه من أن يكون متحيزًا فِى الفراغ مع مماسة شىء كالعرش، وذلك لأن الحجمَ هو الذِى يتحيز، والله ليس حجمًا فلا يجوزُ عليه التحيُّز فِى مكان واحد كالعرش ولا فِى جميع الأماكن، فمن عرف الله تعالى على هذا الوجه وأفرده بالعبادة أى غاية التذلل فهو الذِى عرف الله وعبَدَهُ ومن لم يكن كذلك لم يعرف الله، ولا يقال إنه يعبد الله، المجسمة وكل من يعتقد أن الله تعالى متحيز على العرش مماسًا قاعدًا عليه أو واقفًا فِى الفراغ فوق العرش من غير مماسة للعرش غيرُ عارف بالله فهو جاهل بالله ولا يعبد الله إنما يعبد شيئًا تخيله فِى الفراغ أو متحيزًا على العرش وهذا معنى هذه الآية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾.

ثم بعد هذا كلُّ ءَايَةٍ قرءانيةٍ أو حديث نبوىّ ظاهره يوهم أن الله حجم وأن له أعضاءً وأن له حركةً أو سكونًا أو غير ذلك من صفات الحجم لا يجوز اعتقاده

على ظاهره، بل يقال إنّ تلك الآياتِ وتلك الأحاديثَ لها معانٍ غير هذه المعانى الظاهرة فمن سلك هذا المسلك ءامن بآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ وبتلك الآيات والأحاديث وسلم من الوقوع فِى التناقض وهذا مذهب أهل السنة الذِى كان عليه الرسول ﷺ والصحابة ومن تبعهم من علماء الاسلام إلى يومنا هذا.

فإن قال قائل كيف تقولون الله موجود وليس حجمًا بالمرة لا هو حجم كبير ولا هو حجم صغير والموجود لا بُدَّ أن يكون له حجم كبير أو صغير، يقال له أنت تقيس الخالق على المخلوق، كيف يكون الخالق حجمًا ويخلقُ الحجمَ، الحجمُ لا يخلق الحجمَ، الله تعالى هو خلق الحجم الصغير كحبة الخردل وما هو أصغرُ منها وهو خلق ما هو فوق ذلك من الحجم، فلو كان حجمًا كبيرًا أو صغيرًا ما استطاع أن يخلق شيئًا من الحجم، هذا هو الحكم العقليُّ وما أنت تقوله هو حكمُ الوهم، أنت تتبع حكم الوهم، وَهْمُ الإنسان إذا تخيَّلَ يتخيلَ أن الله حجم كبير كالعرش أو أكبر منه أو دون ذلك كما يتوهَّم بعض الكفار أن الله بصورة إنسان، هؤلاء تبعوا الوهم ما تبعوا العقل، يقال له لو كان الله حجمًا كما تتصور المجسمة أنه حجم فوق العرش له أعضاءٌ لكانت الشمس أولى بأن تكون إلهًا لأن الشمس حجم كبير جميلُ الشكل كثيرة النفع للبشرِ والشجر والنبات، فلو كان يجوز أن يكون الله حجمًا لكانت الشمس أولى بأن تكون إلهًا، لكن لا يصح أن تكون الشمسُ إلهًا لأنها حجم لها شكل مخصوص

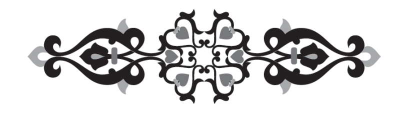
ولون مخصوص تحتاج لمن أوجدها على هذا الحجم بدل حجمٍ أصغرَ من هذا أو أكبرَ من هذا أو على وصفٍ غيرٍ هذا، وهى لا تصلح أن تكون إلهًا وهكذا الحجم كلُّهُ، كل حجم مخلوق، العرش وحبة الخردل كلاهما محتاجٌ لمن أوجده على هذا الحجم فإذًا الله ليس حجمًا، موجود ليس حجمًا، وهذا الذِى يجب اعتقاده وإن كان وهم الإنسان لا يتصور موجودًا ليس حجمًا بالمرة، الله لا هو حجم كثيف كالإنسان ولا هو حجم لطيف كالنور وهذا الاعتقاد هو اعتقاد أهل السنة على رغم أنوف الوهابية وأمثالهم.

بعد هذا وبعد معرفة الرسول والإيمان به، أهمُّ أمور الدين معرفة أن كل ما يحصل ويدخل فِى الوجود من حجمٍ أو حركةٍ أو سكونٍ أو انفعالٍ، لذةٍ وألمٍ وفهمٍ وذكاءٍ وبلادةٍ وتفكيرٍ والخاطرِ، كلُّ هذا اللهُ الذِى يخلقه وأما الإنسان لا يخلق شيئًا من حركاته وسكناته ولا من الإدراك والفهم والمعرفة والعلم والنظر والنطق، كل ذلك الله يخلقه فِى الإنسان، الإنسان لا يخلق شيئًا إنما يفعل، الإنسان يفعل والله يخلق الإنسانَ وأفعاله[1]، الله هو الذِى يخلق النظر هو الذِى يخلق النطق إن كان بخير أو بشر هو يخلقه، هذه المسئلة الثانية هى أهم علوم التوحيد بعد معرفة الله ورسوله، كثير من الناس من أهل هذا العصر خرجوا

(١) قال الشيخ رحمه الله هذه الجملة [الإنسان يفعل والله يخلق الإنسان وأفعاله] ينبغى تحفيظها للأطفال اهـ

من هذا الاعتقاد الذِى هو الحق الذِى جاء به القرءان، إلى عقيدة فاسدة هى أن الإنسان يخلق أفعاله الاختيارية، اليوم كثير من الدكاترة الذين يتخرجون من بعض الجامعات هذا اعتقادهم كثير منهم فسدوا، لا نقول كلهم بل أكثرهم، هذا الزمن الذِى نحن فيه هو الزمان الذِى ذكره الرسول ﷺ حيث قال **المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر شهيد**[١] اهـ اليوم فسد كثيرٌ من الأمة، هذا الأزهر الذِى كان مركز علم الدين اليومَ يطلعُ منه أعداءُ الدين فمن تمسَّكَ فِى هذا الزمن بسنَّةِ الرسول أىْ عقيدةِ الرسول شريعة الرسول لو مات على فراشه فهو شهيد عند الله انظروا ما أكثر من يخالف الحق فنرد عليه فِى هذا البلد وفى غير هذا البلد.

انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) رواه الطبرانىّ فِى معجمه.

**الدرس السادس والعشرون**



# ذكر الأربعة الذين تكلموا فى المهد



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى ذكر الأربعة الذين تكلموا فى المهد.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وسلام الله عليهم أجمعين.

أما بعد فإنَّ الذين تكلموا فِى المهد نحو أربعة أحدهم المسيح عيسى بعد أربعين يومًا من ولادته بعد أن ولدته مريم بعد أربعين يومًا تكلم المسيح عيسى عليه السلام بكلماتٍ معدودةٍ أبان عن نفسه أنه عبدُ الله وأنه سيؤتيه الله الكتاب أىْ سينزل عليه الكتاب بوحى الأنبياء وانه سيكون من أنبياء الله وأنه سيؤمر بالصلاة والزكاة وتكلم أيضًا بأنه سالم عند ولادته وعند موته أىْ بعد ما ينزل من السماء إلى الأرض ويعيش العُمُرَ

الذِى كتب الله له يموت بحالة طيبة يموت سالمًا من الضلال والفسوق والسخط سخط الله تعالى وغضبه وأنه يُبعث يوم القيامة يوم يبعث الناس يوم يخرج الناس من قبورهم يخرج ذلك اليوم من قبره ءامنًا سالمًا هذا معنى قوله وسلام علىَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعثُ حيًّا. ثم كانت الحكمة فِى كلام المسيح وهو ابن أربعين يومًا تخفيفَ وطأة التهمة على أمه لأن اليهود اتهموها بأنها حملَتْ من زنا فضاقت بها الأرض بما رحبت من شدة الأذى الذِى لحقها من كلام الناس فيها ضاقت بها الأرض من شدة ما قاست وكذلك أهل زكريا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت لأن زكريا نبِىَّ الله عليه السلام كان زوج أخت مريم كان زكريا هو يشرف على مريم يربيها تربية صالحة على الدين والتقوَى اليهود لعنهم الله اتهموه واتهموا مريم فخفَّفَ الله تعالى هذا الأذى الذِى لحق مريم ولحق ءالَ زكريا بنطق المسيح وهو رضيع ابن أربعين يومًا، لهذه الحكمة أنطق الله تعالى المسيح.

ومنهم شاهِدُ يوسفَ الصدّيق عليه السلام للتبرئة أيضًا مما افترت عليه امرأة العزيز أنه راودها للحرام، الله تبارك وتعالى تبرئةً ليوسف عليه السلام أنطق طفلًا رضيعًا أنطقه الله تعالى بما فيه تبرئة ليوسف.

ومن ذلك طفلُ ماشطةِ بنت فرعون. كانت لابنة فرعون ماشطة تمشُط لها رأسها، ذات يوم هذه الماشطة وقع من يدها المِشط وكانت هى مؤمنة مسلمة

لا تعبد فرعون ولا الأوثان التِى يعبدها أتباع فرعون إنما كانت تعبد الله وحده وتؤمن بالله واليوم الآخر وبملائكته وبالثواب والعقاب والجنة والنار وأنه لا يجوز أن يُعْبَدَ أحد إلا الله كانت تؤمن لكن فرعون لا يعرف أنها مؤمنة يظن أنها تعبده كسائر الناس الذين حوله كان يظن أنها تعبده وبنت فرعون أيضًا كانت تظن أن هذه المرأة ماشطتَها تعبد فرعون تعبد أباها فرعون فقالت هذه المرأة لما وقع المشط من يدها بسم الله فقالت بنت فرعون أَوَلَكِ ربٌّ غير أبى فقالت ربّى ورب أبيك الله ما بالَتْ بل أظهرت ما فِى قلبها من الإسلام والتوحيد فقالت أُخبر بذلك أبِى قالت أخبريه فقال إما أن ترجعِى عن هذا وإما أن أقتلك قالت لا أرجع فسخَّنَ ماءً فى وعاءٍ كبيرٍ واسعٍ، سخن الماء حتى إذا حمى الماء حماوة شديدة بدأ بأولادها ما بدأ بها حتى تفزع فترجع إلى عبادة فرعون بدأ بأولادها إلى أن جاء دور طفل رضيع كانت هى حاملته فصار عندها شىء من القلق لأن أمر هذا الرضيع يهمها أكثر من غيره من أولادها فأنطق الله الرضيع فقال يا أماه اصبرى فإن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فطار عنها ذلك القلق ذلك الخوف والتردد طار عنها فقالت له أريد منك شيئًا وهو أن تجمع عظامنا يعنى بعد أن ينفصل اللحم عن العظام أن تجمع عظامنا فتدفنها قال لك ذلك فرمَى الطفل الرضيع ثم رماها فقتلهم جميعًا ثم دُفنوا دفنت هذه العظام معًا وكانت هذه المرأة شهيدةً، الله تعالى أظهر فضلَها ليلةَ عرج برسول الله

ﷺ بينا هو وجبريل ذاهبان من مكة إلى المسجد الأقصى أتيا إلى الأرض فإذا برسول الله ﷺ يَشَمُّ رائحة طيبة فقال له جبريل هذا ريحُ ماشطةِ بنتِ فرعون الله تعالى جعل لها قبرها روضة من رياض الجنة لأنها صبرت على الإيمان على توحيد الله تعالى اختارت الآخرة على الدنيا ثم هى كان لها تلك الساعة كان لها أن تقول ما يريد منها لفظًا ظاهرًا من غير أن تعتقد ما يريد منها لكنها أخذَتْ بالأمر الذِى هو الأفضل، ما هو الأفضل، أن يصبر المسلم على الأذى ولا يقولَ كلمة الكفر إذا المسلم ضويق ضايقه الكفار وأجبروه على قول الكفر كسبِّ الله أو سب نبيٍّ من أنبياء الله أو قول أنت ربنا لإنسان كما ادعى فرعون وقال أنا ربكم الأعلى أو دَوْسِ المصحف بالقدم، إذا المسلم أجبر على فعل كفر أو قول كفر له الخيار إما أن يقول ما يريد منه الكفار أو يفعل ما يريد منه الكفار وله عذرٌ عند الله لا يُكتب عليه وإما أن يصبر فيقتل فإن صبر فقتل كان ذلك خيرًا له هذه المرأة ماشطة بنت فرعون مِمَّن اختار ما هو الأفضل عند الله فأكرمها الله تعالى بأن جعل لها قبرها روضة من رياض الجنة قبرها كان مسدودًا لكن الله تبارك وتعالى أظهر فضلها أظهر شرفها بأن تُذْكَرَ على ألسنة المؤمنين من أمة محمد فكشف الله تعالى لرسوله ولجبريل الرائحة الطيبة التى فِى قبرها. وهكذا قبور عباد الله الصالحين الله تعالى يجعل قبورهم رياضًا من رياض الجنة لكن الله تعالى لا يظهر هذا الأمر لأكثر الناس إنما يظهر هذا الأمر

لقليل من الناس، الناس الذين هم أتقياء أولياء صالحون إذا مرُّوا بقبر إنسان ولىّ أو إنسانة ولية من الوليّات يشعرون بما فيه صاحبُ هذا القبر أو صاحبةُ هذا القبر يحسون بالرائحة الطيبة، وقد يَرَى هذا الشخص النعيم، الله يجعل هذا القبر كأنه بلور لا يحجب نظرهم ينظرون إلى حال الشخص وهو فِى قبره ينظرون إلى النعيم الذِى فيه هذا الإنسان من اتساع القبر سبعين ذراعًا طولًا وعرضًا ومن وجود الخضرة هناك فِى القبر ومن النور الذِى يعم هذه البقعة ومن البهاء وحسن منظر الذِى يكون فِى هذا القبر.

والرابع رجل كان من أمة المسيح الذين كانوا مسلمين مؤمنين، من أمة عيسى عليه السلام كان مؤمنون قبل أن ينزل الوحى على رسول الله سيدنا محمد ﷺ كان أناس مؤمنون مسلمون يعملون بشريعة الإنجيل الأصلِىّ الحقيقىّ الذِى لم يُبَدَّل ولم يُحَرَّف يُصَلُّونَ كما نُصَلّى نحن بركوعٍ وسجودٍ ويصومون بالكف عن الأكل والشراب وقتَ الصيام ويجتنبون أكلَ لحم الخنزير لأنه كان حرامًا فِى شريعة المسيح وأكلَ الربا ويقيمون الصلاة التى فرضها الله عليهم كما نحن نقيم الصلاة، من هؤلاء المؤمنين المسلمين من أتباع المسيح عيسى كان رجل يُسَمَّى جريجًا كان إنسانًا منقطعًا لعبادة الله ترك بيته وترك أهله وكانت له أم بإذنها برضاها انفرد لعبادة الله تعالى، بَنَى على مكان مرتفع على مكان مرتفع بنى شيئًا يُكِنُّهُ من الشمس ويدفع عنه الضرر فسكن فِى هذا المكان يعبد الله

خارج البلدة، بنى فِى مكانٍ بناءً صغيرًا من الطين فصار يعبد الله، هناك أمه كانت تأتيه من وقت إلى وقت هذا الإنسان المسلم المؤمن التقىُّ الذِى تجرد لعبادة الله تعالى لكنه لم يكن عالمًا إنما كان يعرف من علم الدين القدر الذِى يصحّح به اعتقاده وأعماله صلاته وصيامه ويتجنب به المحرمات كان تعلم القدر الضرورىّ أما التوسُّعُ فِى العلم ما كان عنده توسع فِى العلم جاءت أمه ذات يوم وهو فِى الصلاة فنادته وهو فِى الصلاة فلم يردَّ عليها فنادته مرة ثانية فلم يردَّ نادته مرة ثالثة فلم يرد فغضبت فقالت لا يُمِتْكَ الله تعالى حتى تنظر فِى وجوه الُمومِسات وانصرفت ثم بعد ذلك الله تعالى ابتلاه، بماذا ابتلاه تسلطت عليه امرأة بَغِىّ قالت أنا أفتن جريجًا فجاءت إلى صومعته فتعرضت له ليزنِىَ بها فأبى فوجدت هناك راعيًا يرعى بعض البهائم هذا الرجل زنى بها فحملت منه فولدت فقالت هذا الولد من جريج هم أهل البلد كانوا يعتقدون فيه كانوا يعتبرونه وليًّا فهجموا عليه فهدموا هذا البناء الذِى بناه وأخذوه ووضعوا فِى عنقه حبلًا جرُّوه قالوا له كنا نظنُّ فيك أنك تقىٌّ وأنت تفعل هذا الفعل وصاروا يسبُّونه ويلعنونه فمر فِى طريقه الذِى هم يأخذونه إليه نساء مومسات فضحك ضحكة لأنه تذكر دعوة أمه عليه ثم قال لهم أمهلونِى حتَّى أصلى ركعتين فتوضأ وصلى، كان الوضوء موجودًا فِى أمة المسيح وأمة موسى بين المسلمين كان كما نحن نتوضأ كانوا يتوضأون توضأ فصلى هذا العابد جريجٌ ثم جاء إلى هذا الغلام الذِى

تحمله هذه المرأة الذِى افترت به عليه وقال يا غلام من أبوكَ فقال الرَّاعِى، الناسُ فرحوا فصاروا يقبّلونه، الآن رجعوا إلى الاعتقاد قالوا ولىّ هذا ولىّ ثم قالوا له من شِدَّة زيادة اعتقادهم فيه نبنِى لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها كما كانت من طين، أولياء الله لا يحبون الفخفخةَ أولياء الله الصادقون لا يحبون الفخفخةَ، هذا أحد الأربعة الذين نطقوا فِى المهد تكلموا فِى المهد، هذا الغلام هذا المولود هذا أيضًا تكلم ليبرِّئ الله به جريجًا العبد المسلم المؤمن التقىّ من أمة عيسى عليه السلام والذين كانوا يعبدون الله على الإسلام والتوحيد على حسب الإنجيل الأصلىّ الذِى أنزله الله على المسيح ليس هذا الإنجيلَ المحرَّفَ الذِى نُوِّعَ إلى أربعة أنواع ألف أحدَها رجلٌ يسمى ماركوس والآخر ألفه رجل يسمى مَتَّى والآخر أَلَّفَهُ رجل يسمى يوحنا والآخر ألفه رجل يسمى لوقا وليست هذه الأناجيل الأربعة الإنجيل الذِى أنزله الله على المسيح الذِى كان يتمسك به هذا جريج بل كان الإنجيلَ الأصلىَّ، الإنجيلُ كتابٌ واحد كما أن القرءان كتاب واحد فِى زمانه، لكن نسخ الإنجيل أُتْلِفَتْ قبل ألف سنة.

مريم عليها السلام عند المخاض من شدة فزعها من الناس من شدة تضايقها من وقيعة الناس فيها قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيا من أجل ما تضايقت من اتهام الناس لها. قالت فِى نفسها الآن وأنا حامل يتهموننى فكيف إذا ولدتُ، هذا الهم كان

شاغلها. هى من الأول كانت تختبئُ فِى مكان تتعبد فيه كان زكريا عَيّنَ لها ذلك المكان ويُلْقِى إليها التعاليم، زكريا هو نبىُّ الله فِى ذلك الوقت كان هو نبىّ الله كان قبل يحيى بن زكريا والمسيحِ ابنِ مريم، قبلهما كان زكريا نبيًّا. هذا زكريا هو كان كافل مريم هو كان يربّيها هو كان يسيرها على التقوى.

كل الأنبياء جاءوا بتوحيد الله تعالى أن الله تعالى موجود لا يشبه شيئًا من الموجودات ليس روحًا ولا جسمًا ولا نورًا أبيض أو أصفر أو أحمر أو أشقر أو أزرق ولا هواءً ولا كالنبات ولا كالحجر أو المعدن وليس متحيزًا بالمكان الواحد أو جميع الأمكنة وأنه لا يستحق أحدٌ على العباد نهايةَ التذلُّلِ إلا هو لا يستحق أحد أن يُعبَدَ إلا الله. ما قال نبىٌّ من أنبياء الله لإنسان من أهل المعاصى اعترف بذنوبك أنا أغفر لك، ما قال أحد لا المسيح ولا غيره ذلك، كل الأنبياء كانوا يستغفرون الله تعالى لأنهم كانوا منكسرين لله، كل العباد بالنسبة إلى ذاتِ الله عباده ليس هذا له على الله مِنّة وذاك ليس له على الله مِنّة بل كل منهم لا مِنَّةَ لهم على الله، الله تعالى هو المتكرم المتفضل على الأنبياء والملائكة والأولياء وغيرهم، لا أحد له مِنّة على الله ماذا ينفع العبادُ الله تعالى، لا يستطيعون، الله غنىٌّ عن أن ينفعوه وغنىٌّ عن أن يضروه، لا يستطيع أحد أن يضر الله ولا يستطيع أحد أن ينفع الله، الله تعالى غنىٌّ عن الجميع غنىٌّ عن الملائكة غنىٌّ عن المسيح عيسى، المسيحُ عيسى الذِى خرج من أنثى من حيث يخرج

الناس ثم نشأ ينمو شيئًا فشيئًا، كلُّ الخلق ليس لهم فضل على الله، الله تعالى هو الذِى له فضل على الخلق، لذلك العباد كلهم سواء بالنسبة إلى العبودية لله، كلُّنا عبيد لله، الملائكة والأنبياء والأولياء كل عبيد الله، الله تعالى لا مناسبة بينه وبين شَىْءٍ من خلقه لا يحل فِى شىء من خلقه ولا شىء من خلقه يحل فِى ذات الله فمن اعتقد أن الله يحل فِى قلوب الأولياء فهذا كافر، إذا سمعتم إنسانًا يقول الله ساكن فِى قلبى يا ساكنًا فِى قلبى يترنم ويرقص فاعرفوا أنه ملعون عدوُّ الله كافر نجس خبيث ليس له فِى الإسلام نصيب.
كذلك رسول الله ﷺ، اللهُ تبارك وتعالى خلقه على ما شاء الله تبارك وتعالى على حسب مشيئته خلقه هو أكرمه وفضله على جميع الخلق، لكن الله تبارك وتعالى لا يحلُّ فِى شىء من خلقه لا يجوز اعتقاد أن الله حلَّ فِى شىء من خلقه لا يجوز اعتقادُ أن الله حلّ فِى بطن مريم فخرج ناسوتًا أىْ إنسانًا إلهًا كما يقول النصارى، إنسان وإله كيف يجتمع هذان الأمران اللاهوتية خلاف الناسوتية والناسوتية خلاف الألوهية كيف يجتمع الأمران، فالذين يعتقدون أن الله يحل فِى قلوب الأولياء فهو كالذِى يعتقد أن الله حل فِى بطن مريم هؤلاء كفار وهؤلاء كفار حتى الذِى يعتقد أن سيدنا محمدًا يدخل فِى جسم امرأة ويتكلم على لسانها فهو كافر ملعون نجسٌ لو ادَّعى أنه صاحب طريقة أو ادعى أن له كرامات لا تصدِّقُوه. بلغنِى أن امرأة ادَّعَتْ أن الرسول يدخل فيها ويتكلم على لسانها وأن غيره ﷺ

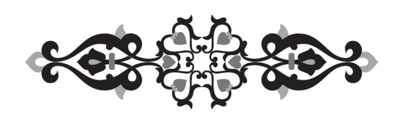
أيضًا يدخل فيها ويتكلم على لسانها هذه دجالةٌ كافرةٌ لا يجوز اعتبارُها مسلمة، ليست مسلمةً، خرجت من الإسلام بهذا الاعتقاد وبهذا القول إنّ الرسول فيها ويتكلم على لسانها، بهذا صارت كافرة خارجة من الإسلام، وإن رأيتم منها بعض العجائب فلا تَعُدُّوا ذلك كرامةً لأن بعض الدجالين تظهر على أيديهم عجائب ليفتِنَ الله من شاء فتنته إنما الأمر المحمود هو أن يظهر على يد إنسان مُتَّبِعٍ الرسول اتباعًا حقيقيًا لا يأتِى بما هو شاذ عن شريعة الله وإنما يتبع الرسول اتباعًا كاملًا حقيقيًّا فهذا الإنسان التقىُّ المسلم كاملُ الاتباع لرسول الله ﷺ إذا ظهر على يديه عجائبُ نقول عنها كرامة، عن هذا نقول كرامة، أما المُدَجِّلون إذا أظهروا بعض العجائب بواسطة خدمة الشياطين لهم فإنها ليست كرامة، فهذه التى يقال إنها يسيل من يدها عطرٌ هذا من تصرُّفِ الجن الذِى معها هذا ليس كرامة هذه ليست كرامة هذا من تصرف الجن الذين معها هؤلاء الجن يَتَصَرَّفون هذا التصرفَ حتى يعتقد بعض الناس فِى هذه المرأة أنها وليَّةُ اللهِ وأنَّ لها أسرارًا من أسرار أهل الله حتى ينفتنوا ويزيغوا عن الحق فيهلِكُوا مع الهالكين الله تعالى غنىٌّ عن عبادِهِ فمَنِ اهتدَى فإنما يهتدِى لنفسه ومَن ضل فإنما يَضِلُّ على نفسه.

مهما رأيتم منَ العجائب على يد هؤلاء الذين يخالفون شريعة الله باعتقادِ عقائدَ فاسدةٍ كاعتقاد أنَّ الله يَحُلُّ فِى جسم أشخاص الذين يعتقدون أن الله يحل فِى جسم شخص من الأشخاص بأن ينطق على لسانهم أو

يسكن قلوبهم أو يعتقدُ أن الرسول محمدًا يدخل فِى جسم امرأة فينطق على لسانها هؤلاء لا يفتنوكم مهما رأيتم منهم عجائب فاعتبروهم كافرين. هذا الزمان زمان الفتنة. هذا يَدَّعِى أنه ولىّ وهو لم يَشَمَّ رائحة الولاية وهذا يدعى أنه قطب من أقطاب الأولياء وهو لم يشم للإسلام رائحة إنما هو دجال نفّاق كذاب، وللجن تلبيساتٌ كثيرة يموّهون على كثير من البشر لقلة معرفتهم بأحكام دين الله فالجن فتنوا قبل سيدنا محمد خلقًا كثيرًا وكذلك فِى هذه الأمة فتنوا خلقًا كثيرًا، شياطينُهُم وفساقهم فَتَنُوا كثيرًا أمَّا أولياؤهم فهم كأولياء البشر.

والله تبارك وتعالى يهدينا سواء السبيل.

انتهى والله تعالى أعلم.



**الدرس السابع والعشرون**



# بيان إباحة الرقية الشرعية وتحريم السحر



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان إباحة الرقية الشرعية وتحريم السحر.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم.

أما بعد فإن الذِى تلخص إباحةُ الرقية التى بالقرءان أو بذكر الله وتحريم الرقية التى فيها شرك أو كلام غير معروف غير مفهوم المعنى كهذا الذِى يكون بغير اللغة العربية وليس له معنى صحيح وإباحةُ تعليق الحروز التى يكتب فيها شىء من القرءان أو من أسماء الله وتحريمُ السحر الذِى يعمل لتحبيب المرأة إلى زوجها فإن السحر كله حرام ليس هناك سحر يجوز عمله، ولا فرق بين أن يكون السحر للتحبيب أو للتبغيض حتى لو حصل نفور بين المرأة وزوجها وكان النفور من المرأة لا يجوز للزوج أن يذهب إلى السحرة ليعملوا له شيئًا

من السحر يؤلّفُ بينهما وكذلك العكس كلا ذلك حرام، وكذلك لو ظلم شخص شخصًا وتعدَّى عليه لا يجوز أن يطلب الخلاص منه بالسحر فلا يجوز لهما أن يفعلا ذلك، ولا يجوز مقابلة السحر بالسحر فمن أصابه ضرر بسحر ليس له أن يذهب الى ساحر ليفك هذا السحر عنه بسحرٍ والطريقُ الجائز الذِى ليس فيه معصية لمن أراد إزالة النُّفْرَةِ بينه وبين زوجته أن يدعو الله ويتضرع إليه لجعل الإلفة بينهما أو يقرأَ يس بهذه النية أو نحوُ ذلك. ويجوز للمسحور أن يستعمل طريقة لفك السحر لكن بغير سحر كأن يطلب فكه بالقرءان أو باستعمال بعض العقاقير التى جعل الله فيها خاصيَّةً بإبطال السحر. وليحذر المؤمن من تلبيس بعض المفسدين حيث إنهم يمزجون السحر بشىء من القرءان ليوهموا الناس أن القرءان يدخل بالسحر وهذا اعتقاد فاسد فإن القرءان لا يصلح للسحر لكن الشياطين علَّموا بعض الناس سحرًا ممزوجًا ببعض الآيات القرءانية فقد رأيتُ عمل سحر لجلب النساء أضيف فيه ءاية قرءانية إلى ذلك السحر وهو قوله تعالى ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ كذلك تحبُّ فلانة فلانًا، وهذا الأمر حقيقتُهُ أن الشيطان لما يُعْمَلُ هذا السحر بالطريقة التى علَّمها الشيطان لبعض الناس يدخل فِى جسم تلك المرأة فيسوقها إلى هذا الشخص كأنها مسلوبة العقل فتسلّم نفسها من دون ممانعةٍ فيقضى حاجته منها ثم يَعمل شيئًا حتى يصير فيها شىء من الصحو حتى تنصرف من ذلك المكان. والعياذ بالله

تعالى من شر الشياطين والكفار انظروا كيف يتفنَّنُ الشيطان فِى إضلال بنى ءَادَمَ أدخلوا هذه الآية القرءانية فِى هذا السحر ليوهموا الناس أن هذا عمل شريف لوجود ءَايةٍ قرءانية فيه وبعضُ المغفلين لا يعرفون أن هذا السحر تم بواسطة الشيطان لأنَّ الشيطان يستطيع بقدرة الله أن يدخل فِى جسم الأنثى أو الذكر فيسوقَهُ إلى مكان فنسأل الله أن يُقَيِّضَ لنا من يريحنا من هؤلاء السحرة فإنه عظم ضررهم على الناس بالأبدان والأموال.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الثامن والعشرون**



# بيان عدم التسرع فى التكفير



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان عدم التسرع فى التكفير.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين.

أما بعد، فهناك مسائل عديدة يطلقها[1] بعض الناس مجمعًا عليها عند كل علماء الإسلام والأمر ليس كذلك، الأكل فِى رمضان ينتهِى بالفجر جمهور علماء الإسلام على هذا وهو الحق، وفيهم من هو من أهل الاجتهاد قال يجوز الأكل إلى طلوع الشمس، والعلماء ما كفَّروا القائل بذلك إنما قالوا غلط، والذِى قال هذا هو من التابعين الذين أدركوا الصحابة وأخذوا منهم علمًا لهذا لا يجوز التسرع فِى التكفير.

(١) أي يظنها.

معرفةُ المجمع عليه ليس كل أحد يستطيع ذلك، العلماء الذين مضَوا اختلفوا فِى مسائل كثيرة، قراءة القرءان فِى الصلاة من السلف من أهل الاجتهاد من قال من أتم ركوعه وسجوده صلاته صحيحة إن لم يقرأ شيئًا فِى القيام، ومنهم من قال الله أكبر ليس شرطًا ليس ركنًا للدخول فِى الصلاة، النية تكفِى بدون تكبير إذا نوى أنه يصلّى صلاة كذا يكفِى للصحة، وهناك أمثالُ هذا، فلا ينبغِى التسرُّع، لا ينبغِى أن يبنىَ الشخص التحليل والتحريم والتكفير على حسب ما وصل إليه فهمه، ينبغِى أن يبنيَهُ على الاحتياط مع النظر فِى حال المسئلة هل هِىَ مجمعٌ عليها أم لا، ثم هل هِىَ معلومة من الدين بالضرورة أم لا، بعد ذلك ينبغِى القول بتكفير مخالفها إن كان فِى مخالفته تكذيب لما جاء فِى الشرع وعلم من الدين بالضرورة.

أما ما كان استخفافًا بالله أو رسوله أو ملائكته أو دينه أو شعائر الإسلام أو ما كان نوعًا من أنواع تشبيه الله بالعالم أو كان نفيًا للصفات الثلاث عشرة فلا ينبغِى التوقف فِى تكفير المخالف فيها لأن أهل الحق من علماء الإسلام لم يختلفوا فِى ذلك أى فِى تكفير المخالف فِى ذلك.

فالقائل والعياذ بالله بأن الله جسم لطيف أو كثيف لا يُتوقف فِى تكفيره مهما كان غارقًا فِى الجهل، لأن ثبوت الصفات الثلاث عشرة لله تعالى يدل عليه العقل لو لم يسمع ذكره فِى علم الدين، من سمع ومن لم يسمع فِى هذا سواء.

ولا يُنظر إلى كثرة الجاهلين المخالفين لأهل الحق فِى أن الله تعالى منزَّهٌ عن أضداد هذه الصفات الثلاث عشرة، لأن من اعتقد أن الله جسم فهو جاهل بخالقه لم يعرفه، وكيف يعد مسلمًا وهو جاهل بخالقه وقول لا إلـٰه إلا الله والعبادات لا تنفع إلا بعد معرفة الخالق، فالمشبّه الذِى يعتقد أن الله جسم ملأ العرش ليس عابدًا لله بل هو عابد لشىء غير موجود والحق أنه ليس على العرش جسم يملأ قدرَ العرش أو زيادةً على مساحة العرش.

وكذلك الذِى يعتقد والعياذ بالله أن الله جسم حالٌّ فِى الفراغ فوق العرش لأنه شَبَّهَ الله بالشمس والقمر والنجوم فإن هؤلاء واقفات فِى الفراغ فكلا الفريقين جاهل بخالقه كافر.

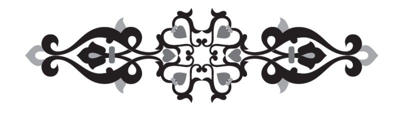
ويكفِى دليلًا على بطلان عقيدة الذِى يعتقد الله جسمًا ءايةُ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1] لأنه لو كان الله جسمًا لكان له أمثال كثير، لا فرق بين من يقول إن الله جسم وعابدِ الشمس، عابد الشمس يعبد جسمًا كثيفًا محقق الوجود، أما هؤلاء الذين يعتقدون أن الله جسم ملأ العرش أو واقف فِى الفراغ فوق العرش أشد سخافة عقل من عابد الشمس لأن عابد الشمس وإن كان كافرًا جاهلًا بخالقه لكنه يعبد شيئًا موجودًا مشاهدًا ومنفعته محققة مشاهدة فإذا كانت الشمس لا تستحق أن تعبد فكيف يستحق ذلك الجسم المتوهم أن يعبد!

---

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

فتبين وظهر أن هؤلاء الذين يقولون إن الله قاعد على العرش أو فوق العرش فِى الفراغ أسخف عقلًا من عباد الشمس ولا ينفعهم احتجاجهم بآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[(١)] حيث فسروا استواء الله بالجلوس، والجلوس صفة مشتركة بين البشر والملائكة والجن والبهائم فليس مدحًا لله بل هو شتم لله، والجلوس لا يكون إلا من جسم مركب من نصفين أعلى ونصف أسفل، أين غاب عنهم تفسير الاستواء بالقهر والقهرُ كمال فِى حق الله ومن أسمائه القهار والقاهر، فليس فِى هذا التفسير أى تفسير الاستواء بالقهر تشبيه لله تعالى بخلقه بل هذا هو الحق. أما تفسير المشبهة الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ بجلس أو استقر فهذا ضلال مبين حيث إنه تكذيب لمحكم القرءان قال تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، وقال سبحانه وتعالى ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾[(٢)] وقال ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨﴾[(٣)] وقال ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾[(٤)].

انتهى والله تعالى أعلم.



(١) سورة طه / الآية (٥).
(٢) سورة النحل / الآية (٧٤).
(٣) سورة الرعد / الآية (٨).
(٤) سورة الإخلاص / الآية (٤).

## الدرس التاسع والعشرون



# بيان أهمية الطهارة



**درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى للنساء فِى يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة ألف وأربعمائة وأربع من الهجرة الشريفة الموافق للخامس والعشرين من تشرين الأول لسنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِى بيته وهو فِى بيان أهمية الطهارة.**

**قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وسلام الله عليهم أجمعين. أما بعد فإن القرءان وحىٌ من الله تلاه جبريل الأمين على رسول الله ﷺ ثم تلاه رسول الله على أمته وأما الحديث فهو وحى أوحاه الله تعالى الى نبيه ﷺ فيجب الإيمان بهما فما جاء فِى الحديث مما رواه الثقات عن رسول الله مثلُ القرءان فيجب العمل به والأخذ به فمما جاء فِى حديث رسول الله ﷺ مما رواه الثقات عنه قوله ﷺ الطهور شطر الإيمان أى نصف الإيمان أى جزء كبير من الإيمان لأن الإيمان يشمل كل ما جاء به

رسول الله ﷺ من الإيمان بالأمور الستة أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره هذه الأمور الستة هذه الستة هى معظم أمور الإيمان ثم كل عمل صالح يتقرب به إلى الله يسمى إيمانًا الصلاة يقال لها إيمان.

الرسول ﷺ قال الطهور شطر الإيمان أى نصف الإيمان ما هو الطهور الطهور هو الطهارة عن الحدث الأصغر والأكبر الطهارة عن الجنابة والحيض والنفاس هذا يسمى الطهور، الوضوء طهور والاغتسال من الجنابة طهور والاغتسال من الحيض والاغتسال من النفاس طهور كذلك إزالة النجاسة عن الثوب والبدن طهور إزالة النجاسة طهور كما أن الطهارة عن الحدث الأصغر والطهارة عن الحدث الأكبر طهور وكل هذا شمله رسول الله ﷺ بهذا.

الطهور شطر الإيمان أى نصف الإيمان أى جزء كبير من الإيمان والصلاة هى إحدى أمور الإسلام بل إحدى أعظم أمور الإسلام لأن جبريل عليه السلام يوم جاء بصورة إنسان لم يكن يأتِ رسول الله بتلك الصورة قبل ذلك اليوم فجلس الى النبىّ واقترب منه وأسند ركبتيه الى ركبتى النبىّ ووضع يديه على فخِذَىِ النبىّ وسأله يا محمد أخبرنى عن الإسلام ففسر له الإسلام لما أخبره فسر له الإسلام بالأمور الخمسة شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع

إليه سبيلا فسر له الرسول الإسلام بهذه الأمور الخمسة قال له جبريل صدقت أخبرنى ما الإيمان فقال له الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ثم سأله عن الإحسان ثم سأله عن الساعة أى القيامة متى تقوم أجابه عن الأسئلة الثلاثة لكنه لم يجبه عن السؤال الرابع وهو متى قيام الساعة لأنه لا يعلم أحد متى تقوم القيامة على التحقيق إلا الله فلم يجبه بل قال له ما المسئول عنها بأعلم من السائل معناه أنا المسؤول وانت السائل كلانا سواء لا نعلم.

الرسول ذكر فِى تفسير الإسلام الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإذا كان العبد عاقلًا فينبغِى أن يحافظ على الصلوات الخمس والمحافظة عليها لا تكون إلا بالطهور وأداء الصلوات فِى أوقاتها، فمن هنا وجب تعلم الطهور ولا يجوز ترك معرفة طريق الطهور، كيف يكون الطهور بالاستنجاء مثلًا فلا يجوز للشاب أن يستحِى فلا يسأل عن تفاصيل الطهور ولا يجوز للشابة أن تستحِى فلا تتعلم أمور الطهور فمن ترك تعلم أمور الطهور، كيف الطهور من الحدث الأصغر وما هو الحدث الأصغر ومعرفة ما هو الحدث الأصغر والوضوء وكيف يكون الطهور من الحدث الأكبر وما هو الحدث الأكبر وكيف يكون الطهور عن النجاسة وما هى النجاسة ثم أهمل تعلم هذا من باب الاستحياء ترك التعلم استحياءً كما يزعم كثير من النساء

والرجال، حتى إن من الرجال بلغنى أنه يستنكر تعليم الشاب الصغير كيف يكون الطهور ما هو المنىّ الذِى يجب بسبب خروجه الغسل يقولون عيب يقولون عيب كيف يعلم هذا الصغير كيف يعلم كيف يتكلم معه فِى أمر المنىّ، هؤلاء والعياذ بالله من الخاسرين هو فرضٌ عليه هذا الأب فرضٌ عليه أن يعلمه فكيف يستنكر إذا علم ابنَهُ شخصٌ ءَاخَرُ أمرَ الجنابة ما هو المنىّ إذا علمه كذلك البنت التى هى حديثة السن إذا علمت ما هو الحيض وما حكم الحيض الذِى يستنكر هذا من الرجال هو من الخاسرين، والآباء والأمهات أغلبهم فِى هذا الزمن من الخاسرين.

امرأة اسمها أم سليم جاءت الى الرسول الى بيت أم سلمة زوج الرسول أم سلمة زوجة رسول الله أم سُلَيْم امرأة من الأنصار من المؤمنات التقيات الفاضلات قالت يا رسول الله هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت أىْ إن رأت فِى المنام هيئة الجماع هل عليها من غسل فقال الرسول نعم إذا رأت الماء يعنِى إذا رأت المنىّ هِىَ أم سليم كانت فِى بدء حديثها قَدَّمَتْ مقدمة جُملة اتخذتها مقدمة ونِعْمَتِ المقدمة قالت يا رسول الله إن الله لا يستحِى من الحق هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت قال الرسول نعم إذا رأت الماء أى المنىّ إذًا معرفة المنى من أمور الدين فمن لم يعرف المنىّ ولم يتعلم وعاش هكذا يأكل ويشرب وينام ويلبس ويتلذذ بنعيم الدنيا فهو كأنه يُرَبَّى تربية البقر والبنت التى لا تُعلم هذا إنما يعتنى لها بطعامها

وشرابها ولباسها ومنامها وزينتها هذه تُرَبَّى كما البقر. هذا إهمالٌ للدين الآباء والأمهات يؤاخذون على ترك تعليم هذا الشىء وما أشبهه من أمور الدين وهذا الولد وهذه البنت إذا عاشا بعد البلوغ ولم يتعلما الفرض فإنهما عرضا أنفسهما لعذاب الله.

المنىُّ شىء يخرج وعلامته أنه تحصل لذة بخروجه أما ما سوى ذلك مما يخرج من أحد السبيلين لا تحصل لذة بخروجه، علامة للمنى هذه اللذة التى تحصل بخروجه أما من حيث الصفات الأخرى الرسول قال منى الرجل أبيض غليظ ومنى المرأة أصفر رقيق لولا أن هذا فرض معرفة هذه الأشياء فرض معرفة المنى فرض على الرجال والنساء ما ذكر الرسول. الرسول عملُه ووظيفتُه وشغلُه التبليغُ تبليغ ما أمره الله تعالى بتبليغه من أمور الآخرة ومن أمور العبادات ومن أمور المعاملات فوظيفته أن يبلغ ما أوحى الله إليه فلا يجوز له أن يترك التبليغ. الله تعالى قال له ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1].

لعظم أمرها كانت الصلاة أول ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة. كثيرٌ من المغرورين يقول نعمل حسنات مع الناس فنتصدق على الفقراء ونساعد المنكوبين والملهوفين فيتركون الصلاة اعتمادًا على ذلك يظنون أن هذا يقوم مقام هذا وهذا كذبٌ هذا غرورٌ لا يقوم

(١) سورة المائدة/ الآية (٦٧).

مقام الصلوات الخمس شيءٌ من الحسنات، مهما كان الإنسان يطيع أبويه يحسن إليهما ويكرمهما ويحفظهما ويتأدب معهما إذا لم يُقم الصلوات الخمس فإنه من الخاسرين بر الوالدين لا ينفعه مكانَ الصلوات الخمس التى ضيعها، بر الوالدين لا ينفعه.

كذلك أول شىء يُسأل الإنسان عنه يوم القيامة عن الخصومات بين العباد هى الدماء، الدماء أول ما يسأل عنه الإنسان فى الخصومات قبل الأموال التى تظالم فيها الناس فِى الدنيا وقبل الشتائم التى يكون عليها فِى الآخرة قصاص قبل كل شىء الدماء، أما بالنسبة للعبادات فأول ما يسأل عنه الصلوات الخمس والصلوات الخمس إذا لم يعرف الإنسان أحكام الطهور كأنه لم يصل هؤلاء من فرط الجهل بدل أن يعلموا أولادهم ما هو المنىّ ما هو الحيض حتى إذا رأى يعرف أنه بلغ ثم يعرف كيف يتطهر يعيّرون من يُعلم الناس، إذا رَأَوْا إنسانًا يعلّم الأولاد أبناء عشر سنين أمور الطهارة من المنىّ وشبهه أو يعلم البنت أحكام الحيض أو كيف يكون التطهر منه يعتبرون هذا عيبًا من شدة الجهل والفساد وخبث النفس، فعليكن بالاقتداء بشرع الله تعالى ولا تقتدِينَ بهؤلاء الجاهلين والجاهلات أما ما سوى ذلك ما سوى المنى والحيض والنفاس فلا شىء يوجب خروجه من الإنسان الغسلَ. هذه الأمور من لم يتعلمها فإنه من الهالكين يوم القيامة هذه المرأة أم سليم رضى الله عنها من فقهها من فقه نفسها قَدَّمَتْ هذه المقدمة فسألت هذا هل على المرأة

من غسل إذا احتلمت قال نعم إذا رأت الماء معناه إذا خرج منها المنىُّ فيما حصل لها من الجماع فِى الرؤيا فِى المنام وجب عليها الغسل، معناه إن لم تر ليس عليها غسل إن لم تر المنىَّ إنما رأت الجماع فِى المنام فليس عليها غسلٌ وكذلك الرجل إذا رأى الجماع فِى المنام ولم يخرج منه المنىُّ فليس عليه غسل.

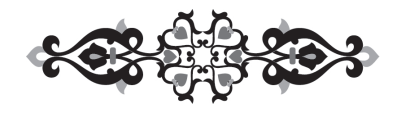
أما المذْى فهو ماء رقيق لزج يخرج عند ابتداء الشهوة هذا مثل البول من خرج منه يجب عليه أن يستنجىَ، وأما الوَدْىُ فهو ماء أبيض ثخين يشبه المنىَّ لكنه ليس منيًّا يخرج عقب البول وعند حمل الأشياء الثقيلة هذا مثل البول يوجب الاستنجاء بالماء أو بالحجر أو بالورق أو نحو ذلك من الأشياء، الطاهر الجامد القالع يكفِى الاستنجاء به.

المذى والودى يكفى الاستنجاء منهما لا يجب الغسل منهما لكن ينتقض الوضوء بخروج المذى والودى.

الله تعالى أكد أمر الطهور فأوحى الى نبيه ﷺ هذا الحديث **الطهور شطر الإيمان** اهـ وقولَه ﷺ **لا يقبل الله صلاة بغير طهور** اهـ الذِى لم يتطهر كما أمر الله تعالى فإنه لا تصح صلاته، طهوره هو مِفتاح الصلاة فمن لم يُتْقِنْهُ لم يُتْقِنِ الصلاةَ ومن أتقنه ثم أتقن الصلاة فذلك الكمال. لا تكونوا كالذين همهم فِى تربية الأولاد الإطعامُ والكسوة وتهيئة المنامة لهم وإعطاؤهم ما يُفرحهم من زينة الدنيا هذا شيء زائد والله تعالى قال

﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾[(١)] أيِ الأعمال الصالحة الحسنات خير عند الله تبارك وتعالى من المال والبنين لأن المال لا يبقى مع الرجل فِى قبره يفارقه عند الموت المال إن كان قليلًا وإن كان كثيرًا يفارقه عند الموت والأهل يفارقونه عند الموت يدفنونه ويتركونه للوحشة للدود يتركونه للوحشة والظلمة والوَحدة، الأهل يرجعون الأهل يرجعون والمال لا يبقى فما هو الذِى يبقى، العمل الصالح يبقى ويكون مؤنسًا له فِى قبره حين تركه أهله وماله إذا رجع عنه أهله وماله هو يبقى مؤنسًا له فِى قبره يكون نورًا له.

انتهى والله تعالى أعلم.



(١) سورة الكهف/الآية (٤٦).

## الدرس الثلاثون



# بيان أهمية إمساك اللسان عن الشرّ



**درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ألف وثلاثمائة وستة وتسعين من الهجرة الشريفة الموافق للرابع والعشرين من نيسان لسنة ست وسبعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيانُ أهميّة إمساك اللسان عن الشّرِّ.**

**قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً**

الحمدُ للهِ ربّ العالمين لهُ النّعمَةُ ولهُ الفَضلُ ولهُ الثّناءُ الحسَن صَلواتُ اللهِ البَرّ الرّحيم والملائكةِ المقَرّبين على سيّدنا محمّدٍ أشرَف المرسلِين وعلى جميع إخوانِه مِن النّبيّين والمرسلينَ وسَلامُ اللهِ علَيهِم أجمعين أمّا بعد. فقَد قال الله تبارك وتعالى ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾[1] اللهُ تَبارك وتعالى حَذّرَنا مِن أن نُطلِق ألسِنَتنا فيما لا خَيرَ لنَا فيهِ، أَعلَمَنا فِى هذه الآيةِ بأنّ علَينا ملائكةً يَكتُبونَ أقوالَنا، هُم ليسَ

(١) سورة ق/الآية (١٨).

يَقتَصِرُونَ على كِتابَة الأقوال بل يَكتُبونَ الأفعالَ أيضًا لكن الله تَبارك وتعالى ذكَر فِى هذه الآيةِ القَولَ، ذكَر بأنّ ملائكةَ اللهِ يُراقِبُونَ ما يَخرُج مِن فَم الإنسان لأنّ أكثَرَ أعمالِ الجَوارح أعمالُ اللّسان، اللّسانُ أكثَرُ أعمالًا مِن غَيرِه مِنَ الجَوارح، الرّجْل واليَدُ والسَّمعُ والأذُن هؤلاء منْ جَوارح الإنسانِ التى يَعمَل بها أعمَالًا، الأذُن يَستَمِعُ بها إلى الخَير وإلى الشّرّ والعَينُ يَنظُر بها إلى الخَير وإلى الشّر، واليَدُ يَبطِشُ بها أو يتَناوَل بها، يُمسِكُ بها الخَيرَ والشّرّ، والرّجْل كذلكَ يَستَعمِلُها فِى الخَيرِ وفى الشّرّ لكنّ فِعْلَ اللّسانِ أكثَرُ مِن فِعلِ غَيرِه مِنَ الجَوارح لذلكَ اللهُ تَبارك وتعالى ذكَر فِى هذه الآيَة القَولَ، أخبرَنا بأنّه وكّل بنا ملائكةً يَكتُبونَ ما نتكَلَّم بهِ فلَمّا قال الله تباركَ وتعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ علِمنا أنهم يَكتُبونَ ما يَخرُج مِن فَم الإنسانِ وفِعلَ العبد أى ما يتكلّم بهِ عَمدًا ليسَ سَبقَ لِسان لأنّ سَبقَ اللّسان لا يَدخُل تَحتَ التّكلِيف، اللهُ تَعالى ما كلَّف عِبادَه بالتّحَفُّظ مِن سَبقِ اللّسان بحَيثُ لا يَصدُر مِنهُم إنّما كَلَّفَنا بأن نَحفَظ ألسِنَتَنا مِن أن نتكلَّم باختِيارنا بما حَرّم علَينا، الملَكان رقيبٌ وعَتِيد هذان كاتبان مُوكَّلان بابنِ آدم، لكلّ شَخص مِن ذكَر أو أُنثَى أحَدُهما يَكتُب الحسَنات والآخَرُ يَكتُب السّيّئات ثم هما يَكتُبَانِ غَيرَ الحسَناتِ والسّيّئات كلَّ ما يَخرُج مِن فَم الإنسان يَكتُبان، ثم ما كانَ سَيّئاتٍ فإمّا أن يتُوبَ هذا العَبدُ فتُمحَى وإمّا أن لا يَتُوبَ إلى الممات فتَبقَى فِى صحَائفِه حتى يجِدَها يومَ القِيامَة فيَراها ويَقرأها لما

يُعرَض عليه كتابُه وأمّا ما كانَ مِن الحسَنات فإنها تُثبَتُ لهُ ولا تُمحَى إلى يوم القيامَة إلا أن يطرأَ علَيها ما يُفسِدُها، الكفرُ يُفسِدُ الحسَنات، إذا كفَر الإنسانُ كُفرًا قَوليّا مُحِيَت تلكَ الحسَناتُ كلُّها وإن فَعَلَ فِعلًا كُفريًّا كذلكَ وإن اعتَقَد عقيدةً كُفريّةً كذلكَ، كُلُّ حسَنةٍ قَدّمَها فإنّها تُمحَى.

أمّا غَيرُ الكُفرِ فلا شَىءَ يَمحُو الحسَناتِ كلَّها حتى إنّ ما وَردَ فِى الحديث الذى رواه أحمد ومسلم وابن ماجه وابن حبان أنّ **مَن تَركَ صلاةَ العَصر حَبِطَ عمَلُه**(١) اهـ. فمَعناهُ فَسَدَ علَيهِ نَهارُه ذلكَ الذِى تَرك فيه صلاةَ العَصر أى حُرمَ هذا الأجرَ العظِيم أجرَ صَلاةِ العصر التى هى أفضَلُ الصّلَواتِ، حَبِطَ عمَلُه معناهُ ذهَب علَيه الفَلاحُ فِى آخِر نَهارِه هَذا، ما أفلَح فِى نَهارِه هذا، خَسِرَ آخِر نَهارِه، هذا مَعناهُ كأنه حبط عمله ليسَ مَعناهُ كُلُّ حسَناتِه تَذهَبُ مِن أجلِ أنّهُ ترَكَ العَصرَ، لا تُمحَى كُلُّ حسَنةٍ قَدَّمَها مِن أوّل يَوم جَرَى علَيه قلَمُ الحسَناتِ والسّيّئات أى مِن أوّل يَوم بلَغَ لا يمحُو الحسَناتِ التى يَعمَلُها الإنسانُ كلَّها إلا الكُفر، ثم هذانِ الملَكانِ الكَريمان ما كانَ مِنَ القَولِ يَسمَعانِه فيَكتُبانِه وما كانَ مِنَ الفِعل فَيَريانِه فيَكتُبانِ وما كانَ مِن الاعتقادِ فإنّ اللهَ تَعالى يُطلِعُهما لأنّهما مِن أحبَابِه، الملائكةُ كُلُّهم أحبابُ اللهِ ما فِيهِم عاصٍ كُلٌّ مُطِيعٌ لأمرِ ربّه ليسُوا كالجِنّ والبشَر، الجِنّ والبشَرُ هُم الذينَ أكثَرُهم

(١) ورواه البخاريّ باب التبكير بالصلاة فى يوم غيم.

فاسِقُون، أكثَرُهم عُصَاةٌ لرَبّهم، أكثَرُ الإنسِ والجِنّ كفّار، المؤمنونَ بالنّسبَة للكفّار قِلّة، اليَومَ وقَبلَ اليَوم النّاسُ أكثَرُهم كُفّار، الآنَ إذا أُحصِي سُكّانُ الأرض ومُيّزَ المسلِمُ منهُم مِن غَيرِ المسلِم لَطَلَع المسلِمُونَ نحوَ العُشْر، وفيما مَضى منذُ أيّام قَوم نُوحٍ البَشر أغلَبُهم كُفّار إلا ما يتَخَلَّل تلكَ الأزمَان لأنّه فيما مَضى البشَرُ ما كانَت حالَتُهم مِثلَ اليوم، فيما مضَى البشَرُ لما يَكفُرون ويُكذّبون أنبياءهم الله تعالى يَمحَقُهم، يَمحَقُ الكافِرينَ فيَتركُ المسلمينَ ثم هؤلاء المسلمونَ يَعِيشُونَ على الأرض فيَتَوالَدُونَ ويتَناسَلُون فيَكثُرون ثم يَعُود فيهمُ الكفر والشّرك فيُكَذّبون أنبياءهم، الأنبياءَ الذينَ أُرسِلُوا إليهم، هذا تكرَّر فِي البشَر فيما مضَى، أمّا بَعدَ أن أُرسِلَ سيّدُنا محمّدٌ لا يَأتى على البشَر عَذاب عامٌّ يَستَأصِل الكفار، يُحْصَدون فيهِ كُلُّهم بحَيث لا يَبقَى على وَجه الأرض فَردٌ واحِدٌ مِنَ الكُفّار إلا أنّه بَعدَما يَنزِلُ عيسَى المسيحُ ﷺ. يُفهَم مِن الحديث الذِى قالَه الرّسولُ ﷺ فِى شَأنِ نزُولِ عِيسَى، قال عليه الصلاة والسلام **تَهلِكُ المِلَلُ كُلُّها سِوى مِلّةِ الإسلام اهـ** رواه ابن حبان[1] لما يَنزِلُ المسِيحُ عيسى مِنَ السّماء إلى الأرض تَهلِكُ الأديانُ كُلُّها ولا يَبقَى إلا الإسلام، فِى ذلكَ الوَقتِ يَختَلِفُ الأمر، اللهُ تَعالى يُهلِكُهم بقُدرَته بغَيرِ الطّريقَة المتَعارفَة بينَ النّاس يَكونُ هَلاكُ الكُفّار

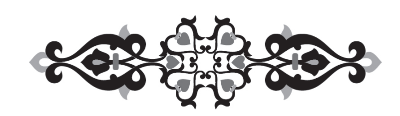
(١) ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ الأَمْنِ الَّذِى يَكُونُ فِى النَّاسِ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ مَرْيَمَ الدَّجَّال.

فيَعِيشُ المسلمونَ ءامِنِينَ مطمَئِنّينَ لا يَشكُو أحَدٌ فَقرًا لأنّ الأرضَ تُخرِجُ ما فِى جَوفِها مِنَ الذّهَب وغَيرِه، الآنَ فِى جَوفِ الأرضِ ذَهَبٌ كثِيرٌ ذلكَ الوَقت تُخرِجُ الأرضُ ما فِى جَوفِها، تُظهِرُ الذّهَب فيَكثُرُ بينَ النّاسِ بحَيثُ إنّ الإنسانَ يَصِلُ إلى حَالَةٍ لا يَجِدُ مَن يَأخُذ مِنهُ صَدَقَتَه، كُلٌّ مُكتَفٍ، كلُّ فَردٍ مِن أفرادِ البَشرِ مُكتَفٍ، فاللهُ أعلَمُ مَتى يَنزلُ مِنَ السّماءِ فيَحصُل هذا الشّىء، قال رسول الله ﷺ **إنّ عيسَى ابنَ مَريمَ نَازلٌ فِيكُم فاعرِفُوهُ رَجُلٌ رَبْعَةٌ سَبِطُ الشّعَر مُعتَدِلُ القَامَة**[١] اهـ قال مُعتَدلُ القَامةِ وسَبطُ الشّعَر معناه شعَرُه ناعِم ليسَ جَعدًا فيَمكثُ فِى الأرض أربعينَ عامًا فيُهلِكُ اللهُ المِلَل كُلَّها سِوى مِلّةِ الإسلام هكذا قال، ويَحكُم بشَريعَة سيّدِنا محمّد لكنّه أوّلَ ما يَنزلُ، المكَان الذِى يَنزل فيه فِى الشّام، يَلتَقِى مع المهدىّ عليه السلام فِى الشّام بمعنى أنّه ضِمنَ أرض الشام، والشّام ليسَت سُوريّة فَقط بل لبنان والأردنّ وفِلَسطِين وسُوريّة كُلُّ هذا شَام، وذَكَر الرّسول أنّه يَنزلُ عندَ المنارَة البيضاء شَرقىَّ دِمَشق، اللهُ أعلَم أيّةَ مَنارَة يَنزل عندَها المسيح، والآنَ تُوجَدُ مَنارَةٌ بَيضاء

(١) رواه الحاكم فِى المستدرك. بلفظ إن روح الله عيسى ابن مريم نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام فيهلك الله فى زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة على أهل الأرض حتى ترعى الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون. قال الذهبى فِى التلخيص صحيح.

بمعنى عَامُودِ النُّور الذِى عُمِلَ للمَطَار الجَديد، هى هذه المنارة بَيضاء كالمنارة التى هنا فِى رأس بَيروت. يَحتَمِل أن يكونَ نزُولُ المسِيح فِى المنارة البَيضاء التى فِى دِمَشق التى عُمِلَت للمَطَار ويَحتَمِلُ أن يكونَ نزُولُه فِى مكانٍ آخَرَ فيه منَارَةٌ بَيضَاء، اللهُ أعلَم، قال عليه الصلاة والسلام **ثم يُتَوفَّى فيُصَلّى عليهِ المسلِمُون** اهـ رواه الحاكم. لما قال الرسولُ عليه السلام فِى هذا الحديث ثم يُتَوفّى علِمنا أنّه قبلَ هذا لم يُمِتْه اللهُ تعالى إنّما رفَعَه حَيّا مِنَ الأرض إلى السّماء يَقظَانَ، ثم إنّ الرّسولَ وصَف لَونَه ففى روايةٍ فِى صَحِيح البخارى أنّهُ ءادَمُ، رءاه ءادم، الآدمُ معناهُ الأسمَر وفى رِوايَةٍ أنّه وصَفَه بالأحمَر، أحمَر اللّون، فمعنى الرّواياتِ أنّه ليسَ أبيضَ مُشرِقًا بل هوَ أسمَرُ سُمرَةً خَفِيفَةً، كما يقولون عندكم حِنطَاوىٌّ، الله تبارك وتعالى أوحَى إلى نبِيّه بذلك، وأوحَى إليه بما ذكَرناه فِى أوّل الدّرس مِن أنّ اللهَ تَبارَك وتعالى وَكّلَ بعبادِه بكُلّ عَبدٍ ملَكَين يَكتُبانِ أقوالَه وأفعالَه والعقائدَ أيضًا تَغيُّرات العَقائد، فمَن كانَ ثابتًا على عقيدةِ الإسلام ملَكُ الحسَنات يَكتُب على هذا الإنسانِ عقِيدتَه، عقيدةَ الإسلام.

انتهى والله تعالى أعلم.



**الدرس الحادى والثلاثون**



# بيان حال التقىّ عند الموت وبعده



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان حال التقىّ عند الموت وبعده.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين أما بعد فإن فِى أثناء حديث للرسول ﷺ تأكيدًا بليغًا للعناية بتعلم أمور الدين فإن علم الدين لا يستغنى عنه إنسان وأهميته قال رسول الله ﷺ **إن الله يكره كل جعظرى جواظ سخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عارف بأمر الدنيا جاهل بأمر الاخرة**(١) اهـ

فرسول الله ﷺ ذم الإنسان الذِى يكون عارفًا بأمر الدنيا ويكون جاهلًا بأمر الآخرة، رسول الله ﷺ ذم من هذا حاله أى عارفًا بأمر الدنيا جاهلًا بأمر الآخرة وكفى ذلك نقصانًا فإن الإنسان فِى هذه الحياة الدنيا

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه والبيهقىّ فِى سننه.

كمسافر يقصد الذهاب إلى وطنه ويكونُ فيما بينه وبين وطنه مسافاتٌ ومراحلُ ومنازلُ ينزل فيها منزلةً بعد منزلة، فشأن المسافر الذِى يكون قاصدًا وطنه أن يكون بينه وبين وطنه مراحل ينزل فِى هذه المرحلة ثم ينتقل من هذه المرحلة إلى التى تليها حتى يصل إلى وطنه، كذلك الإنسان فِى هذه الحياة الدنيا كإنسان مسافر يكون مستقره فِى وطنه بعد أن يصل إليه. والإنسان الذِى يكون مسافرًا إذا كان عاقلًا ينبغى أن يكون هَمُّه تهيئة مصالحه إذا وصل إلى وطنه أما ما دون الوصول إلى وطنه فلا يهمه، هَمُّه أن يصل إلى وطنه سالمًا وأن يقطع هذه المراحل بسلامة، كذلك العاقل همه فِى هذه الدنيا أن يُهَيِّئَ زاده فيعتبرَ هذه الدنيا أى هذا العمر الذِى يقضيه فِى الدنيا كهذه المنازل التِى ينزل فيها ثم يرحل عنها إلى أن يصل إلى وطنه لذلك قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ لا خير فِى غنًى بعده النار ولا فقرَ بفقرٍ بعده الجنة يعنى العاقل همه فِى الدنيا أن يخرج منها سالمًا فِى دينه مُهَيِّئًا لآخرته مصالحَها فإن الذِى يكون له فِى هذه الدنيا غنى يتمتع به فِى أنواع نعيم الدنيا ثم يكون مآله النكدَ فِى قبره ثم فِى ءاخرته فإن هذا النعيم الذِى يتقلب فيه فِى الحياة الدنيا كلا شىء. وقال علىّ بن أبى طالب رَضِىَ الله عنه فيما رواه البخارىّ عنه فِى الصحيح ارتحلت الدنيا وهى مدبرة وارتحلت الآخرة وهى مقبلة فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا اليوم العمل وغدًا الحساب اهـ

فليعلم الإنسان أن هذه الجوارح التِى أنعم الله بها عليه من لسانٍ وسمعٍ وبصرٍ ورجلٍ وغير ذلك نِعَمٌ أنعم الله بها عليه ثم يُسأل عنها فِى الآخرة فإن شكر الله تعالى بها أى بأن عمل بهذه النعم كلها ما يُرضِى الله تعالى وحفظ نفسه من أن يستعمل هذه النعم فيما حرم الله كان له فوز كبير فِى ءَاخرته، وهذا الإنسان المؤمن الذِى استعمل هذه الجوارح فيما يُرضِى الله تعالى وصانها وحفظها مما حرم الله تعالى، الإنسانُ المؤمن التقِىُّ أى الذِى يُؤَدّى الواجبات ويجتنب المحرمات يكون خروجه من هذه الدنيا كإنسان كان فِى قلّ وجدبٍ وقحطٍ ومجاعةٍ وفِى سجنٍ ثم فِى موته صار طليقًا من الحبس وصار فِى رخاءٍ فارق المجاعة والمَحْلَ.

ومن جملة الواجبات معرفة ما فرض الله فمن عرف ذلك وأدّى ما أوجب الله واجتنب ما حرم الله يحبّب الله إليه الموت قبل خروجه من الدنيا لما يرى مما أعد الله له بعد موته من الراحة، كان يكره الموت لكنه لما بُشِّرَ برحمة الله تعالى ورضوانه على لسان ملك الرحمة، وملائكةُ الرحمة جمع كثير يأتون إلى هذا المؤمن وهو على فراش موته ليُبَشّروهُ فيزول عنه كراهية الموت أى حتى يخرج من الدنيا وهو قد زال عنه الخوف من الموت كراهية الموت وصار الذهاب إلى القبر إلى هذا البرزخ يطمئن إليه قلب هذا العبد المؤمن فعندئذ يحبُّ الموت الذِى كان يكرهه لأنه حين يبشره ملك الرحمة برحمة الله ورضوانه ثم يبشره بعده ملك

الموت عزرائيل زال عنه كلُّ ما كان يجده فِى نفسه من كراهية لأنه علم أنه ليس عليه نكد فِى قبره، هؤلاء ملائكة الرحمة الله تبارك وتعالى جعل فيهم للمؤمن طمأنينةَ بال، لَمَّا يبشره هؤلاء ينقلب حاله، الإنسانُ لو كان تقيًّا يكره الموت من حيث الطبيعة من حيث طبيعته يكره الموت لكنه لما يبشره هؤلاء الملائكة ملائكة الرحمة وهم عباد الله المكرمون عباد الله أحباب الله المكرمون، عنده ينقلب حال هذا المؤمن من كراهية الموت إلى محبة الموت فسبحان القدير على كل شىء المتصرف فِى قلوب عباده يقلب القلوب كيف يشاء.

ثم بعد ذلك تُقبض الروح ثم يَرَى من تعظيم الملائكة له ما يزيده سرورًا فإن ملائكة الرحمة يستلمون روحه من يد عزرائيل فيذهبون به إلى السماء وبين الأرض والسماء أفواج من الملائكة فيعرفون أن هذا العبد المؤمن من عباد الله الصالحين يجعل الله تبارك وتعالى لهذا الروح الطيب المؤمن رائحةً زكية كأزكى رائحة مسك فيقولون من فرحهم به ما هذا الروح فيقال لهم فلان بن فلان حتى ينتهوا إلى السماء الأولى فيفتح له باب السماء ثم يشيعه من هذه السماء المقربون من ملائكتها إلى السماء التى فوقها وهكذا حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة ثم يؤمرون بأن يكتبوا كتابه فِى عليين وهو ديوان السعداء وبأن يردوه إلى الأرض وبأن يفتحوا له بابًا من قبره إلى الجنة، ثم يردونه إلى الأرض ثم يسير مع الجسد حين يحمل للدفن فيقول من شدة فرحه قدّمونِى قدّمونِى هذا لأنه يشتاق يصير

فِى شوقٍ إلى هذا القبرِ ثم إذا دفن أعيد الروح إلى الجسد فيعود إليه عقله كهيئته قبل أن يموت، هذا الجسد يعود إليه الروح ويعود إليه عقله كهيئته قبل أن يموت ويعرض عليه مقعده فِى الجنة أول النهار وآخر النهار وهكذا يظل فِى القبر محفوظًا من الوحشة لا تسلط عليه وحشة ولا ظلمة بل ينور له قبره بنور كنور القمر ليلة البدر ويوسع عليه هذا القبر سبعين ذراعًا أى بذراع اليد وهى من الإصبع إلى المرفق حتى يبلى جسده، يظل فِى هذا النعيم من دون أدنى نكد لا يحس بوحشة ولا بظلمة ولا بضيق ولا بهامة من هوام الأرض لا نمل ولا ما هو أشد من ذلك ويظل محفوظًا ناعم البال أشدَّ راحة من راحته حين كان على وجه الأرض فِى بيته بين أهله ثم لَمَّا يأكل التراب جسده ولا يبقى من جسده إلا عجب الذنب أىِ العظم الذِى كهيئة حبة خردل تعود الروح إلى الجنة ويكون طيرًا يأكل من ثمار الجنة إلى أن تقوم القيامة ويعيد الله جسده الذِى أكله التراب يوم القيامة ثم يعود الروح إلى الجسد ولا يفارق الروح الجسد بعد ذلك أبد الآبدين هذا ما جاء فِى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه وحديث أبِى هريرة رضى الله عنه وكلا الحديثين صحيح.

انتهى والله تعالى أعلم.



**الدرس الثانى والثلاثون**



# بيان أن الحسنات يذهبن السيئات وما يلتحق بذلك من أمور عقائدية



***هذا درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررى رحمه الله تعالى فى طرابلس الشام فى الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ألف وأربعمائة وثلاثة عشر للهجرة الموافق للخامس عشر من أيلول سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان أن الحسنات يذهبن السيئات وما يلتحق بذلك من أمور عقائدية.***

***قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعد قالَ اللهُ تبَارَك وتَعالى ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[1] جاءَت أَحَاديثُ صَحِيحةٌ عن رسولِ اللهِ

(١) سورة هود / الآية (١١٤).

ﷺ فِى شَرحِ مَعنى الآيةِ فمِنْ ذلكَ مَا رواه مُسلِمٌ[(١)] فِى الصّحيح أنَّ نَبى الله ﷺ قالَ **أَيَعْجِزُ أَحَدُكُم أَن يَكْسِبَ فِى اليَوم أَلفَ حَسنَةٍ، يُسَبّحُ اللهَ تَعَالى مِائةَ تَسبِيحَةٍ فيُكتَبُ لهُ بهِنَّ أَلفُ حَسنةٍ ويُمحَى عَنهُ بهِنَّ أَلفُ خَطِيئَةٍ** اهـ فِى هَذا الحديثِ بَيانُ أنّ الحسَنةَ الواحِدَةَ تمحُو عَشَرةً مِنَ السّيئاتِ، هَذا أَقلُّ مَا يَكُونُ وقَد تمحُو الحسَنةُ الواحِدَةُ أكثَرَ مِن ذلكَ مِن السّيئاتِ، بَيانُ ذَلكَ أنّ الرّسولَ عَليهِ الصّلاةُ والسّلامُ أَخبَر بأنّ المائةَ تَسبِيحَةٍ يكونُ ثَوابُها أَلفًا مِنَ الحسَناتِ وزِيادةً على ذَلكَ، وأَخبَر بأنّهُ يُمحَى عن قائلِ هذه المائةِ تَسبِيحةٍ أَلفُ خَطِيئَةٍ أى مَعصِيةٍ، ولم يُقَيّدْ رسولُ الله ﷺ هذِه الخطِيئَةَ بأَنها مِنَ الصّغائرِ، فنَقُولُ يجُوزُ أن يمحُوَ اللهُ بالحسَنةِ مِنَ الحسَناتِ بَعضَ الكبَائرِ وإنْ كانَ وَرَدَ فِى فَضلِ الصّلَواتِ الخَمسِ أَنّه تمحَى عَنهُ وتُكفَّر عَنهُ بها ما سِوى الكبائر، إن لم يَغشَ الكبائر، ولَكِن هذا ليسَ مُطّرِدًا فيمَا سِوى الصّلَواتِ الخمس، فقَد ثبَت بالإسنادِ الصّحيح أن مَن قالَ **أَستَغفِرُ اللهَ الذِى لا إلهَ إلا هوَ الحَى القَيُّومُ وأَتُوبُ إلَيهِ يُغفَرُ لهُ وإنْ كانَ قَد فَرَّ مِنَ الزَّحفِ** رواه أبو داود[(٢)] والترمذيُّ[(٣)] والحاكم[(٤)].

والفِرارُ مِنَ الزّحفِ مِن أَكبَرِ الكبَائرِ، فإذَا كانَ بهذِه

---

(١) باب فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ.
(٢) باب فِى الاستغفار.
(٣) باب فِى دعاء الضيف.
(٤) قال الذهبِىّ فِى التلخيص على شرط مسلم.

الكلِمَةِ مِنَ الاستغفارِ يُمحَى مِنَ الكبَائِر مَا شَاءَ اللهُ تعَالى فلا مَانِعَ مِن أن يُمحَى بالتّسبِيح ونحوِه بَعضُ الكبَائر. والحديثُ الثّانى حديثُ **مَن قَالَ أَستَغفِرُ اللهَ الذِى لا إلهَ إلا هوَ الحى القيُّوم وأَتُوبُ إليهِ يُغفَرُ لهُ وإنْ كانَ قَد فَرّ مِنَ الزّحفِ** رواه أبو داود فِى سُنَنِه وهو حديثٌ حسَنُ الإسنادِ حَسّنَهُ الحَافِظُ ابنُ حَجر فِى الأمالىّ. هَذِه الرِّوايةُ التى حُكِمَ لها بالحُسنِ لَيسَ فيهَا التّقيِيدُ بثَلاثِ مَرّاتٍ ولا بأنْ يَكونَ ذلكَ عَقِبَ صَلاةِ الفَجر بل هى مُطلَقَةٌ، أىَّ وَقتٍ قَال هذا الاستغفَارَ أَستَغفِرُ اللهَ الذِى لا إلهَ إلا هوَ الحى القَيُّومُ وأَتوبُ إليه غُفِرَ لهُ ذُنُوبُه وإنْ كانَ قَد ارتَكَب بعضَ الكبَائر، ثم اللّفظُ يُقرَأُ على وَجْهَين يُقرَأُ بالرّفع **الحَىُّ القَيُّومُ** ويُقرأ بالنَّصبِ **الحَىَّ القَيُّومَ** كلُّ ذلكَ جَائزٌ عندَ علَماءِ النَّحْو.

ثم إنّ الحَافِظَ ابنَ حجَر ذكَر أنّ هَذا الاستِغفَارَ يُمحَى بهِ مِن الكبَائِر مَا لَيسَ مِن تَبِعَاتِ النّاس أى مِن مَظَالم النّاس، أى أنّ المظَالم لا تَدخُل تحتَ هَذا الحدِيث، ثم كلُّ هَذا شَرطُه أن تكونَ هُناكَ نِيّةٌ شَرعِيّةٌ، وهى أن يَقصِدَ بهذا التّسبِيحِ التّقرُّبَ إلى الله وليسَ فيهِ رِياءٌ أى ليسَ فيهِ قَصدُ أن يمدَحه النّاس، إنما قَصدُه خَالصٌ للتّقربِ إلى الله وهَكذا كلُّ الحسَنات قِراءةُ القُرءان والصّلاة والصيامُ والحجُّ والزّكاةُ وبرُّ الوَالِدَين والإنفَاقُ على الأهلِ وصِلَةُ الرّحِم إلى غَيرِ ذَلكَ مِنَ الحَسَنات، لا ثَوابَ فِيهَا إلا بالنّيّةِ، والنّيةُ هى أن يقولَ بقَلبه أَفعَلُ هَذا تَقرُّبًا إلى اللهِ أو ابتِغاءَ مَرضَاةِ اللهِ أو ابتغَاءَ الأجرِ مِنَ الله، لكن بشَرطِ أن لا يضُمّ إلى ذلكَ

قَصْدَ مَدحِ النّاسِ لهُ وذِكرِهم لهُ بالثّناءِ والجَمِيل إنما قَصدُه أنّه يتَقرّبُ إلى الله بهذِه الحسَنةِ بهذا التّسبِيح أو بهذِه القِراءةِ للقُرءان أو بهذِه الصّدقةِ أو بفَرائضِه التى يَفعَلُها كالصّلاةِ والحَجّ والزّكاة، كلُّ هذهِ الحسَنات إذا اقتَرنت بها نيّةٌ صَحِيحَةٌ خَالِصَةٌ للهِ تَعالى ولم يَقتَرِن بها الرِّياء فلِفَاعِلها الثّواب الجَزيلُ أى أنَّ كُلّ حَسنةٍ تُكتَبُ عَشْرَ أَمثَالها على الأقَلّ وقَد يَزيدُ اللهُ لمنْ شَاءَ مَا شَاءَ مِنَ المضَاعفَات.

ثم هناكَ شَرطٌ لا بُدَّ مِنهُ وهوَ صِحَّةُ العَقِيدةِ، صِحّةُ العقِيدةِ شَرطٌ للثّوابِ على الأعمالِ فَلا ثَوابَ على الأعمَالِ بدُونِ صِحّةِ العقِيدةِ.

ومَعنى صِحّةِ العقِيدةِ أن يكونَ عَارفًا باللهِ ورسُولِه كمَا يجِبُ ليسَ مجرّدَ التّلفّظِ بكلِمةِ التّوحِيد، بل الأصلُ الذِى لا بُدَّ مِنهُ للنّجاةِ منَ النّارِ فِى الآخِرة ولحصولِ الثّواب على الأعمَالِ هوَ مَعرفةُ اللهِ كمَا يجبُ ومعرفةُ رسُولِه ﷺ، ثم بعدَ ذلكَ الثّباتُ على الإسلام أى تجَنُّب الكُفريّات القَوليَّةِ والفِعلِيّة والاعتقادِيّة، فمَن ثبَت على هذا إلى الممَاتِ كانَت كُلّ حسَنةٍ يَعمَلُها على هذا الوجهِ لهُ فيها أَجرٌ كبِير عندَ الله، فيَكونُ مِنَ الفَائزين النّاجِين المفلِحين.

مَعنى صِحّةِ العَقِيدةِ هوَ أن يكُونَ عَلى مَا كانَ عَليهِ أَصحَابُ رسولِ اللهِ والتّابعونَ وأَتباعُ التّابِعين ومَن تَبعَهُم على تلكَ العقِيدةِ التى هى مَأخُوذَةٌ عن الرّسول ﷺ تَلَقَّوها عن الرسولِ ثم تَلقّاها التّابعُونَ مِنَ الصّحابةِ

ثم تَلقّاها المسلمونَ جِيلًا عن جِيل، وهذِه العقِيدةُ إلى يومِنا هذا موجُودَةٌ وإنِ انحرَف عَنها بعضُ الفِئاتِ، هذِه العقِيدةُ التى كانَ عليها الصّحابةُ ومَن تَبِعَهُم بإحسَانٍ هى الأشعَرِيّةُ والماتُرِيدِية، والأشعرِيّةُ والماتُرِيدِيّة هُم أَهلُ السُّنّةِ والجمَاعة فعَقِيدَتهُم مُنبثِقَةٌ مِن قَولِ اللهِ تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1] عَرفُوا مَعنى هَذِه الآيةِ كمَا يجِبُ فنزّهُوا اللهَ تَعالى عن صِفاتِ المخلُوقِينَ وعن التّحَيُّزِ فِى المكَانِ وعنِ الحَدّ أى المِسَاحَةِ، لأنّهُ لا تَصِحُّ مَعرفَةُ اللهِ مَع اعتِقادِ أنّهُ يُشبِهُ خَلْقَهُ ببَعضِ صِفاتِهِم كالتّحَيُّز فِى المكانِ أو التّحَيُّزِ فِى العَرشِ أو فِى غَيرِ العَرشِ أو التّحَيُّز فِى جمِيعِ الأماكِن، كلُّ هَذا ضِدُّ هذه الآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾.

فخُلاصَةُ عقِيدةِ أَهلِ الحَقّ أنّ اللهَ مَوجُودٌ لا كالموجُودَاتِ أى لا يُشبِهُ الموجُودَاتِ بوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، السّلَفُ الصّالحُونَ كانُوا على هذِه العقِيدَةِ أى تَنزيهِ اللهِ عن التّحَيّز فِى المكانِ والحَدّ، والدليل على ذلك أن الإمام زين العابدين عليَّ بن الحسين بن عليّ ابن أبِى طالب رضىَ الله عنهم كان من أوائل السلف، له رسالة تسمى الصحيفة السجادية ذكر فيها عبارات فِى التنزيه منها هذه الجملة سبحانك أنت الله الذِى لا يحويك مكان. احفظوها فإنها من كلام السلف الصالح كان زين العابدين رضى الله عنه يقال عنه أفضل قرشى فِى ذلك الوقت، أفضل أهل البيت، وقال أيضًا فِى

---

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

نَفْيِ الحد عن الله سبحانك أنت الله الذِى لست بمحدود وذلك أن المحدود يحتاج إلى مَنْ حَدَّهُ فالله تبارك وتعالى ليس له مساحة ليس بقدر العرش ولا أوسعَ منه ولا أصغر من العرش. من اعتقد أن الله بقدر العرش فهو جاهل بالله ومن اعتقد أنه أوسع منه مِساحة فهو جاهل بالله ومن اعتقد أنه أصغر من العرش فهو أشد جهلًا وبعدًا عن معرفة الله.

ثم الإمام أبو جعفر الطحاوىُّ الذِى عاش فِى القرن الثالث الهجرى عشراتٍ من السنين نحوَ سبعين سنة ثم أدرك من القرن الذِى يليه القرن الرابع الهجرى نحو عشرين سنة ونيّفًا هذا ألف كتابًا سمَّاه بيان عقيدة أهل السنة والجماعة التى كان عليها أبو حنيفة الذِى توفى سنة مائة وخمسين وصاحباه اللذان توفيا بعده بعشرات من السنين فِى القرن الثانى الهجرىّ أبو يوسف يعقوبُ ابن إبراهيم ومحمد بن الحسن وهم من الأئمة أهل الاجتهاد ومَنْ سواهم، ذكر أنَّ أهل السنة هؤلاءِ الثلاثةَ منَ الأئمة وغيرهم على عقيدة أن الله ليس بمحدود ولا متحيزًا فِى الجهات لا فِى الجهة العليا ولا فِى الجهة التحتيَّةِ ولا فِى جهة اليمين ولا فِى جهة اليسار ولا فِى جهة الخلف ولا فِى جهة الأمام قال تعالى أى الله عن الحدود اهـ الله تعالى منزهٌ عن الحدود أى ليس بمحدود. العرش محدود ولو كنا لا نعرف حدَّه لكن هو فِى حدّ ذاته محدود له حدٌّ يعلمه الله، الله تبارك وتعالى ليس بمحدود لا يجوز أن نقول له حدٌّ يعلمه هو ولا يجوز أن يقال له حد يعلمه هو ونعلمه نحن

كلا ذلك باطل، الحق أن يُنْفَى عنه الحد وذلك لأن الذِى له حد يحتاج إلى من جعله على ذلك الحد، هذه الشمس نحن لنا دليل عقلِىٌّ غيرُ الدليل القرءانىّ أنها لا تصلح أن تكون إلها للعالم وذلك لأن لها حدًّا فلها خالق جعلها على هذا الحد والله تبارك وتعالى لو كان له حدٌّ لاحتاج إلى من جعله على ذلك الحد كما تحتاج الشمس إلى من جعلها على ذلك الحد الذِى هِىَ عليه فلقد ظهر لكم أن السَّلف كانوا ينفون عن الله الحد والجهة أى التحيز فِى جهة من الجهات الست أو فِى جميعها وعن سائر أوصاف الخلق وأن الله منزه عن ذلك. وكل هذا مما تعطيه هذه الآية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ لكن القلوب مختلفة قلوب تفهم من هذه الآية هذه المعانِىَ وقلوب لا تفهم، تقرؤها ألسنتها ولا تفهم ما تحويه من التنزيه.

هذا ما كان عليه أهل السنة ليس مذهبُ أهل السنة تشبيهَ الله بخلقه بأن يُعتقد فيه أنَّ له أعضاءً وأن يُعتقد فيه أنه متحيز على العرش مع أنه منفِىٌّ عنه ما كان من صفات الخلق من غير ذلك كالنزول من علو إلى سفل ثم الرجوع إلى هناك. بعضُ الجاهلين بالحقائق يظنون أن قول الله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[(١)] يظنون أن هذه الآية معناها أن الله نزل من العرش الذِى هو مستقرُّهُ إلى أسفل إلى تحتٍ فهيَّأَ السمواتِ والأرضَ ثم

(١) سورة الأعراف/الآية (٥٤).

صعد بعد ذلك هذا جهل قبيحٌ بالقرءان، إنما معنى الآية أنَّ الله تبارك وتعالى خلق السموات والأرض فِى ستة أيام وكان مستويًا على العرش أى قاهرًا للعرش قبل وجود السمٰوات والأرض. على زعمهم كلمة ثم لا تأتى إلا بعد تأخر حصول شىءٍ عن شىءٍ وهذا جهل باللغة، ثم تأتِى بمعنى الواو كلمة ثم تأتِى مرادفة للواو كما تأتِى للدلالة على أن ما بعدها وجودُهُ متأخرٌ عن وجود ما قبلها فكما تأتِى لهذا المعنى معنى التأخر تأتِى لمعنَى الجمع بين الشيئين بمعنى الإخبار باجتماع شيئين فِى الوجود من غير دلالة على تأخر ما بعدها عمَّا قبلها، هذا أثبته علماء اللغة منهم الفراء قال ثم تأتِى بمعنى الواو، وعلى ذلك شاهدٌ من القرءان وشاهدٌ من شعر العرب قال أحدهم[(١)]

إنَّ مَـــن ســـادَ ثـــم ســـادَ أبـــوه
ثـــم قـــد ســـادَ قـــبـــلَ ذلـــك جـــدُّهْ

هل يصح أن تفسر ثم هنا أنها تدل على تأخر ما بعدها عما قبلها فِى الوجود؟ لا تدل، كذلك فِى هذه الآية ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ لا تدل ﴿ثُمَّ﴾ على أن الله تعالى خلق السموات والأرض ثم بعد أن وجدت السموات والأرض صعد إلى العرش وجلس عليه كما يزعم المشبهة الذين حرموا من فهم الدلائل العقلية. العقل له اعتبار فِى الشرع لذلك أمر الله بالتفكر فِى أكثر من ءايَةٍ والتفكُّرُ هو النظر

(١) القائل هو أبو نواس وهو من الشعراء المتأخرين لكن علماء اللغة والتفسير أطبقوا على الاستشهاد بقوله هذا وفى إجماعهم حجة.

العقلِىُّ هؤلاء حُرموا من ذلك من معرفة الدلائل العقلية التى يعرف بها ما يصح وما لا يصح.

مثال لذلك يبين سخافة هؤلاء الذين يعتقدون فِى الله التحيز فِى المكان والحد والمساحة هو أنهم يفسرون حديث ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فِى النصف الأخير وفى لفظ فِى الثلث الأخير فيقول هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وهل من سائل فأعطيه حتى ينفجر الفجر وهو حديث صحيح إسنادًا، ظاهرُ هذا الحديث على زعم هؤلاء الذين تمسكوا بظاهر هذا الحديث أن الله يبقَى فِى الثلث الأخير من الليل إلى الفجر وهو يقول هذا الكلام، فَهْمُهُمْ هذا دليلٌ على سخافة عقولهم وذلك لأن الليل يختلف باختلاف البلاد فالليل فِى أرض نهارٌ فِى أرض أخرى، ونصف الليل فِى أرض أولُ النهار فِى أرض، إلى غير ذلك من الاختلافات فعلى قولهم يلزم أن يكون الله تبارك وتعالى فِى السماء الدنيا طالعًا منها إلى العرش كل لحظة من لحظات الليل والنهار، هذه سخافة عقل.

أما تفسير أهل السنة الذين ينزهون الله عن المكان والجهة والحد عندهم هذا النزول ليس نزولًا حسيًّا بل عبارةٌ عن نزول ملائكة الرحمة إلى السماء الدنيا بالنسبة لكلّ أرضٍ على حسب ليلِ تلك الأرض هؤلاء ملائكة الرحمة ينزلون فيبلّغون عن الله يقولون إن ربكم يقول هل من داع فيُستجابَ له أو هل من داع فأستجيبَ له هل من مستغفر فأغفرَ له هل من سائل فأعطيَه هم

يبلغون عن الله بأمره هذا معنى ينزل ربنا كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا فيقول كذا وكذا حتى ينفجر الفجر، على هذا المعنى يصح، شىء معقول يقبله العقل أما على ما يفهمه أولئك من أن الله بذاته ينزل من عُلْو إلى سُفْلٍ هذه سخافة عقل لا يقبلها عقل ولا شرع أما نزول الملائكة بأمر الله ليبلغوا عنه فينادوا بما أمرهم به هذا شىءٌ يوافق العقل والشرع.

أهل السنة الله تعالى هداهُمْ للمعانِى التِى توافق الشرع والعقل أما أولئك محرومون من هذا يعيشون فِى السخافة، يعيشون وهم يُرَدِّدُون سُخْفَ القول، حتى إن بعضهم من شدة السخافة قال الحديث الذِى ورد أن جهنم يوم القيامة يقال لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد فيضع الجبار قدمَهُ فيها وفى رواية رجلَهُ فيها فينزوى بعضها إلى بعض فتقول قط قط هذا الحديث أيضًا هؤلاء يفسرونه بسُخْفٍ من القول على زعمهم الله تعالى له أعضاء فيضع رجله بمعنى العضو فِى جهنم فتهدأ جهنم قال بعضهم وهو من أهل العصر دكتورٌ قال هو لما يضع قدمه فيها لا تحترق رجلُهُ كما أن ملائكة العذاب لا تحترق أرجلُهم ساوَى الله تعالى بخلقه جعل له عضوًا هو الرِّجْلُ يضعها فِى جهنم فيملأ جهنم تكتفِى فتقول اكتفيتُ اكتفيتُ أما المعنى الصحيح الذِى هو معنى الحديث الذِى أراده الرسولُ بالقدم هو جماعةٌ من الكفار من أهل النار ءَاخِرُ فوج يضعُهم فِى جهنم فيملأ جهنَّمَ بهم، يُقال فِى لغة العرب القدم لما يقدم إلى الشىء، كذلك يقال فِى اللغة رِجْلٌ من جراد يعنِى

فوجٌ من جراد، رواية رجلَهُ ورواية قدمَهُ كلتاهما لها معنى صحيح لا يخالف العقل ولا الشرع، أمَّا على قولهم فقد كذبوا القرءان وخالفوا قضيَّة العقل أما القرءان فالله تبارك وتعالى قال فِى سورة الأنبياء ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أى الأوثانُ ﴿ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾[1] يوم القيامة الأوثان تُرْمَى فِى جَهَنَّم إهانةً للكفار الذين كانوا يعبدونها، الأوثانُ ترد جهنم يوم القيامة الله تعالى يقول هذه الأوثان لو كانت ءالهةً تستحق أن تعبد ما دخلت جهنم اللهُ الذِى أخبر بهذا لا يصح فِى العقل أن يضع جزءًا منه فِى جهنم أىْ أن يَرِدَ جهنم أن يدخل جهنم ساوَوْهُ بالأوثان التِى تُرْمَى فِى جهنم يوم القيامة، هؤلاء سخفاء لا يغرنَّكم أن قالوا نحن على مذهب السلف قولوا لهم كذبتم لستم على مذهب السلف إنما تُمَوّهُونَ على الناس فتستميلون ضعفاء العقول.

الحاصل اعلموا أن هؤلاء ليسوا على مذهب السلف فِى العقيدة، فِى ما يتعلق بصفات الله ليسوا على عقيدة السلف، كذلك فِى كثيرٍ من الأعمال، فِى تحريمهم التوسلَ بالأنبياء والأولياء هذا ليس من عقيدة السلف إنما ابنُ تيمية افتراه، ابنُ تيمية رجل ظهر فِى أواخر القرن السابع الهجرىّ فشقَّ العصا أىْ شذَّ عن المسلمين بتحريمه التوسل بالأنبياء والأولياء وقولِهِ لا يجوز التوسل إلا بالحىّ الحاضر، وهذا ليس مما يوافقه عليه أحدٌ من أئمة السلف إنما هو رَأَى هذا

---

(١) سورة الأنبياء/الآية (٩٩).

الرَّأْىَ الفاسدَ فسبَّبَ بذلك تكفير المسلمين بغير سبب شرعىّ. عندهم الذِى يقول يا رسول الله مشركٌ كافرٌ والذِى يقول يا علىُّ مشرك كافر إلى غير ذلك ما سبق ابنَ تيمية وابنَ عبد الوهاب بهذه الآراء أحدٌ من أئمة المسلمين، الصحابة توسلوا بالرسول والتابعون توسلوا وأتباع التابعين وهلمَّ جرًّا إلى يومنا هذا حتى إنه من علماء الحديث منهم من قال وهو الحافظ ابن الجزرىّ وهو شيخ القرَّاء وكان من حفَّاظ الحديث قال فِى كتاب له يُسَمَّى الحِصْنَ الحصين وفى مختصره أيضًا قال من مواضع إجابة الدعاء قبور الصالحين هذا الحافظ جاء بعد ابن تيمية بنحو مِائَةِ سنةٍ ما أنكر عليه العلماء إلَّا أن يكون بعضٌ من الشاذين الذين لحقوا بابن تيمية، والسلف كانوا يتبركون بزيارة قبور الصالحين حتى إنَّ الإمام الشافعىّ رَضِىَ الله عنه لما كان ببغداد كان يقصد قبر الإمام أبى حنيفة لأنَّ أبا حنيفة مات سنة وُلد الشافعىّ كان يقصد قبر أبى حنيفة فيدعو الله هناك رجاء الإجابة أىْ رجاء أن يجيب الله دعوته ببركة هذا العبد الصالح أبِى حنيفة وما كان أحدٌ استنكر هذا من أهل العلم فِى ذلك الزمن، ما استنكر أحد على الشافعىّ ولا ببنت شفة فِى وجهه ولا فِى خلفه.

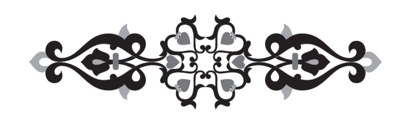
هو ابن تيمية شوَّشَ على المسلمين فِى الوقت الذِى ظهر فيه فِى دمشق، ثم العلماء والحكام ما سكتوا له حبس عدة مرات فِى الشام، حُبس ثم استُدْعِىَ إلى القاهرة بأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون فجمع

الملك محمد بن قلاوون رؤساءَ قضاةِ المذاهب الأربعة رئيسَ قضاة الحنابلة ورئيسَ قضاة الشافعية ورئيسَ قضاة الحنفية ورئيسَ قضاة المالكية فنظروا فِى أمر ابن تيمية قالوا هذا الرجل يجب رَدْعُه وزجرُ الناس عنه وعن اتِّبَاعِه فعمل الملك مرسومًا بالتحذير منه وتهديدهم بأنَّ من لم يرجع عن سيرة ابن تيمية ليس له حظ فِى الدولة الإسلامية لا للخطابة ولا للإمامة ولا للقضاء ولا لأىّ وظيفة من وظائف الدولة الإسلامية ومن جملة أولئك القضاةِ الأربعة بدرُ الدين بن جماعة هذا من جملة من حكمَ على ابن تيمية بالحبس الطويل ثم مات بدرُ الدين قبل وفاة ابن تيمية بسنةٍ، ابن تيمية ظل فِى السجن سنتين فمات فِى السجن.

اليوم يسمونه شيخَ الإسلام كأنه هو سلطانُ علماءِ الإسلام، فِى الماضى كان يسميه مَنْ كان على عقيدته من المجسمة من الحنابلة الذين يعتقدون أن الله جسمٌ تصوَّروه فِى أنفسهم ليس له وجودٌ، تصوروا جسمًا قاعدًا على العرش بقدر العرش ملأ العرش هذا تصور منهم ما جاء به كتاب ولا سنة هؤلاء الذين من شدة ما أحبوه لأنه كان قويا فِى الكلام والجدال ولأنه ينصر عقيدتهم سمَّوْهُ شيخ الإسلام فكُونُوا منه على حذر وحذّروا منه ومن أتباعه وهم اليوم أتباع محمد بن عبد الوهاب لأن محمد بن عبد الوهاب أخذ عقيدة ابن تيمية مع أنه ظهر بعده بنحو ثلاثِمِائَةِ سنة، من كتب ابن تيمية أخذ عقيدته وأضاف إليها زياداتٍ من عنده كتكفير من يعلق الحجابَ على عنقه، هذه ابن تيمية ما قالها،

ابنُ تيمية لم يقل أن الذِى يعلق الحجاب على عنقه كافرٌ إنما هذه من زيادات ابن عبد الوهاب، عندهم إذا رأوا على إنسان حرزًا يقولون هذا شركٌ وإن استطاعوا أن يقطعوها من عنقه بأيديهم فعلوا ذلك إلى غير ذلك من مساوئهم فِى تكفير المسلم بغير أدنى سبب شرعىّ، لمجرد قول يا محمد يا رسول الله يا علىّ يكفرون الناس، وفيما علَّمه الرسول ﷺ للأعمى الذِى جاء إليه ليدعوَ له حتى يرد الله عليه بصره أن يقول يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربّى فِى حاجتى لتقضى لِى ذهب الأعمى إلى مكان الوضوء كما أمره الرسول فتوضأ وصلى ركعتين وقال هذا التوسل ليس فِى وجه الرسول قال يا محمد لا بل فِى المكان الذِى ذهب إليه ثم عاد وقد أبصر فُتِحَ نَظَرُهُ عاد إلى مجلس الرسول، الرسول ما فارق ذلك المجلس وقد فُتِحَ نَظَرُهُ عاد، هذا دليل على أن تكفيرهم للناس لقولهم يا محمد يا رسول الله أو يا علىّ ضلالٌ.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.



**الدرس الثالث والثلاثون**



## بيان فساد دعوة سيد قطب وأتباعه



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى برلين وهو فِى بيان فساد دعوة سيد قطب وأتباعه قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد النبى وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وبعد

هذه الصفحة من كتاب المستدرك للحاكم مع تلخيص كتاب التفسير قال أخبرنا أحمد بن سليمان الموصلى حدثنا علىُّ بن حرب حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن جبير عن طاووس قال قال ابن عباس رَضِىَ الله عنهما إنه ليس بالكفر الذِى يذهبون إليه إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[١] كفرٌ دون كفر[٢] هذا حديثٌ

(١) سورة المائدة/ الآية (٤٤).

(٢) وقال الذهبىّ فِى التلخيص صحيح.

صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ المعنى أن سيدنا عبد الله بن عباس فسر هذه الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال عبد الله بن عباس رَضِىَ الله عنهما معنى الآية أن الذِى يحكم بغير شرع الله لا يكون كافرًا الكفرَ الأكبر الذِى يخرج من الإسلام الذى ينقل عن ملة الإسلام إنما هو أمرٌ دون ذلك أىْ معصيةٌ كبيرة، هذا هو التفسير الذِى قاله سيدنا عبد الله بن عباس ترجمان القرءان الذِى لقَّبَه بعض أصحاب رسول الله المشاهير بهذا اللقب ترجمان القرءان ذلك لأن الرسول ﷺ دعا له بفهم القرءان، وهذا الحديث أى حديث دعاء الرسول لابن عباس أخرجه البخارى وغيره. سيدنا عبد الله بن عباس لم يفهم من هذه الآية أنها تحكم على أى مسلم حَكَمَ بغير الشرع بأنه كافر؛ وهناك تفسير لهذه الآية لسيدنا البراء بن عازب صاحب رسول الله ﷺ بأن هذه الآية تعنِى الكفارَ لا تعنِى المسلم الذِى يحكم بغير الشرع، هذا ثابتٌ عن البراء بن عازب صحيحٌ عنه، وهذا الذِى قُرئ الآن صحيحٌ عن عبد الله بن عباس وما خالف هذين التفسيرين فهو تحريف لكتاب الله. الخوارج كلهم ورد فِى ذمّهم حديثُ رسول الله ﷺ رواه البخاريُّ وغيره بالأسانيد الصحيحة من حديث أبى هريرة ومن حديث سيدنا علىٍّ رَضِىَ الله عنه ومن حديث أبى سعيد الخدرىِّ وغيرهم، من جملة هؤلاء الخوارج البيهسيةُ هم طائفة منهم، هم عشرون فرقة الخوارج وحدها هذه الفئة الضالة افترقت إلى عشرين

فرقة البيهسية فرقة منها ولها فرع هذه البيهسية أيضًا لها فرع. الخوارج الرسول قال فِى أمرهم **سيخرج فِى ءاخر الزمان قومٌ أحداث الأسنانِ سُفهاءُ الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرءان لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السَّهمُ منَ الرَّمِيَّةِ فإذا لقيتُمُوهُم فاقتُلوهُم فإنّ فِى قَتلِهِم أجرًا لِمَن قَتَلَهُم عند الله يومَ القيامَةِ**[١] اهـ وفى لفظ **يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرَّمِيَّة هم شر الخلق والخليقة** اهـ الحديثَ. سيدنا عليٌّ فِى وقته لما دعا جماعة معاوية إلى التحاكم إلى القرءان من أجل أنهم خافوا أن يحطمهم جيش سيدنا علىّ وقالوا لا بد أن نُغلَب عمل لمعاويةَ عمرُو بن العاص حيلةً رفعوا المصحف على رؤوس الرماح قالوا نحاكمكم إلى هذا الكتاب وقصدهم أن يشغلوا سيدنا عليًّا عن قتالهم لأنهم تخوفوا أن يكسرهم، سيدنا علىّ يعلم أنه على الحق أمره واضح هو لا يرتاب أنه على الحق وأن معاوية على الباطل ما عنده أدنى شك لكن خاف أنه إن لم يوافقهم إلى التحاكم إلى القرءان أن يقول بعض سفهاء الأحلام عنه إنه ما رَضِىَ بالمحاكمة إلى القرءان، من أجل هذا على مضض وافق، عندئذ هذه الفئة التى كانت معه الخوارج شذُّوا عنه بل كفَّروه وكفَّروا من معه على زعمهم هذه الآية ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[٢] هذه

(١) رواه مسلم فِى صحيحه، باب التحريض على قتل الخوارج.
(٢) سورة يوسف/ الآية (٤٠).

الآية القرءانية خرج عنها سيدنا عليٌّ وهو لم يخرج عنها لكنهم من فساد قلوبهم قالوا هذا حيث إنه وافق على تحكيم المخلوق فهو عندهم خالف قول الله تعالى ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ومعنى الآية ليس كما ظنت الخوارج، فحاربهم سيدنا عليٌّ بعد أن دعاهم إلى التوبة فأَبَوْا، بعض منهم بعد أن ناظرهم سيدنا عبد الله ابن عباس رجعوا نحو ثلثهم رجعوا تابوا، والبقية أبَوا وأصرُّوا فقاتلهم سيدنا عليٌّ فكسرهم وأبادهم لكن البقية التِى بقيت هِىَ فرّعت فروعًا توالدوا، إلى اليوم لهم وجود لكن الفِرَق التِى هِىَ أشدُّ فسادًا انقرضت لا وجود لها اليوم إلا هذه الفرقة التِى وافقها سيّد قطب التِى تقول الحاكم ملك البلاد إذا حكم بغير الشرع خرج من الإسلام، كافرٌ، والرعايا الذين تحته كفروا لأنهم سكتوا له عايشوه. سيد قطب فعل مثل تلك الطائفة التِى هِىَ فرقة من الخوارج يقال لها البيهسية، يقول سيد قطب من حكم بغير الشرع ولو فِى مسألة واحدة رفض الإيمان ورفض ألوهية الله وادعى الألوهية لنفسه. فاعلموا أن سيد قطب ما له سلف وليس له مستند فِى دين الله تعالى إلا أنه وافق هذه الفئة الخبيثة هذه الفئة التِى هِىَ البيهسية إحدى فِرَق الخوارج العشرين.

للشيعة عشرون فرقة، والخوارج عشرون والقدرية عشرون صاروا ستين ثم هناك اثنتا عشرة فرقة يقال لهم الضرارية والنجّارية والمرجئة يكمل العدد بهم إلى اثنتين وسبعين فرقة الذين قال الرسول فيهم

**اثنتان وسبعون فِى النار وواحدة فِى الجنة وهِىَ الجماعة**[١] اهـ يعنى أهل السنة وهم الأكثر هم الجمهور، اللهم أحينا على السُّنَّةِ وأمِتْنَا عليها.

قال سيد قطب فِى كتابه المسمى فِى ظلال القرءان بهذا المقياس الأساسِيِّ يتضح أن وجه الأرض اليوم تغمره الجاهلية وأن حياة البشرية اليوم تحكمها الجاهلية وأن الإسلام اليوم متوقف عن الوجود مجرد الوجود اهـ

معناه انمحى من الأرض الإسلام انمحى، قال مجرد الوجود، لا يعنِى أن كمال الاسلام انمحى انقطع وبَقِىَ أصله لا بل أصل الإسلام يقول انقطع، هذا الكلام مخالف لكلام الصحابة ومن تبعهم إلى يومنا هذا، وليس له سلف إلا الخوارج، ومن الخوارج أيضًا هذه الفئة من أخبث فئات الخوارج البيهسية التى تكفّر الرعايا لأجل أنهم سكتوا على رئيسهم الذِى يحكم بغير الشرع، وسيد قطب يقول لقد استدار الزمن كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إلٰه إلا الله فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جَور الأديان ونكصت عن لا إلٰه إلا الله اهـ

اسمعوا يقول تُرِكَتْ لا إلٰه إلا الله، البشر قال تركوا لا إلٰه إلا الله، معناه خرجوا من دين الإسلام.

---

(١) رواه البيهقىُّ فِى دلائل النبوة باب جماع أبواب أسئلة اليهود وغيرهم واستبرائهم عن أحوال النبى وإسلام من هُدِى إلى الإسلام منهم.

قال سيد قطب وإن ظل فريق منها يردد على المآذن لا إلٰه إلا الله اهـ

يقول لو كان المؤذنون يرددون كلمة لا إلٰه إلا الله لكن خرجوا عن لا إلٰه إلا الله.

قال سيد قطب دون أن يدرك مدلولها ودون أن يَعِيَ هذا المدلول وهو يرددها ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التى يدعيها العباد لأنفسهم وهِىَ مرادف الألوهية اهـ

عنده لا إلٰه إلا الله تفسيرها لا حاكمية إلا لله.

قال سيد قطب إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إلٰه إلا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية ولم تَعُدْ توحد الله وتخلص له الولاء اهـ

يعنى يقول يعبدون رؤساءَهم تركوا لا إلٰه إلا الله عبادة الله فصاروا يعبدون رؤساءَهم، على قوله كل ناحية من بلاد الإسلام تركت لا إلٰه إلا الله فصارت تعبد زعيمها رئيسَها حتى الحجاز على قوله لا يعبدون الله تركوا لا إلٰه إلا الله وصاروا يعبدون رئيس تلك البلاد هذا معنى كلام سيد قطب، هذه عقيدته، هذا الذِى يقول عنه بعض الناس الشهيد مع أنهم لو كانوا يعرفون علم الحديث وكان لهم اطلاع على سيرة السلف ما استجازوا أن يقولوا له الشهيد لأن سيدنا عمر بن الخطاب فيما روى البُخَارِىّ رحمه الله عنه بالإسناد قال اتركوا هذه الكلمة قولكم فلان شهيد أو قُتِلَ فلان شهيدًا وقولوا قُتِل فِى سبيل الله، قال لا

تقولوا فلان شهيد أى من أهل زمانه غيرِ الذين شهد لهم الرسول بالشهادة لا تقولوا فلان شهيد. هكذا فِى البخارى عن عمر ونَهَى أيضًا عن أن يقال قُتل فلان شهيدًا مع أن جيشه ذلك الجيش المبارك جيش عمر جيش إسلاميٌّ مبارك مع ذلك للذى يموت فِى جيشه فِى الجهاد كان يمنع أن يُقال فلان شهيد أو فلان قُتل شهيدًا. أما هؤلاء أتباع سيد قطب يقولون الشهيد جعلوا له لقبًا الشهيد جعلوه لقبًا له، سيدنا عمر لِمَ نهى عن أن يُقال فلان شهيد لمن يموت فِى غزواته أو أن يقال قُتل فلان شهيدًا؟ لأن الشهادة تتوقف على أمرين صحة العقيدة أى كون الشخص يؤمن بالله ورسوله وأن الله تعالى هو أمر المؤمنين بالجهاد فِى سبيله، والأمر الثانى الإخلاص لله أى أن يكون نية المقاتل امتثال أمر الله أى أن الله تعالى أمر بالجهاد عباده فأنا أجاهد امتثالًا لأمر الله ولا يخلط به نيةَ أن يمدحه الناس أو أن يشيع ذكره بين الناس فلان قتل شهيدًا فلان استشهد لأن الذِى عقيدته فاسدة لو قتل فِى المعركة مع المسلمين ليس له عند الله شهادة، والذِى عقيدته سليمة يعرف الله ورسوله كما يجب لكن أقدَمَ على القتال قتال الكفار وفى نيته أن يمدحه الناس أو خلط بين النيتين نية طلب الأجر أجر الجهاد أجر القتل فِى سبيل الله ونية مدح الناس له لو جمع بين هاتين النيتين فهو عند الله ليس له شهادة لأن الله لا يقبل من عبده عملًا يعمله من أمور الدين إلا أن يكون عَمَلُ هذا العبد خالصًا لله تعالى. الرسول ﷺ قال **إن الله لا يقبل**

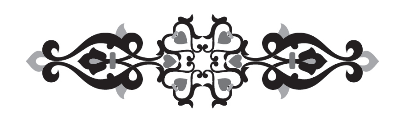
**من العمل إلا ما خَلَصَ له**[١] اهـ أىْ ليس فيه طلب محمدة الناس وأن ينظروا إليه بعين الاجلال والاكرام. الشهادة عند الله لا تثبت لا تكون الشهادة شهادة على الحقيقة إلا بهذين الشرطين صحة العقيدة والإخلاص لله فإن لم تصح العقيدة عقيدة الشخص الذِى قاتل فلا شهادة له عند الله وإن كان فيما يرى الناسُ هذا الذِى قُتل فِى المعركة مع المسلمين فِى معركة الكفار مع المسلمين يُجرى عليه أحكام الشهادة لا يغسل ولا يصلى عليه هذا على حسب ما يَرَى الناس أما عند الله ليس له شهادة إذا لم تصح عقيدته ولا تصح له الشهادة أيضًا إذا كان فِى نيته أن يمدحه الناس ولو مع طلب الأجر لو نوى طلبَ الأجر من الله بهذا الجهاد وضمَّ إلى ذلك أن يمدحه الناس هذا عند الله ليس له شهادة ليس له ذرة من ثوابِ هذا القتلِ ليس له شىء لهذا نهى سيدنا عمر عن أن يقول الناس فِى زمانه لمن يُقتل فِى الغزوات فلان شهيد أو أن يُقال فلان قتل شهيدًا أما هؤلاء جماعة سيد قطب يلقبونه بالشهيد من أين لهم هذا التلقيب! هو أحسن من جيش عمر؟ هو أحسن من الذين كانوا يموتون فِى تلك الغزوات؟ هم هؤلاء الذِى ضرهم أنهم لا يتفقهون فِى دين الله همهم أن يطالعوا مؤلفات سيد قطب ومؤلفات حزبهم وبهذا يتصدرون للناس باسم الدعاة المرشدين إلى دين الله. الذِى

---

(١) رواه الطبرانىّ فِى المعجم الكبير والأوسط.

يصلح أن يكون مرشدًا داعيًا موجهًا توجيهًا إسلاميًا على الحقيقة ينبغى أن يكون فقيهًا والفقيهُ كيف يكون فقيها بالتلقِّى من أفواه أهل المعرفة، حتى القرءانُ الذِى لا يتلقاه من أهل المعرفة لا يُقال له قارئ يُسمى مصحفيًّا، والذِى يطالع فِى كتب العلم من غير أن يدرس على أهل المعرفة الذين درسوا على من قبلهم يقال له صَحَفىّ لا يُقال له فقيه لا يقال له عالم يقال له صَحَفى مثل سيد قطب اهـ

انتهى والله تعالى أعلم.



**الدرس الرابع والثلاثون**



# بيان خطر التخوض فى المال بغير حق



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيان خطر التخوض فى المال بغير حق قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين وصلاة الله البر الرحيم وسلامه على سيد المرسلين محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد كان من الصحابيات صحابيّة تسمى خولة بنت ثامر سمعت من النبى ﷺ بعض أحاديث وكانت خولة هذه من جملة ما سمعته من رسول الله ﷺ هذا الحديث **إن رجالًا يتخوضون فِى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**(١) اهـ وفى رواية لهذا الحديث أى حديث خولة رضى الله عنها زيادةٌ فِى أوله وهِىَ **إن الدنيا حلوة خضرة وإن رجالا يتخوضون فِى مال الله ورسوله فلهم النار يوم القيامة**(٢) اهـ معنى

(١) رواه البخاريُّ فِ صحيحه باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾.
(٢) رواه أحمد فِى مسنده.

الحديث أن الدنيا غرارة حلوة خضرة أى أنها تشبه الخضرة التى تشتهيها النفس وتميل إليها، الدنيا كمثل هذه الخضرة التى تميل إليها النفوس أىْ أنها غرارة.

ثم قال **إن رجالًا يتخوَّضون فِى مال الله بغير حقّ فلهم النار يوم القيامة.** إنّ أناسًا يتخوضون فِى مال الله معنى مال الله الزكاة والوقف ومال بيت المال وغير ذلك من الأموال كل المال مال الله الذِى يأخذ المال بغير حقٍّ ويتصرف كما يشاء ويسترسل فِى ذلك فلهم النار يوم القيامة لهم عذاب جهنم يوم القيامة. هذا الحديث يحرم علينا أن نأخذ أىَّ مال من الأموال بغير حقّهِ الشرعىّ الذِى أحله الله به.

وكذلك جاء بالحديث الآخر **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن جسمه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه**[١] اهـ

هذا المال ليس يذهب فِى الدنيا بالتصرف الذِى يحصل فيها ثم لا يعود السؤال عنه فِى الآخرة، لا، المال الذِى يدخل فِى يد الإنسان يُسأل عنه هذا الإنسان يوم القيامة من أين اكتسبه أى من أين جاءك هذا المال أمن حلال أم من حرام وفيمَ أنفقه فِى أىّ شىءٍ صرف هذا المال فإن أخذه من حلال وصرفه فِى حلال فليس عليه وزره يوم القيامة بل إن صرف فِى وجوه البر فِى جوه العمل الصالح فإنه يسر بجزائه يوم

(١) رواه الترمذىّ فِى سننه باب فى القيامة.

القيامة أما إن كان جلبه بالحلال ثم صرفه فِى الحرام يكون عليه وَبالًا يكون عليه نِقمةً وإن أخذه من حرام وصرفه فِى حلال فذنبه أشدُّ فكيف إذا أخذه من حرام وصرفه فِى حرام كهؤلاء الذين يأخذون مال الوقف بغير استحقاق فلهم الويل أى شدة العذاب، وكالذِى يجمع أموال الناس باسم الزكاة ثم يصرفه فِى غير محله يتصرف به لنفسه بغير استحقاقٍ ولمَحاسيبه بغير استحقاقٍ فله الويل.

وكذلك مال اليتيم إذا صرف هذا المال بغير مصلحة اليتيم فله الويل إلا أنَّ الأم إن كانت فقيرة ليس عندها ما يكفيها وكان لها يتيم له مال ورثه من أبيه لها أن تأخذ منه بدون إسراف أما أن تأخذ منه وتطعم الناس والزائرين والواردين، ذلك حرام إذا أطعمت من مال ابنها اليتيم، أما لحاجاتها الشخصية فتأخذ منه قدر حاجاتها أما أعمام اليتيم فليس لهم أن يأخذوا من مال اليتيم لأنفسهم وإن كان هذا العم فقيرًا لكنه إن كان مشغولًا بخدمة ومراعاة مال اليتيم واليتيمة القاصر فإن له أن يأخذ بقدر حاجته بدون إسراف بأن يأخذ كل شهر ما يكفيه لحاجاته الأصلية ليس للأمور الزوائد بل لحاجاته الأصلية إن كان يشتغل بمال اليتيم، أما إذا كان لا يشتغل فحرام، عليه أن يشتغل يكد بعرق جبينه ويأكل أو يشحذ، لكنه إن كان مشغولًا يصرف وقته ويبذل وقته فِى إصلاح مال اليتيم وتنميته لينمى له ويصلحُ لليتيم ماله فانشغل بذلك له أن يأخذ قدر ما يكفيه لحاجاته بحسب أتعابه فيُعَدّ كأجير لا يعد كشريك فإن اعتبر نفسه كشريك

وأخذ بالمناصفة فهو ملعون.

فإن استأجره القاضى ليشتغل بأموال الأيتام القاضى يحدّد له الأجرة المناسبة لعمله بأموالهم فهذا جائز.

وكذلك مالية الدولة لا يجوز للحاكم أن يتصرف فيها تصرفًا فيه إسراف كما يفعل ملوك العصر الذين يدعون الإسلام اليوم الواحد منهم يصرف لنفسه ولأفراد عائلته عشرات الآلاف كل شهر من يوم وُلِدَ، هؤلاء السعودية من يومِ يولد الطفل من الأسرة يجرى له أربعون ألفًا كل شهر، الطفل الذِى ولد الآن لأنه من الأسرة أربعون ألفًا ثم بعدما يكبر يزيد. هذا حرام فِى دين الله.

الحاكم نفسه ليس له أن يأخذ ما يكفى ألف نفس ما يكفى عشرة آلاف نفس لمفرده من خزانة الدولة. الحاكم الرئيس نفسه لا يجوز له فِى شرع الله أن يأكل ما يكفى لألف نفس أو عشرة ءالاف أنفس كما يفعل هؤلاء. عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه كان فِى زمانه بيت مال المسلمين غنيًا ومع ذلك كان عمر يعتبر نفسه كقيم اليتيم قال أنا أعتبر نفسى من هذا المال كقيم اليتيم قال أنا أعتبر نفسى من هذا المال كقيم اليتيم إن احتجت أكلت منه وإلا تركته. وكذلك سيدنا علىٌّ رضى الله عنه لما ماتَ ابنُهُ الحسنُ صعِدَ المنبر فأثنى على أبيه ذكر مزاياه وقال إنه لم يترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعَمِائة درهم كان أعدَّها لحاجة له وكان أمير المؤمنين كان بيده بيت مال المسلمين مع ذلك لما مات ما وجد عنده لا ذهب ولا فضة غير السبعمائة

درهم ما ترك شيئًا من النقود. هكذا كان خلفاءُ المسلمين رؤساء المسلمين ما كانوا مثل هؤلاء الذين ضيعوا الأمة. هذا الفقر الذِى اشتد بالمسلمين سببه استئثار هؤلاء ببيت المال، من سوء تصرف هؤلاء صارت أولاد المسلمين تدخل فِى الشيوعية من الفقر ليغيظوا الأغنياء يظنون أنهم إن صاروا شيوعيين يصيرون سواسية مع الناس، طمعًا فِى هذا يصيرون شيوعيين فيكفرون يخسرون دينهم يخسرون الإسلام فيصيرون كافرين، لكن ما هو الذِى ساقهم إلى الدخول فِى الشيوعية، هو سوء تصرف الأغنياء والرؤساء، ما يرون من سوء تصرف الأغنياء والرؤساء. الواحد من الرؤساء يصرف لنفسه ولعائلته ولحاشيته ما يكفى عشرات ءالاف نفس لما ينظرون إلى هذا وينظرون إلى الغنىّ الذِى عنده مليون أو عشرة ملايين ولا يلتفت إلى جاره لا يرحم جاره جاره الذِى أضرَّ به الفقر، لما ينظرون إلى أحوال هؤلاء وتصرفاتهم هؤلاء الشباب الجهال يميلون إلى الشيوعية يدخلون فِى الشيوعية لأن الشيوعية توهمهم أنهم إن دخلوا فِى الشيوعية يكونون فِى أمور المعيشة كغيرهم هكذا يظنون.

الله تعالى جعل لأهل الضرورات والفقر حقًا فِى أموال الأغنياء، الله تعالى ما أذن أن يُتَصَرَّف فِى هذا المال تصرف إسراف إنما أذن أن يُتَصَّرف فيه تصرفًا ليس فيه إسراف ليس فيه تبذير أما التصرف الذِى فيه تبذير فيكون ذلك وبالًا عليه يوم القيامة، يومَ يُسأل العبد عن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ذلك اليوم

يَرَى الويل ويأخذ جزاءه من عقوبة الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ فِى هذا الحديث الذِى سمعَتْهُ منه خولة الأنصارية **إنَّ رجالًا يتخوَّضون فِى مال الله بغير حقٍّ فلهم النار يوم القيامة.**

ثم إن الإنسان كما يُسأل أيضًا عن هذه الأشياء الأربعة يُسأل أيضًا عما يتكلم به لسانُه ليس يُسأل عن النية فقط كما يظن بعض الناس، بعض الناس يقولون العبرة بالنية بل الإنسان يُسأل عن نيته وعن كلامه الذِى يتكلم به وعن سمعه فإذا كان إنسان يستمع إلى حديث قوم وهم له كارهون يسترق السمع من حديث قوم وهم لا يحبون أن يسمع حديثَهم هذا غيرُهم فَيَسْتَرِقُ واحد فيستمع لكلامهم ولو علموا لأزعجهم ذلك إزعاجًا كبيرًا هذا أيضًا يعذبه الله تعالى يوم القيامة عذابًا أليمًا بما استمع. أناس يتحدثون فيما بينهم بحديث لا يحبون أن يسمعه غيرهم لكن ليس مما فيه ضرر وتآمر على المسلمين لا إنما حديث عادى لا يريدون أن يطلع عليه الناس غيرُهم فواحدٌ يسترق السمع فيستمع لحديثهم، هذا يستحق عذابًا يوم القيامة له عذاب أليم.

الرسول عليه الصلاة والسلام قال **من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ فِى أذنيه الآنُكُ يوم القيامة**[1] اهـ الآنك هو الرصاص المذاب بالنار جزاء وفاقا أى هذا من باب الجزاء الذِى هو وفق العمل

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب الاستماع المكروه وسوء الظن والغضب والفحش.

أليس استمع بأذنه هذه فكان جزاؤه أن يعذب بأذنه. أمور ذلك اليوم خارقة تخرق العادة غريبةٌ لا تقاس بأمور الدنيا.

كذلك الكلام الذِى يتكلم به الإنسان يُسأل عنه يوم القيامة. كذلك الحسد وهو من أعمال القلوب يسأل عنه. عمل اللسان يُسأل عنه وعمل القلب يسأل عنه وعمل الأذن يسأل عنه وعمل الرجل كذلك يسأل عنه وعمل اليد كذلك يسأل عنه الله تعالى ما أعطانا هذه الجوارح السمع والبصر واللسان واليد والرجل ما أعطانا سُدًى بل أعطانا لنشكره بهذه النعم لأن السمع نعمة والبصر نعمة واليد نعمة والرجل نعمة اللسان يرشد به الجاهل إلى ما ينفعه باللسان يعلم الشىء الذِى فيه منفعة وباللسان يزال الظلم والرِّجْل يتردد بها إلى الأماكن التى فيها مرضاة الله تعالى إلى المساجد وإلى غيرها من كل مكان يُنتفع به فِى الدين وكذلك يُمْشَى بها فِى مصالح المعيشة واليد كذلك ينتفع بها فى صالح المعيشة التى أذن الله فيها لعباده وللجهاد فِى سبيل الله وغير ذلك من الأعمال الحسنة ومنها كتابة الدروس الدينية والسمع ينتفع به بما يَنفع من أمور المعيشة وأمور الدين.

وأما الفؤاد وهو القلب فَيُنتفع به فِى التفكر فِى مخلوقات الله تعالى، الفؤاد أى القلب يُنتفع به فِى كثير من الوجوه يُنتفع به فِى التفكر بمخلوقات الله. الإنسانُ لما ينظر إلى هذه الكواكب والشمس والقمر وإلى

النباتات والجبال يزداد إيمانًا بقدرة الله تعالى لأنه يعلم إذا نظر بعقل سليم إذا فكر بعقل سليم فِى هذه المخلوقات أن هذه المخلوقات ما وُجدت من دون خالق إنما أوجدها خالقٌ، خالقٌ ليس حادثًا لا يشبه شيئًا من الأشياء فيزداد حبًا بالله تعالى وخشية منه وتعظيمًا له فيبعثه ذلك على الازدياد من عمل الخير لآخرته. لما يتفكر بقلبه فِى مخلوقات الله ينظر إلى نبات الأرض فإنه يطلع ثم يكون أخضر ثم يستوى ثم يعطى ثمره ثم بعد ذلك يصير هشيمًا يابسًا فيتحطم فيأخذ من هذا عبرةً. العاقل إذا فكر بقلبه بعقله يأخذ من هذا عبرة. يقول نحن أيضًا هكذا كهذا النبات هذا النبات كان قبل مدة أخضرَ منظرُهُ كان يسر ثم عاد يابسًا ثم صار حطامًا متفتتًا متكسرًا كذلك نحن لا ندوم على هذه الحال لا بد لنا من زوال من هذه الدنيا، لا بد لنا من زوال من هذه الدنيا، لا بد أن نرحل عنها فيتحرك لتهيئة الزاد للحياة الباقية التِى هىَ بعد هذه الحياة الفانية فإن كان قبل ذلك على غير حالة التوبة يتوب إلى الله يترك المعاصِىَ التى كان يباشرها يتركها ويُقبل على طاعة الله تعالى فيجِدّ ويجتهد فيكون اكتسب الدرجات العلا عند الله تبارك وتعالى.

التفكر بالقلب يُقَوِّى اليقينَ ويزيد الخشيةَ من الله تعالى ويزيد المحبةَ لله تعالى ويزيد الشوقَ إلى الله تعالى. أنزل الله فِى القرءان الكريم فِى التفكر ءايات منها هذه الآية الكريمة التى لها أثر عظيم فِى تحريك القلوب ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ

وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[١].

الله ما خلق هذه الأشياء التى فِى السموات والأرض ما خلقها عبثًا بل خلقها لحكمة ما خلق شيئًا عبثًا إنما أكثرُ الناس قلوبُهم مقفلةٌ لا يشعرون بالحِكَم التى فيها إنما ينظرون نظرًا بدون تفكر ينظرون بأعينهم نظرًا بدون تفكر.

لما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ وقال **ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها**[٢] اهـ

كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ينام قبل نصف الليل بعدما يصلى العشاء ثم لما يصرخ الديكُ أى نصف الليل يقوم فيتوضأ ويصلى ما كتب له ثم يُغْفِى إغفاءة ثم يقوم فيتوضأ ويُصَلّى ما كتب الله ثم يُغْفِى إغفاءة ثم يقوم فيتوضأ ويُصَلّى ما كتب الله له وكان أول ما يقوم من النوم يقرأ الآيات العشر التى هِىَ من أواخر سورة ءال عمران ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الآية.

هذه الأحجار الصخور التى فِى الجبال الله خلقها لحكمة كل شىء خلقه لحكمة وإن فِى هذه الصخور لَمَا يتشقق من خشية الله.

---

(١) سورة ءال عمران/الآية (١٩٠-١٩١).

(٢) رواه ابن حبان فِى صحيحه ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائنا عنها مجدا فِى إتيان ضدها.

كان ثلاثة أشخاص من بنى إسرائيل من المسلمين المؤمنين كانوا فِى سفر فلم يجدوا مكانًا يبيتون فيه كانوا بحاجة إلى مكانٍ يبيتون فيه فيستريحون فبعد أن دخلوا الغار انحدرت صخرة من الجبل فنزلت على فم الغار هذه الصخرة الرسول عليه الصلاة والسلام قال إنها انحدرت من مكانها من خشية الله. الله تعالى له حكمة فِى تحدرها من مكانها ونزولها على فم الغار الذِى دخله هؤلاء الثلاثة انسد عليهم باب الغار فدخل عليهم فِى أنفسهم ضيق شديد لم يكن هناك أناس ينظرون إليهم فيزيحون عن هذا الباب هذه الصخرة ففكروا كلٌّ فكر فِى نفسه قال ليذكر كل واحد منا عملًا عمله لوجه الله تعالى وليتوسل إلى الله بذلك العمل حتى يخلصنا مما نحن فيه فذكر كل واحدٍ ما عمله من عمل صالح لوجه الله تعالى ثم سأل كل واحد الله تعالى قال كل واحد منهم اللهم إن كنت عملت هذا لوجهك فافرج عنا ما نحن فيه، لما أولهم سأل ربه بعمله الذِى عمله من العمل الصالح الذِى عمله لوجه الله انزاحت شيئًا بحيث لا يستطيعون الخروج من هذه الفُرجة لا يستطيعون الخروج ثم الثانى توسل إلى الله بعمل صالح عمله أيضًا لله تعالى فانزاحت أيضًا لكن بحيث لا يخرجون ثم الثالث توسل إلى الله تعالى قال اللهم إنى عملت كذا وكذا فإن كنت عملت لوجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة انزاحت عن فم الغار فخرجوا، هذه الصخرة هى نزلت تزحزحت من شدة الخوف من الله تعالى، الله تعالى خلق فيها

شعورًا فما تحملت ما استقرت فِى مكانها من شدة ما صار فيها من اهتزاز من التأثير، فكثيرٌ من الصخور تتزحزح عن مكانها وذلك من خشية الله تعالى، الله تعالى يخلق فِى الجمادات أيضًا فِى كثير من الجمادات يخلق الخشية والخوف منه حتى إن كثيرًا من الصخور تنشق من شدة ما يصير فيها من خشية الله تعالى، تنفلق، وكذلك الإنسان المؤمن من شدة التفكر فِى خلق الله تعالى يزداد من اليقين والإيمان بحيث إنَّ قلبه يقلق خوفًا من الله تعالى.

الله تعالى خلق الفؤاد أى القلب كى يُنْتَفَع به بالتفكر فِى خلقه فِى مصنوعاته أما التفكر فِى ذات الله فلا يجوز فالله تعالى موجود ولا يشبه الموجودات فمهما تفكر الإنسان فِى الله سبحانه وتعالى لا يصل إلى نتيجة، لا يعرفُ حقيقةَ الله إلا الله، الله تعالى هو يعلم حقيقة ذاته ولا أحد يعرف حقيقة ذاته وإنما هذه المصنوعات جعلها أنواعًا وأشكالًا شتَّى حتى نتفكر فيها ونزداد إيقانًا وإيمانًا بخالقها لذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ابن عم رسول الله ﷺ قال **تفكروا فِى خلق الله ولا تفكروا فِى ذات الله**[1] اهـ لأن الله تعالى لما كان لا يشبه شيئًا لا يجوز التفكر فِى ذاته لا يجوز التفكر للبحث للوصول إلى معرفة حقيقة ذات الله تعالى، الله تعالى لا يَعلم حقيقته إلا هو هو يعلم

(١) رواه البيهقىُّ فِى الأسماء والصفات.

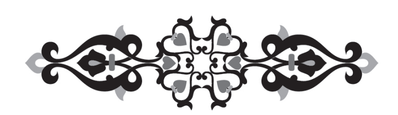
حقيقته لا يعلم أحد حقيقة ذات الله تعالى لذلك نحن أُمِرْنا فِى التفكر فِى مصنوعاته ونُهِيْنا عن التفكر فِى ذاته.

حقيقةُ أنفسنا لا نعلمها الواحد منّا هل يحيط علمًا بكل ما فيه من الحواس والصفات والأحوال لا يحيط علمًا، الإنسان لا يعرف كم عدد شعرات رأسه فكيف يحيط بأحوال نفسه، فإذا كان لا يحيط بأحوال نفسه، فكيف يحيط بخالقه الذِى لا شبيه له لذلك مُنِعْنا من التفكر فِى ذات الله وأُمِرْنا بالتفكر فِى مخلوقاته.

هذا عبد الله بن عباس ابن عم الرسول ﷺ كان له لسان سؤول وقلب عقول كان وهو صغير السن لما كان فِى نحو عشر سنين كان شديدَ الحرص على معرفة أحاديث الرسول وأحوال الرسول حتى إنه ذات يوم بات فِى بيت رسول الله، خالته اسمها ميمونة بنت الحارث هذه زوجة الرسول خالة عبد الله بن عباس بات فِى بيتها ليطَّلِعَ ماذا يفعل الرسول فِى الليل وهو صغير السن لكنه همته كبيرة فنام بالقرب من الرسول ثم لما قام الرسول بعد منتصف الليل قام فتوضأ الرسول فبدأ يصلى تهجدًا لله تعالى فوقف الغلام إلى جانبه من الجانب الأيسر الرسول وهو بالصلاة أخذ بأذنه وفتله إلى جهة يمينه لأن المأموم يقف فِى يمين الإمام ثم الرسول التزمه هكذا ضمه إليه ودعا له بأن يعلمه الله تعالى القرءان والحكمة فكان يُسَمَّى بعدما توفى الرسول ترجمان القرءان من شدة ما أعطاه الله تعالى

من الفهم فِى تفسير القرءان ثم بعدما توفِىَ الرسول وتوفِىَ أبو بكر وكانت خلافةُ عمر كان عمر يقدمه ويدخله فِى مجلس الشُّورى مع الناس الكبار السن فقال له بعض أصحاب رسول الله ﷺ لماذا تقدم عبد الله بن عباس على أولادنا فقال إنه فتى الكهول له قلب عقول ولسان سؤول اهـ أى قلبه كثير الفهم كثير الذكاء ولسان سؤول أى يسأل عما يحتاج إليه ليس كبعض الناس يسكت بل يستفيد من هذا ومن هذا ومن هذا، يسأل عما يحتاج إليه عما ينفعه من أمور الدين.

والله تعالى أعلم.



**الدرس الخامس والثلاثون**



# بيان أن النفل لا يقوم مقام الفرض



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فى بيان أن النفل لا يقوم مقام الفرض قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم.

أما بعد فإن ثواب الفرض أعظم من ثواب النفل لذلك قال العلماء من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور. الذِى يترك الفرض من أجل النفل هذا لا خير فيه، هذا الأمر لا خير فيه.

مثال الذِى قيل فيه ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور الرجل عليه ديون للناس وأهل الديون يطالبونه فيماطل يؤخر ثم يتصدق على الناس يعمل مأدبة طعام للناس ويتصدق على الفقراء لكن أهل الديون الذين حقهم على ذمته يماطلهم يترك وفاء الدين الذِى هو فرض عليه ويشتغل بإطعام الناس والتصدق على الفقراء

والتوزيع على الفقراء، ترك الفرض من أجل النفل تَرَكَ الفَرْضَ من أجل النفل هذا مغرور لا يقبل الله تعالى منه، كذلك الإنسان الذِى عليه قضاء كان فاتت صلوات أيام الجهل بأيام الإهمال والبطالة ثم بدأ يصلى الحاضر ويصلى النفل يعمل أناشيد يشتغل بالأناشيد والقصائد والمدائح التى ليست فرضًا ويعمل ويذكر ويذكر بورد الطريقة يأخذ عن شيخ من مشايخ الطريقة فيشتغل بأوراد الطريقة والأناشيد وما أشبه ذلك ويهملُ الفروضَ التى هى على ذمته التى هى دَيْنُ الله، الإنسانُ إذا فاته صيام هذا الذِى فاته دَيْنُ الله كذلك الصلاة من فاتته صارت دين الله فِى ذمته كذلك الذِى عليه زكواتٌ، زكاةٌ كثيرة، مضى عليه زمان لا يعطى الزكاة الزكاة دين فِى ذمته دين الله، فلا يجوز أن يهمل الفرض من أجل النفل لا يجوز أن ينشغل بقراءة الأوراد وأوراد الطريقة والأناشيد وما أشبه ويهملَ قضاء الفرائض التى فاتته بأيام البطالة والجهالة، لا يجوز.

كذلك الذِى لم يتعلم ما يكفيه من علم الدين الذِى لم يتعلم علم الحلال والحرام علم تصحيح الصيام تصحيح العقيدة معرفةِ ما يحل أكله وما يحرم أكله لا يجوز له أن يترك هذه الأشياء التى هى فرائض الله ويشتغل بأوراد الطريقة يقول أنا أخذت الطريقة الفلانية أقرأ الورد ويصرف أوقاته فِى أوراد الطريقة وفى الأناشيد هذا لا يجوز هذا مغرور، لو كان عنده فهم بالدين كما ينبغى كان تدارك الفرائض التى فاتته كان

اشتغل بما فرض الله عليه بدل أن يشتغل بما لم يفرض الله عليه، الطريقة ليست فرضًا، الطرق الصحيحة أربعون طريقة هذه نوافل، من أخذها على حسب أصولها أخذ الطريقة من هذه الطرق طرق أهل الله الرفاعية والقادرية والنقشبندية وغيرهم من أخذها بحقها من غير تبديلٍ فيها ثوابٌ لكن ما فرض الله علينا أن نأخذ طريقة من هذه الطرق فالذِى يضيع الفرائض من أجل الطريقة والأناشيد ونحو ذلك هذا مغرور، شيطانه غَرَّهُ شغله عن الذِى هو ضروريٌّ وحقٌّ لله تعالى فرضٌ عليه شَغَلَهُ بأشياء ليست فرضًا لا يسأل عنها، يوم القيامة لا يسأل عن ورد الطريقة لا يقال للرجل للإنسان يوم القيامة لم لم تأخذ الطريقة القادرية أو الطريقة الرفاعية أو الطريقة النقشبندية، لا يقال له، إنما يقال له لم لم تُؤَدّ فرائض الله لم لم تتعلم علم الدين الذِى يبين الحلال والحرام من المأكل والمشرب والمهن ويُعرف به تصحيح الصلاة تصحيح الصيام ويعرف به معاصِى القلب ومعاصِى الرجل ومعاصِى البطن ومعاصِى الفرج ومعاصِى اللسان ومعاصِى الأذن وغيرُ ذلك، يسأل عن هذا يوم القيامة يسأل عن هذا لا يقال له لِمَ لم تتخذْ شيخ الطريقة لا يقال لإنسان يوم القيامة لِمَ لَمْ تأخذ الطريقة لِمَ لَمْ تتخذْ شيخ طريقة لك لا فِى أيام رسول الله وبعد الرسول فِى أيام الصحابة والتابعين وأتباع التابعين هل كان هناك طريقة اسمها بكرية منسوبة لأبى بكر الصديق وهل كان هناك طريقة تسمى العمرية أو طريقة تسمى العثمانية أو طريقة كانت

تسمى العلوية نسبة إلى على بن أبى طالب ما كانت طريقة ثم كذلك بعدما مات الصحابة ولم يبق منهم أحد فِى عصر التابعين الذين كان فيهم أناس أكابر فِى دين الله تعالى أولياء لله تعالى صالحون ناسكون عابدون كأويس القَرَنىّ والحسن البصرى وسعيد بن المسيب وغيرهم كثير ما كان فِى تلك الأيام أيضًا طريقة تسمى الأويسية ولا طريقة تسمى الحسنية نسبة إلى الحسن البصرى ولا طريقة تسمى المسيبية نسبة إلى سعيد بن المسيب لأنها ما كانت لأنها ليست من الفرائض لو كانت هذه من الفرائض كان الصحابة توجد عندهم طريقة واحدة تنتسب إلى عمر وأخرى إلى عثمان وأخرى تنتسب إلى علىّ وأخرى تنتسب إلى أبى بكر وهكذا.

أويس القَرَنىُّ هو كان فِى اليمن كانت له أم والدة هو بار بها يبرها لم يتمكن أن يأتِى الرسول ليكتسب رؤيته وصحبته مات رسول الله قبل أن يراه لكن الرسول بوحْيٍ أعلمه الله تعالى عن أويس القرنى فقال لأصحابه وكان فيهم عمر بن الخطاب ذات يوم يأتيكم أويس بن عامر من مراد ثم من قَرَنٍ له والدة هو بار بها كان به برص فأذهبه الله عنه إلا مقدار درهم فإذا لقيتموه فمروه كَىْ يستغفر لكم اهـ ثم عمر بن الخطاب فِى أيام خلافته بعدما مات أبو بكر صار يسأل كلّما يأتى أناس جند مجاهدون من اليمن ليوجههم عمر إلى النواحِى للجهاد فِى سبيل الله كلما أتى أمداد اليمن إلى المدينة يسأل يقول فيكم أويس بن عامر فيكم أويس بن

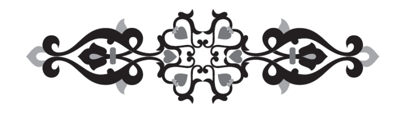
عامر حتى لقى ذات يوم من يخبره عنه فقال له إنه معنا فاجتمعَ به فقال له انت أويس بن عامر قال نعم لك والدة أنت برٌّ بها قال نعم قال كان بك برص فأذهبه الله عنك إلا قدر درهم فقال نعم قال له عمر فاستغفرْ لنا أيِ اطلب لنا من الله أن يغفر لنا فقال أنتم أحدث عهدًا بسفر صالح من تواضعه ما قال فورًا اللهم اغفر لعمر ومن معه بل قال من تواضعه أنتم أحدث عهدًا بسفر صالح وكان عمر قد أقبل من الحج فِى ذلك الوقت منذ مدةٍ قريبةٍ كان عائدًا من الحج فقال أنتم أحدث عهدًا بسفرٍ صالحٍ، فألحَّ عليه عمر فاستغفر له ثم قال له عمر أكتب لكَ إلى عاملى فِى الكوفة يجرى لك عطاءً أى راتبًا فقال أكون فِى غبراء الناس أحب إلى معناه أنا أعيش مع الفقراء أحب إلىَّ. ما رضىَ أن يعطيه عمر راتبًا فِى الدولة لأنه يحب الزهد وأن يعيش خفيًا كان من الأتقياء الأخفياء. كثير من عباد الله الصالحين لا يعرفهم الناس بأنهم أولياء أنهم صلحاء إما لرثاثة هيئة الثياب الناس لا ينظرون إليهم نظرة إعجابٍ إما لكون لباسهم غير أنيق أو لشدة فقرهم لا ينظرون إليهم نظر احترام وإعجاب إلا الذين يعرفونهم. أويس بن عامر من هؤلاء من عباد الله الصالحين الأخفياء الأولياء، الرسول ﷺ قال فيه **إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر**[١] اهـ أفضل

---

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب مِنْ فَضَائِلِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِىّ رَضِىَ الله عنه.

التابعين أيْ أفضل من جاء بعد الصحابة هو هذا عند الله تعالى أويس بن عامر، كان من رثاثة هيئته الأولاد لما ينظرون إليه يقولون عنه مجنون مع أن عمر من حيث الدرجةُ هو أعلى منه من حيث الدرجة عند الله عمر أعلى منه لكن المؤمن وإن علت مرتبته لا يستغنِي عن فضل الله تعالى، وإلا الرسول يعلم أن عمر أعلى من أويس وعدد كثير من أمثال أويس درجة عند الله تعالى لكن الرسول ﷺ حتى يعلمهم التواضع ويتبرَّكَ المسلمون بعضهم ببعض ليعلمهم ذلك قال لهم فإذا لقيتموه فمروه فليستغفر لكم.

انتهى والله تعالى أعلم.



**الدرس السادس والثلاثون**



# بيان فضل القرون الثلاثة الأولى



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِى سويسرة فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ألف وأربعمائة واثنين من الهجرة الشريفة الموافق لسنة ثمان وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان فضل القرون الثلاثة الأولى.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

أما بعد فقد روينا بالإسناد المتصلِ فِى جامع الإمام الترمذىّ[(١)] رحمه الله من طريق سليمان بن يسار قال قام فينا عمرُ بنُ الخطابِ بالجابيةِ خطيبًا فقال قامَ فينا رسول الله ﷺ فقال **أوصيكم بأصحابى ثم الذينَ يلونهم ثم الذين يلونهم** اهـ

(١) بَابُ مَا جَاءَ فِى لُزُومِ الجَمَاعَةِ.

هذا الحديثُ لأهميتهِ حدَّثَ به رسولُ الله ﷺ أصحابَهُ الذينَ كانَ أحدَهُم عمرُ بنُ الخطابِ قائمًا، حدَّثَهمُ الرسول قائمًا والرسولُ كان يُحدّثُ أحيانًا قائمًا فِى غير خطبةِ الجمعةِ وأحيانًا جالسًا وكان عمرُ بنُ الخطابِ رضى الله عنه أرادَ أن يقتدِىَ برسولِ الله فقام فِى أرضٍ تُسمى الجابية، هِىَ من برّ الشام، قام خطيبًا فيمن كان معه من الصحابة من أصحابَ رسول الله والتابعين فحدَّثهم بما سمعَهُ من رسول الله ﷺ، قال مُخبرًا عن رسول الله ﷺ **أُوصيكم بأصحابى ثمَّ الذينَ يلونهم ثم الذينَ يلونهم** اهـ إنما ذَكرَ الرسولُ ﷺ هؤلاءِ الثلاث لأن هؤلاءِ خيرُ الأمةِ أفضلُ أمةِ محمّدٍ ﷺ القرنُ الأولُ ثم القرنُ الثانى ثم القرنُ الثالثُ، والقرنُ فُسر بِعِدَّةِ معانٍ فِى اللغةِ، عُلَماءُ اللغةِ فسّروا القرنَ بِعِدَّةِ معان منها أى من تلك المعانِى مائةُ سنة وهذا هو الذِى ذكرهُ الإمامُ محدّثُ الشام الحافظُ ابنُ عساكر رحمه الله فسَّرَ الحديث القرون الثلاثة بالثلاثمائة الأولى، وبعضٌ من المحدثينَ فسّرَ القرونَ الثلاثة بمن كانوا ضمن مائتين وعشرين عامًا على هذا التفسير المراد بالحديث من كان ضمنَ المائتينِ والعشرينَ عامًا وأما على التفسير الأولِ وهو تفسيرُ القرنِ بالمائة مائةِ سنة فمن كان ضمن الثلاثمائةِ الأولى كلُّهم يُقال لهم السلف.

ثم إن الخيريَّةَ المفهومَةَ من هذا الحديث باعتبار الجملةِ ليس باعتبار الآحادِ، ليس معنى الحديث أنّ كلَّ فردٍ من أفرادِ مَن كانوا فِى هذه القرون الثلاثة

أفضلُ من كلّ فردٍ من أفراد الأمةِ الذينَ جاؤوا بعد ذلك ليس هذا مرادَ رسول الله ﷺ لأننا إذا نظرنا إلى الأفراد قد يوجد من هو أفضلُ عند الله تعالى درجةً من بعض من كان فِى القرنِ الأولِ أو القرنِ الثانى أو القرنِ الثالثِ لأن العبرةَ من حيثُ التفضيلُ هو التمكنُ فِى تقوى الله تعالى قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[١] فليس كلُّ من كان فِى القرن الأول على حد سواء فِى تقوى الله لكنَّ المقَدَّمين من أهلِ القرنِ الأول أفضلُ مِنْ كل مَنْ جاءَ بعدَ ذلك إلى يوم القيامة وهؤلاء هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وستة يتلونهم هم تِتِمَّة العشرة الذين يقال لهم العشرة المبشرون بالجنة ويلتحق بهؤلاء جميع من كان من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، المهاجرون هم هؤلاء العشرة لأنهم من أهل مكة هاجروا لمؤازرة النبىّ ﷺ تركوا وطنهم مكة إلى المدينة ويوجد غير هؤلاء العشرة من المهاجرين الأولين عدد كثير منهم عمار بن ياسر رضى الله عنهما وبلال الحبشىّ رضى الله عنه وعمرو بن عَبَسَة رضى الله عنه وأبو ذر الغفارىّ رضى الله عنه أما السابقون الأولون من الأنصار فهم كثير، عددهم كثير أهل البيعة الأولى بيعة العقبة ومن جاء بعد أولئك من أهل المدينة الذين سبقوا إلى الدخول فِى الإسلام ومؤازرة النبىّ ﷺ هؤلاء هم الذين يُعَدُّ كلُّ فردٍ منهم أفضلَ ممن جاء بعدهم من أمة محمد

(١) سورة الحجرات/الآية (١٣).

ﷺ أما من ليسوا من هؤلاء فليس له تلك الأفضلية فقد يوجد فِى التابعين من هو أفضل عند الله درجة من كثير ممن رأى الرسول وصَحِبَه مدة من الزمن.

فهؤلاء السابقون الأولون ورد فِى حقهم حديث صحيح مشهور وهو قول رسول الله ﷺ **لا تسبوا أصحابى فوالذِى نفسُ محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**(١) اهـ هذا الحديث لا يُرادُ به جميع أصحاب رسول الله إنما أراد الرسول ﷺ بهذا الحديث طائفةً من أصحابه وهم السابقون الأولون وذلك أن سبب الحديث أن خالد بن الوليد رضى الله عنه سبَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوف الذِى هو أحد السابقين الأولين أحد العشرة المبشرين بالجنة فقال رسول الله ﷺ هذا الحديث وذلك لأن خالدًا رضى الله عنه مع ما لَهُ من جلالة القدْرِ لم يكن من السابقين الأولين أما عبدُ الرحمٰن بنُ عوف فهو من السابقين الأولين.

معنى هذا الحديث أنه من أصحاب رسول الله ﷺ من هو له عند الله تبارك وتعالى فِى علو القدْر وعِظم الفضل مَنْ إذا تصدقَ أحدهم بمدٍّ بمدّ قمح أو بمدِّ شعيرٍ أو نحو ذلك، المد هو الحفنة الواحدةً بالكفين فأحدُ أولئكَ إذا تصدقَ بمقدارِ مُدٍ من الطعامِ الشعير أو القمح أو نحو ذلك، الله تبارك وتعالى يجعلُ ثوابَ هذا المد أفضلَ من ثوابِ مَن أنفقَ مِثلَ جبلِ أحدٍ الذِى

(١) متفق عليه.

هو جبلٌ كبيرٌ فِى المدينة المنورة ذهبًا.

روى مسلم والبخارى فِى صحيحيهما واللفظ للبخارىّ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىّ رَضِى اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِىّ ﷺ **لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِى فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه** اهـ ورواه الإمام أحمد بلفظ **لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِى فَوَالذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ** اهـ ورواه ابن ماجه وأبو داود.

فمن الجهلِ اعتبارُ كلّ من رأى النبىّ ﷺ وصاحَبَهُ سَنَةً أو سَنَتينِ مثلًا بمثابةِ أولئكَ السابقينَ الأولينَ هذا جهلٌ بل جهلٌ بمراتب الصحابةِ، ليس الصحابةُ جميعهم فِى مرتبةٍ واحدةٍ بل بينَ بعض منهم وبعضٍ ءاخرَ هذا الفرقُ العظيمُ وهو أن أحدَ أُولئكَ السابقينَ الأولينَ كعبد الرحمٰن بنِ عوفٍ تَصَدُّقُهُ بمقدار مُدّ من الطعامِ يكون عند الله تعالى أفضلَ من صدقةِ غيرهم بمقدارِ جبلِ أُحدٍ من الذهب.

فخالدُ بنُ الوليد رضى الله عنه مع ما لَهُ من جلالةِ القَدْرِ وقد كان بطلًا كبيرًا من أبطالِ الجهادِ فِى سبيلِ الله لا يَلحَقُ بأولئك ولا يقرُبُ أن يكون فِى درجةِ واحدٍ من أولئك، لا يقرُبُ من درجةِ واحد من أولئك السابقين الأولين فضلًا عن أن يُساويَهُ ومعَ هذا أى مع هذا التفاوت العظيم بين بعضٍ وأفرادٍ من الصحابةِ الآخرينَ بالنسبة لرواية الحديثِ عن رسول الله إذا رأينا حديثًا رواه صحابى عن رسول الله أو عن مَن سمعَ من

رسول الله منهم من الصحابة لا نظنُّ به إلا أنه صادقٌ فيما يُحدثُ به عن رسول الله، لا نظنُّ بأحدٍ ممن لقيَهُ ولو أقلَّ من قَدْرِ سنةٍ أنه يكذبُ على رسول الله، كلُّهم بالنسبةِ لهذا المعنى عدولٌ كلهم عدولٌ أى رواياتُهم عن رسول اللهِ تُقبلُ ولا يُتهمونَ بالكذبِ على رسول الله.

فهؤلاءِ القرونُ الثلاثة، الصحابةُ والتابعون وأتباعُ التابعينَ أى مَن كانوا فِى ضمنِ تلكَ الثلاثمائة الأولى يُقالُ لهم سلف وأما تفضيلُ القرنِ الأولِ وهم الصحابةُ على التابعينَ وعلى مَن جاءَ بعدَهم فلأنَّ الصحابةَ لم يختلفوا فِى العقائدِ، كلّهم كانوا فِى العقيدةِ متفقينَ لم يكن بينهم اختلافٌ فِى العقيدةِ كلّهم كانوا على عقيدةٍ واحدةٍ كلُّ فردٍ من أفرادهم كان يعتقدُ أن الله موجودٌ من غيرِ أن يُشبَّهَ بشىءٍ، ما أحدٌ منهم قال فِى تفسير قولِ الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] جلسَ، لم يقلْ أحدٌ من الصحابة إن استواءَ الله على عرشه الجلوس إنما كانوا يعتقدونَ فِى الاستواءِ أى استواءِ الله على عرشه أنه معنى لائقٌ بالله تبارك وتعالى من معانى الاستواء فِى لغة العرب لأن الاستواءَ فِى لغة العرب له معانٍ عديدة، يُطلقُ الاستواءُ بمعنى الاستقرار ويُطلقُ لفظُ الاستواء بمعنى التَّمام ويطلقُ لفظُ الاستواء بمعنى الاعتدال ويُطلقُ الاستواء بمعنى القصد إلى غير ذلك من معانى الاستواء، ويُطلقُ الاستواءُ بمعنى

(١) سورة طه.

الاستيلاء كالقهر ويُطلقُ الاستواءُ بمعنى العُلُّو علُوّ القدْرِ.

المعنى الذِى يليق من معانِى الاستواء هو الاستيلاء والقهر والعُلوُّ علُو القدرِ ليس علو جهةٍ ومكان لأن الشأن فِى علو القدر ليس فِى علو المكان، الشأنُ فِى علو القدر ليس فِى علو الجهة والمكان أى الحيِّزِ، فلم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يُفسرُ استواءَ الله على عرشه بالجلوس أو الاستقرار إنما كانوا يَحملون الاستواءَ على المعنى الذِى يَليقُ بالله ولا يحملونه على المعنى الذِى هو صفة من صفات البشر كالجلوس لأن الجلوسَ لا يكونُ إلا مِنَ البشر ونحوهم من البهائم والتى لها نِصفانِ نِصفٌ أعلى ونِصفٌ أسفل هذا الذِى يَصحُ منه الجلوس أما الله تبارك وتعالى الذِى خلقَ البشرَ وصفاتهم وخلقَ الملائكةَ وما هم عليه من الصفات وخلقَ الجن وما هم عليه من الصفاتِ والأحوالِ وخلقَ غيرَ ذلكَ من الأجرامِ فهو لا يجوزُ عقلًا ولا شرعًا أن يتصفَ بالجلوس على العرش أو الكرسىّ مُحالٌ على الله تبارك وتعالى. فلم يقل أحدٌ من أصحاب رسولِ الله إنَّ استواءَ الله على عرشه المذكورَ فِى قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ إنه بمعنى الجلوس، ولعنة الله على من فسَّرَ استواء الله على عرشه بالجلوس لأنه جعلَهُ مِثلَ البشر، والله تبارك وتعالى نَصَبَ لنا أدلةً عقليةً أنه لا يُشبهُ مخلوقه بوجهٍ من الوجوه، نصَبَ لنا أدلةً عقليةً على استحالةِ الجلوس على الله تبارك وتعالى وأنزل ءَايَةً محكمةً فِى القرءان الكريم تدل على ذلك أى تدل

علـى تـنـزيـه الله تـبـارك وتـعـالـى عـن الـجـلـوس وغيرِ ذلك من صفات البشر بل كلِّ صفة من صفات المخلوقين وهِيَ قولُه تبارك وتعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1] هذه الجملة مع وَجازة لفظها فمعناها واسع، تُنزّه الله تبارك وتعالى عن كلّ صفة من صفات البشر، صفاتُ البشر نعرفها من أنفسنا الجلوس من صفاتنا والتَّنقلُ من أعلى إلى أسفل أو من أسفل إلى أعلى هذا أيضًا من صفاتنا كذلك اتخاذُ حيّزٍ أى مكانٍ يُتحيَّزُ فيه هذا أيضًا من صفاتنا، كذلك التغيُّرُ من صفاتنا، كذلك التأثرُ من صفاتنا، كذلك الانفعالُ فهو من صفاتنا فالله تبارك وتعالى مُنزه عن هذه الصفات كلّها فمن ادعى أنه من السلف وقال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ بمعنى الجلوس فقد افترى وكذَبَ كذِبًا بيّنًا ظاهرًا. لأنه لم يقل أحدٌ من السلف إن استوى بمعنى جلَسَ، لا يَثبتُ ذلك عن أحدٍ من أصحابِ رسول الله الذين عُرفوا بتفسير القرءان، لا يثبتُ عن أحد منهم، أما أن يكذِبَ بعضُ الكذَّابينَ ممن جاءَ بعد الصحابةِ ويَنسُبَ إلى بعضِ الصحابةِ أنه فسَّرَ هذه الآية ءاية الاستواءِ على العرش بالاستقرار أو امتلاء العرش به فهذا لم يرد ممن هو من الثقاتِ الصادقين إنما جاء من طريقٍ يُقالُ لها عند أهل الحديثِ سِلسِلةُ الكذب هذه السلسلة سلسلةُ الكذبِ افترت على ابن عباسٍ رضى الله عنهما فقالت إن ابن عباس قال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ أى استقر، هذا افتراء على ابن عباس، لا يثبتُ عن أحد من الصحابة تفسير استواء الله على العرش بالجلوس أو الاستقرار، إنما بما أنهم كانوا يفهمون اللغة العربية كما ينبغى كانوا يفهمون من قول الله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ معنى يليقُ بالله تعالى من بين معانى الاستواء كعلو القدْر. علوُ القدْر هو صفةٌ من صفات الله، الله تعالى وصفَ نفسه بذلك فقال ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[1] العَلِىُّ معناه علىُّ القدْر رفيعُ الدرجاتِ ليس معناه أنه مستقرٌ على العرشِ الذِى هو من العالم العلوىّ وليس معناه علوًّا أى استقرارًا على الكرسىّ الذِى هو جِرمٌ عظيمٌ تحتَ العرشِ كلُّ هذا لا يليق بالله تعالى لأن الاستقرارَ والجلوسَ صفةٌ من صفات البشر فكلُّ صفة من صفات البشرِ لا تليق بالله تبارك وتعالى بل قال بعض السلف وهو الإمام أبو جعفرٍ الطحاوىّ الذِى كان من أهل القرن الثالث الهجرىّ ثم أدرك جزءًا من القرن الرابع فتوفِّىَ فهذا الإمام من السلف قال فِى عقيدته المشهورة التى هِىَ مُتَداوَلَة بين العلماءِ من ذلك الزَّمَنِ إلى عصرنا هذا قال رضى الله عنه «ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر» هذه الجملةُ احفظوها وحفّظوها أهاليكم ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر، معانى البشر كثيرة كُلُّنا يعرفُ معانى البشر أى صفات البشر كُلُّنا نعرفُ. الجلوسُ من صفاتنا الجلوس

(١) سورة الشورى/الآية (٤).

لا يصحُ بلغةِ العربِ إلا لمن له نِصفان نِصفٌ أعلى ونِصفٌ أسفل الانسان هكذا لذلك يُوصفُ بالجلوسِ والكلبُ كذلكَ يوصفُ بالجلوسِ وكثيرٌ من البهائم توصفُ بالجلوسِ لأن لها نصفًا أعلى ونِصفًا أسفل ثم الجلوسُ فِى لغة العربِ عبارةٌ عن التصاقِ المِقعدةِ بالأرضِ أو بالكرسى أو نحو ذلك هذا معنى الجلوس فكيف يوصَفُ خالقُ العالمِ الذِى خلقَ الإنسان وصفاته وخلقَ سائرَ الأشياءِ وصفاتِها بالجلوس الذِى هو تلاصقُ جِسمينِ أحدُهُما له نِصفانِ نِصفٌ أعلى ونِصفٌ أسفل؟ هذا لا يليق بالله تبارك وتعالى.

هؤلاءِ كيف يزعمون أنهم عرفوا الله تبارك وتعالى؟ يُفسرون على العرش استوى بالجلوس ثم يزعمون أنهم عرفوا الله وأنهم ءَامَنُوا به هيهاتَ هيهات هذا من الكذب البعيد.

ثم هؤلاءِ أنفُسُهم يُحرّفون ءاياتٍ قرءانيةً وردت فِى بيان أحوال المشركين الذين كانوا فِى الزمنِ الذِى كان القرءانُ ينزلُ على رسول الله، الذين كان من جملة مقالاتهم أن قالوا ما نعبدهم إِلَّا ليقربونا إلى الله زُلفى. هؤلاء المشركون الذين كانوا فِى زمن الرسول كانوا مُعادين للرسول مُكذبين له مؤذين له مستهزئين به كانوا يقولون هذه الأوثان التى ينهانا محمد عن عبادتها نحن ما نعبدها إلا لتقربنا إلى الله اعترفوا بأنهم يعبدونها، وما معنى العبادة؟ معنى العبادة نهاية التذلل، كانوا يُعظمونها كتعظيمِ الله تبارك وتعالى كانوا يتذللون لها

نهاية التذلل هذا كان عبادتَهم لها لأوثانهم.

هؤلاء المحرفون لدين الله يجعلون أمة محمد الذين هم مؤمنون بالله ورسوله ويعتقدون أنه لا أحد يستحقُ أن يُتذللَ له نهاية التذلل إلا اللهُ تبارك وتعالى ولا يُعظمونَ أحدًا غير الله كتعظيم الله لا يُعظمونَ أحدًا سوى الله نهاية التعظيم، عن هؤلاءِ المؤمنينَ يقولون أنتم مثلُ أولئكَ عُبَّادِ الأوثان الذينَ قالوا فِى التشبث على عبادةِ الأوثانِ التى كانوا يعبدونها ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى يقولون أنتم مِثلُ أولئكَ أحدُكم لما يذهب لزيارة قبر الرسول أو قبر أىّ نبىّ أو قبر أى ولىّ للتبرك فقد أشركتم صرتم مثل أولئك، مع أن التبرك بالرسول وبآثاره كان الصحابة يفعلونه حتى إن الرسول فِى حجةِ الوداعِ وفى عمرة الجعرانة حلق رأسه بالموسى ثم قسم شعَرَه بين الصحابة وما قسم هذا الشعرَ إلا ليتبركوا به فكانوا يتبركونَ به فِى حياته وبعد وفاته حتى إنهم كانوا يغمسونه فِى الماء فيسقونَ هذا الماءَ بعضَ المرضى تبركًا بأثر رسول الله ﷺ وهذا الحديثُ فِى البخارىّ وغيرِه، كان أحدُهم أخذَ شعرةً والآخر أخذَ شعرتين وخالدُ بنُ الوليد رضى الله عنه كانت له قَلَنسُوة وضعَ فِى طيّها شعرًا من ناصية رسول الله أى من مُقدمِ رأسهِ لما حلقَ فِى عمرةِ الجِعرانةِ ليس لحجّهِ فِى الحجِ لا هذا لما حلق رأسَهُ للعمرةِ فِى أرضٍ يُقالُ لها الجِعرانة بعد مكةَ إلى جهةِ الطائفِ من ذلك الشعر أخذ خالدُ بنُ الوليد شَعرَ الناصيةِ أىْ مُقدمِ الرأسِ فوضعَهُ فِى قَلَنسُوَته فكانَ ذاتَ مرةٍ فِى غزوةٍ من

الغزواتِ فَقَدَها فصارَ يبحثُ عنها يُفتشُ عنها تفتيشًا شديدًا حتى وجدها فقيل له لماذا أنت تَعْتَنِى بهذه القَلَنسوة كلَّ هذا فقال إنى وضعتُ فيها من شَعرِ رسول الله من شَعرِ ناصيته فما حضرتُ وَقعةً إلا رُزقتُ النَّصرَ أىْ كلما حضرتُ معركةً انتصرتُ على الكفارِ ببركة هذا الشعر شعر النبى ﷺ.

والصحابة كان معروفًا عنهم أنهم يتبركون بآثار النبىّ ﷺ، كذلك بعد موته بعضُ الصحابةِ لما وقع مجاعةٌ شديدةٌ فِى عهد عمرَ بن الخطابِ تسعةَ أشهر انقطعَ المطرُ عنهم صارت مجاعةٌ، بعضُ أصحابِ رسول الله ذهبَ إلى قبر الرسول ﷺ فقال يا رسول الله استسقِ لأمتكَ فإنهم قد هلكوا، هذه يُقالُ لها استغاثة وتوسلٌ فجىء فِى المنام أُتى هذا الرجلُ الصحابى فِى المنام فقيل له أقرئ عمرَ السلام فأخبره أنهم يُسقونَ فذهب الرجلُ إلى عمرَ فقصَّ عليه رؤياهُ ماذا فعلَ أى أنه ذهب إلى قبر الرسول ﷺ فتوسل به ثم سقاهم الله تبارك وتعالى حتى سُمِّىَ ذلك العامُ عامَ الفَتْق من شدة ما ظهر من الأعشاب سمنت المواشى حتى تفتقت من الشحم لذلك سُمّى عام الفتق ثم هذا الفعلُ أى التوسلُ بالنبىّ ﷺ بالاستغاثة به أمام قبره من هذا الصحابىّ ما عابه عليه عمرُ بنُ الخطابِ ما قال له كيف تطلبُ من رسول الله ﷺ كيفَ تستغيث وتتوسل برسول الله ﷺ وقد مات ما قال له عمرُ ولا غيرُ عمر كلٌّ من علمَ بالقصة ما انتقده عليها.

هذا فعلُ السلف وحدث غيرُ هذا من الحادثات التِى هِىَ توسلٌ بالنبىّ ﷺ مما حصلَ للصحابة، مع كل هذا هؤلاء من فساد قلوبهم يُكفّرون المسلمين المتَبَرّكين برسول الله ﷺ والأولياء، هذه الآياتُ التِى نزلت فِى المشركين الذينَ كانوا يعبدون الأوثان جعلوها على المسلمين المتبركين بالتوسل بالأنبياء والأولياء.

والله تعالى أعلم. انتهى.



## الدرس السابع والثلاثون



# بيان البدعة ومعناها



**درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِى التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ألف وأربعمائة وثمان من الهجرة الشريفة الموافق الثامن من شهر كانون الثانى لسنة ثمان وثمانين وتسعمائة ألف رومية فِى سويسرة وهو فِى بيان البدعة ومعناها.**

**قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً**

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

أما بعد فإنّ من المهم معرفةَ تحديد البدعة المذمومة حتى لا تلتبس بالبدعة الحسنة ولا سيما فِى هذا العصر الذِى كثر فيه المشوشون فإنهم لبَّسوا الأمورَ على الناس بقولهم عن الأمر الذِى لا يعجبهم إنّه بدعة ويحملون على ذلك حديث العرباض بن سارية **وإياكم**

**ومحدثات الأمور فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**[١] اهـ هذا الحديث الصحيح هؤلاء المشوشون يحملونه على أشياء ليست داخلة تحت هذا الحديث وإنما هى تدخل تحت حديث مَنْ سَنَّ فِى الإسلامِ سُنَّة حَسَنَة فَلَهُ أَجْرُهَا وأجرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعدَهُ مِنْ غيرِ أَنْ يَنقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِى الإسلامِ سُنَّة سَيّئة كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَىْءٌ اهـ الذِى رواه مسلم[٢] وذاك الحديث رواه أبو داود[٣] والترمذىّ[٤] وكلا الحديثين صحيح الإسناد وإن كان حديث مسلم هذا **من سن فِى الإسلام سنة حسنة** أقوى إسنادا من ذلك الحديث والحديثان ليس بينهما تعارض عند من يفهم، من فهم معنى البدعة التى ذمها رسول الله فِى قوله **وكل بدعة ضلالة** لا يُطبّقُ ذلك على السُّنة الحسنة التى عناها رسول الله بقوله **من سن فِى الإسلام سنة حسنة فله أجرها** فالقاعدة عند علماء الحديث وعلماء الأصول أنه إذا تعارض فِى الظاهر حديثان صحيحان يُجمع بينهما، يُوفَّقُ بينهما يُفسر هذا تفسيرًا لائقًا به ويفسر هذا تفسيرًا لائقًا به فيكون كلا الحديثين معمولًا بهما وهذا هو

---

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه، باب ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التِى تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ.

(٢) باب الْحَثّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ.

(٣) باب فى لزوم السنة.

(٤) باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع.

طريق أهل الحديث وأهل أصول الفقه، فمِنَ الفهم الفاسد مَن يفهم من حديث **وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** اهـ أنه يشمل كل ما لم يفعله رسول الله فمَن كان هذا فهمه فقد أفسد على الناس أمور دينهم وزاغ هو فِى حدّ نفسه زيغًا كبيرًا. فتعريف البدعة التى عناها رسول الله بقوله **وكل بدعة ضلالة** ما أُحدث على خلاف الكتاب والسنة والإجماع، ما أُحدث أى ما فعله الناس ولم يفعله رسول الله ولا أمر به نَصًّا وكان مخالفًا للقرءان والحديث فهذا هو البدعة التى ذمها رسول الله بقوله **وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة،** هذا مَحْمِلُ هذا الحديث، على هذا يُحمل هذا الحديث حديث **وكل بدعة ضلالة،** يحمل على ما أُحدث مما يُخالف الكتاب والسنة والإجماع ثم هذا أيضًا إما محرّم وإما أكثر من مجرد التحريم فإنه قد تصل بعض البدع إلى الكفر ومن البدع ما يصل إلى الكراهة هذا تعريف البدعة المذمومة.

وأما البدعة التى سماها رسول الله **سنة حسنة** فِى حديث جرير بن عبد الله البجلى الذِى رواه مسلم فهى ما أحدثه أهل العلم على وفاق القرءان والحديث والإجماع فمن هنا أحدث السلف والخلف أشياء لم يفعلها رسول الله ﷺ وكانت على وفاق القرءان والحديث فعُدَّت سنة حسنة وتسمى بدعة حسنة وتسمى بدعة مستحبة، العلماء يطلقون عليها العبارات الثلاث بدعة حسنة وبدعة مستحبة وسنة حسنة. من هذا نقط

المصاحف، القرءان الكريم أملاه رسول الله على من كتب عنه الوحى القرءانى فلم ينقطوه كتبوه بغير نقط كذلك عثمان بن عفان فِى خلافته لما كتب ست نسخ أو خمس نسخ كانت غير منقوطة هذه المصاحف التى كتبها عثمان بن عفان وَوَجَّه بعضا منها إلى الأمصار كالبصرة ومكة واتخذ لنفسه واحدًا منها هذه كانت غير منقوطة بعد ذلك نقط المصاحف رجل من التابعين يقال له يحيى بن يعمر رَضِىَ الله عنه وكان من العلماء المُحدِّثين الثقات. هذا الكتاب وهو كتاب معتمد معروف عند السلف والخلف اسمه كتاب المصاحف تأليف عبد الله بن أبى داود هذا أبو داود الذِى هو أحد أصحاب الكتب الستة له ابن يسمى عبد الله هو ألفه، مذكور فى هذا الكتاب باب نقط المصاحف حدثنا عبد الله قال حدثنا محمد بن عبد الله المخزوميّ قال حدثنا أحمد بن نصر بن مالك قال حدثنا الحسن ابن الوليد عن هارونَ بن موسى قال أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر اهـ

أما إذا قيل لكم كيف يترك الرسول ما كتب عنه من القرءان غير منقوط يقال لهم فِى ذلك حكمةٌ وهِىَ أن القرءانَ أُنْزِلَ على الرسول بِعِدَّةِ أوجه اللفظ الواحد الرسول قرأه مرة بالتاء ومرة بالياء ومرة بلفظ المفرد ومرة بلفظ الجمع [يعملون] ببعض المواضع الرسول قرأ يعملون بالياء ثم قرأ أيضًا بالتاء [تعملون] فلما كتب غير منقوط صار صالحا بأن يُقرأ بالياء وبأن يُقرأ بالتاء ونحو ذلك من الحكم لهذا كتب من لفظ

رسول الله ﷺ غير منقوط كذلك عثمان بن عفان كتب تلك المصاحفَ أى استنسخها بغير تنقيط، يُقال نَقَّط ويقال نَقَطَ كِلا الوجهين صحيح، ثم أصحاب رسول الله الذين كانوا عندما نقط يحيى بن يعمر المصاحف ما اعترضوا عليه بل رضوا بذلك وأعجبهم لأن فيه تسهيلا على الناس مع أن الاعتماد كان فِى القراءة عند الصحابة وكذلك التابعون على التَّلَقّى الشَّفوى هذا يَتَلَقَّى من أصحاب رسول الله فِى هذه القراءة وءاخر يَتَلَقَّى القرءان بالقراءة الثانية وهذا يتلقى بالقراءتين من أستاذه الذِى أقرأه القرءان كان اعتمادهم على التلقى الشَّفوى كانوا يعتمدون على الحفظ لذلك الذِى يعتمد فِى القراءة على المصحف من غير تلقٍّ من أهل المعرفة لا يُسمى مقرئًا ولا قارئًا يُسمى مُصحفيًّا فرقًا بين الذِى تلقى من أهل المعرفة من أهل التجويد كما تُلقى من لفظ رسول الله فرقا بينه وبين الذِى يقرأ فِى المصحف بدون تلقٍ يتلقى الشىء القليل منه خمس سور أو ستَّ سور من القصار أو نحو ذلك ثم ما سوى ذلك يتخذ المصحف مقرئًا له، هذا الذِى يُسمونه مصحفيًا لا يسمونه مُقْرِئًا، كذلك فِى الحديث الذِى يتلقى من أفواه أهل المعرفة ثم يضبطه كتابًا على النسخة الأصلية هذا يُسمى محدثا أما الذِى يعتمد على المطالعة فِى المؤلفات فِى الحديث من غير تلقٍّ من أفواه أهل المعرفة أو القراءة عليهم يسمّى صحفيًّا.

كانت عادة علماء الحديث إما أن يسمع الحديث من الذِى سمع من رسول الله ثم الآخر يتلقى من الذِى

سمع ممن سمع من أصحاب رسول الله ثم الذِى بعده كذلك يتلقى من هذا الذِى تلقى ممن تلقى من أصحاب رسول الله وهكذا، هذا الذِى أخذ الحديث بالتلقى سَماعا من لفظ المحدث أو المحدثُ يُعطيه كتابه الذِى ضبطه الذِى دَوَّنَ فيه أحاديثه التى رواها ممن تلقى عنهم يُعطيه يقرأ فِى هذا على هذا المحدث يقرأ فإن وجد منه غلطًا يرده، وبعضهم كانوا يستنسخون من هذه الأصول التى عند المحدثين ثم يعرضونها على الأصل على النسخة الأصلية فيعتمدون عليها بعد ذلك، فمن كان تلقيه لعلم الحديث على هذه الطريقة يُقال له محدث أما من لم يكن على هذه الطريقة إنما اشترى كُتُبا ثم طالع بنفسه هذا يُقال له الصَّحفيَّ لا يُسمَّى محدثًا.

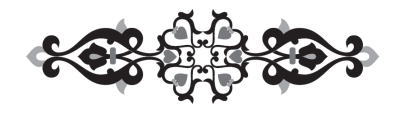
ثم حصل من أصحاب رسول الله غيرُ هذا مما هو سُنة حسنة ويُقال له بدعة مستحبة وبدعة حسنة ما حصل من بعض الصحابة وهو أن أحد أصحاب رسول الله يُقال له خبيب وهو من الأنصار من أهل المدينة، الكفار كفار مكة قبل أن يفتح رسول الله مكة لما كان المشركون هم متغلبين على مكة كان لهم ثأر منه لأنه قتل بعض أقرباء هؤلاء الكفار فِى الجهاد فأسره الكفار قتلوه صبرًا أى أسيرًا وهو أسير مأسور فِى أيديهم قتلوه عندما ساقوه للقتل قال لهم أمهلونى حتى أصلى ركعتين فصلى ركعتين، قال أبو هريرة رضى الله عنه فكان خُبيب أول من سن الصلاة عند القتل معناه قبل خبيب ما أحد فعل هذا الفعل وهو

صلاة ركعتين عند القتل ولا قال رسول الله لأصحابه إذا قدمكم الكفار للقتل فصلوا ركعتين لم يقل الرسول ما أخذه من قول رسول الله من نص رسول الله إنما خبيب وجد هذا الأمر موافقًا للقرءان والحديث فرضىَ به، فهذا الفعل الصحابة أُعجبوا به من غير أن يكون قال الرسول لأصحابه إذا قدمكم المشركون للقتل فصلوا ركعتين من غير أن يكون سبق من رسول الله ذلك من غير أن يكون سبق منه هذا القول هو فعله هذا الصحابيُّ رضى الله عنه، هذا من جملة السنة الحسنة والبدعةِ التى تسمى البدعة الحسنة والبدعة المستحبة.

فمن هذه الحادثة حادثة صلاة خبيب رضى الله عنه ركعتين عندما قُدم للقتل وحادثة تنقيط المصاحف التى أول من فعلها يحيى بن يَعمر يُعْلَمُ بطلان قول هؤلاء عندما يُنكرون على الناس أشياء هِيَ من البِدَعِ الحسنة هذا ما فعله الرسول، هذا ما فعله الرسول ليشوشوا بذلك على الناس، هؤلاء إذا أردتم أن تُبكتوهم قولوا لهم هذه المصاحف التى تتخذونها منقوطةٌ أم غيرُ منقوطة؟ فإن قالوا منقوطةٌ يقال هذا التنقيط ما فعله الرسول ما قال للذين كتبوا من لفظه نَقِّطوها ما قال ولا الصحابة فعلوا ذلك فهذا الشىء لم يفعله الرسول ولا أمر به نصًّا وأنتم لا نراكم تتجنبون هذه المصاحف بل تستعملونها وتتخذونها فِى بيوتكم فإن كنتم صادقين فابدؤا بكشط المصاحف، إزالة النقط عنها وأسماءِ السور أيضًا فِى أوائل السور، أسماءُ السور ما كانت مكتوبة فِى مصاحف عثمان ما كتب فِى أول البقرة

سورة البقرة، فِى أول ءال عمران ما كان مكتوبا سورة آل عمران فِى تلك المصاحف التى كتبها الصحابة كل هذا أزيلوه جردوا القرءان من كل هذا من النقط ومن أسماء السور ومن الإعراب كذلك، كانوا أولَ ما فعلوا بعض الأعمال فِى المصحف كانوا بين ءاية وءاية ثلاثَ نقط كانوا يضعون ثم بعد ذلك تحولوا إلى وضع دائرة مع الأرقام، كذلك لم تكن فِى مصاحف الصحابة كتابةُ عدد ءايات السورة أما اليوم هذه المصاحف فيها التنقيط فيها ذكر أنها مدنية أو مكية وفيها أشياء أخرى وفيها التعشير أى وضع علامة على كل عشر ءايات، كذلك علامةٌ على كل حزب وعلى كل جزء ورقم الصفحة كل هذا ما كان أيام الرسول ما فعله الرسول ما أمر بفعل ذلك.

والله تعالى أعلم. انتهى.



**الدرس الثامن والثلاثون**



# بيان تنزه الله عن الحدود والمكان



***درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان تنزه الله عن الحدود والمكان.***

***قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً***

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد النبىّ وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

وبعد المحدود عند علماء التوحيد ما كان له حدّ والحدّ هو الحجم، فالعرش له حدٌّ والذرة لها حدّ والسموات والأرض لها حدّ والظلمات والنور والريح كلٌّ له حدٌّ. قال الإمام الطحاوى رحمه الله تعالى يعنى الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات وقال «ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر».

وقال الإمام علىّ رَضِىَ اللهُ عنه من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود[١]. قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢] وقال الإمام أحمد الرفاعى رضى الله عنه صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر. وقال غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان.

قال الله تعالى فِى كتابه العزيز ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٣] هذه الآية الشريفة مع خِفَّةِ الفاظها جمعت معانِىَ عظيمةً، الله تعالى هو الذِى أوجدَ السمٰوات والأرض وخلَقَ النور والظلام أفهمنا أنه خالقُ كلّ جسم كثيفٍ وكلّ جسم لطيفٍ لأنه ذكر السمٰوات والأرض وهما جسمان كثيفان كذلك الشمس والقمر كذلك الانسان جسمٌ كثيفٌ والبهائم وذكر - الجسم - اللطيف النور والظلام أفهمنا أنه خالق كل شىء من أنواع العالم الكثيف واللطيف ومعنى هذا أن الله لا يُشبهُ العالم كلَّهُ لا يُشبهُ الجسم الكثيف كالأرض والشمس والقمر واللطيف كالنور والظلام والريح والروح فمن اعتقد أن الله جسم كثيف كالشمس والقمر أو الانسان أو العرش أو اعتقد أن الله جسم لطيف كالنور والريح والروح فقد جعلَهُ

(١) رواه أبو نعيم فِى الحلية.
(٢) سورة الشورى/الآية (١١).
(٣) سورة الأنعام/الآية (١).

مِثلَ خَلْقِهِ. كلُّ جسم مخلوقٌ إن كان كثيفًا وإن كان لطيفًا والخالقُ لا يجوزُ أن يُشبهَ مخلوقَهُ فهو ليس كشىء من خلْقِهِ، والعرش جسمٌ كثيفٌ مِثلُ الأرضِ والسمٰوات لذلك يحملُهُ أربعةٌ من الملائكةِ فِى الدنيا وثمانية يوم القيامة، هو سرير بشكل مربع، العرشُ اللهُ خلَقَهُ وحفظَهُ فِى ذلك المكان بقدرته ولولا أنّ الله أمسكَهُ بقدرته وحفظه فِى ذلك المَركَز ما ثبتَ لحظة كان هوى أى وقع ولما كان الجسم الكثيف والجسم اللطيف يأخذ قدْرًا من الفراغ الإنسان والبهائم والشمس والقمر حتى هذا الذِى يُقال له الهباء وحبة الخردل وما كان أصغرَ من ذلك وما كان أكبرَ من ذلك كل يأخذ مقدارًا من الفراغ، ولَما قد ثبت أن الله لا يشبه المخلوقات بأى وجه من الوجوه تبيّن أن الله ليس جسمًا لطيفًا وليس جسمًا كثيفًا لا يأخذ حيّزا من الفراغ لذلك نقول الله موجود بلا مكان ليس متحيّزا فِى جهة ولا فِى كل الجهات بل هو موجود بلا مكان لأن الذِى يأخذ مقدارًا من الفراغ هو الجسم. نورُ الشمس له مقدار من الفراغ ونور الكهرباء له مقدار من الفراغ أصغرُ من ذلك ونور الشمعة أصغر من ذلك وبعض الحشرات بين الحشيش تُرى تلمع الله جعل لها مقدارًا، الريح لها حيّز تأخذه، الريح يُرسلها الله تعالى بمقدار، الريح يُرسلها الملائكة بقدْرٍ يعرفونه الريح لها صفات كذلك الانسان له صفات وكل الأجرام لها صفات الله تعالى لا يُشبهُ الأجرام ولا يتصف بصفات الأجرام. من صفات الأجرام الحركة والسكون، بعض

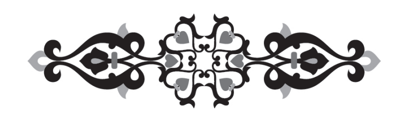
الأجرام تتحرك دائمًا حتى التِى لا تظهر حركتها للناظرين لكن من شدة بُعدها تظنها لا تتحرك وهى تتحرك وبعض الأجرام هِىَ ساكنة فِى مركَزها منذ خلقها الله كالسمٰوات ساكنة فِى مركزها والانسان ساكن مرة ومتحرك مرة والبهائم والملائكة والجن والطيور كذلك، والله ليس كذلك ليس متحركا ولا ساكنا.

ثم إن الأجسام الكثائف واللطائف الله جعل قسما منها فِى جهة العلوّ كالعرش واللوح المحفوظ والملائكة الذين حول العرش جعلهم فِى جهة فوق خصصهم فِى التحيّز بجهة فوق وخصص البشر والبهائم والحشرات بالتحيّز فِى جهة تحت فهو ليس متحيّزًا فِى جهة فوق ولا تحت إذ لو كان متحيّزا فِى جهة فوق لكان مثل الملائكة والعرش واللوح المحفوظ ولو كان متحيّزًا فِى جهة تحت لكان مثل الانسان والبهائم والحشرات، فالله الذِى خصص بعض الاجسام بجهة فوق وبعضها بجهة تحت لا يجوز أن يُتصور فِى جهة تحت ولا بين سماءَيْنِ من السمٰوات السَبْعِ، كلُّ هذا من صفات الخلْق لا يجوز على الله إنما هو موجود لا كالموجودات كما قال الأئمة أئمة الهدى مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك. قاله ثوبان بن ابراهيم تلميذ الإمام مالك.

يُروَى عن أُمّ سلَمَة إحدى أزواج الرّسول ويُروى عن سفيانَ بنِ عُيَينَة ويُروَى عن مالكِ بنِ أنَس أنّه فَسّرَ

استواءَ اللهِ على عَرشِه بقوله الاستواءُ مَعلُومٌ ولا يُقالُ كيفَ والكيفُ غيرُ معقُول، الاستواءُ معلُومٌ معناهُ الاستواءُ معلومٌ ورُودُه فِى القرءانِ نؤمنُ بأنّ اللهَ مُسْتَو على عرشِه استواءً يَليق به، والكيفُ غيرُ معقُول أمّا الكيفيّةُ الشّكلُ الهيئةُ الجُلوس والاستقرارُ هذا غيرُ مَعقُول لا يَقبَلُه العَقل.

والله تعالى أعلم. انتهى.



**الدرس التاسع والثلاثون**



# بيان أهمية الإيمان لقبول الأعمال



***هذا درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررى رحمه الله تعالى وهو فِى بيان أهمية الإيمان لقبول الأعمال.***

***قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة***

الحمد لله ربّ العالمين له النّعمة وله الفضل وله الثّناء الحسن صلوات الله البرّ الرَّحيم والملائكة المقرَّبين على سيّدنا محمَّد أشرف المرسلين وخاتم النبِيّين وحبيب رب العالمين وشفيع المذنبين يومَ الدين.

أمّا بعد فإن الله تبارك وتعالى حذَّرَ المؤمنين فِى كتابه القرءان الكريم من معصيته، واللهُ تبَارك وتعالى طاعتُه مقدّمةٌ على طاعةِ أى مخلوقٍ لأنّهُ تَبارك وتعالى هو الذِى خلَق كُلَّ فَردٍ منّا، أوجَدَه منَ العَدَم فلا أحَدَ أَوْلى باستِحقاق الطّاعةِ علَينا منَ الله، والله تعالى هو أَحَقُّ مَن أُطِيع، أوْلى مَن أُطِيع، فلذلكَ لا يجُوز أن يعصِى الله تعالى العبد إنْ كانَ ذكَرًا أو إنْ كانَ أُنثَى مِن

أجْلِ ولَدٍ أو مِن أجْل مال حتّى الحاكمُ العامّ الذِى يَحكُم البلادَ لا يجُوزُ أن يُعصَى اللهُ مِن أجلِ طَاعتِه، اللهُ تعالى هو الضّارُّ النّافع، لا ضَارَّ ولا نافعَ على الحقيقةِ إلّا الله. أمّا ما سوى الله أسبابٌ فمَن شاءَ اللهُ تعالى أن ينتفِع بشىء انتفعَ به ومن شاء الله تعالى أن ينضرَّ بشَىء انضَرَّ به، بحسَب الظّاهر نقولُ فلانٌ ينفع فلانٌ يضُر، هذا الشىءُ يَنفَع هذا الشّىءُ يَضُرّ أمّا فِى الحقيقة فلا ضَارَّ ولا نافعَ إلّا الله».

مَن ءامَن باللهِ ورسولِه أى مَن عَرف اللهَ وعرَف رسولَه فقد دخَل دائرةَ الإيمانِ والإسلام ثم بعدَ الإيمانِ باللهِ ورسولِه أفضَلُ الأعمال الصّلواتُ الخمس، جِبريلُ عليه السَّلامُ ذاتَ يوم جاءَ بصُورةِ إنسانٍ مِنَ البشَر نظِيفِ الثّياب شديدِ سَوادِ الشّعَر حسَنِ الهيئةِ والشّكْل فجلَس وقد اقترَب منَ الرَّسول ﷺ، أهلُ المدينة مِن أصحابِ رسولِ الله الذينَ كانوا فِى ذلكَ المجلس استَغرَبوا أمرَه لأنّهُ لا يعرفُه أحدٌ حتّى يقولوا إنّه مِن أهلِ البلَد، لا أحَدَ يعرفُه مِن أهلِ البلد، وكذلكَ لم يُرَ عليه أثرُ السَّفر، المسَافِر تَظهَرُ عليهِ ءاثارٌ ولا سِيّما فِى ذلكَ الزّمَن الذِى كان التّنقُّل فيه على الدّوابّ أو المَشْيِ بالأقدام، فسألَ النبىَّ ﷺ قالَ يا محمَّدُ أخبرنِى ما الإسلامُ قال **الإسلامُ أن تشهَد أن لا إلـٰه إلّا الله وأنّ محمَّدًا رسولُ الله وتُقيمَ الصّلاةَ وتؤتى الزّكاةَ وتَصومَ رمَضان وتحُجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبِيلًا**، قال فأنَا إذا فعَلتُ ذلكَ مسلِمٌ قالَ **نَعم**، ثمّ قال فأخبرنى عن الإيمان قال **الإيمانُ أن تؤمنَ باللهِ**

**وملائكتِه وكتُبِه ورُسُلِه واليوم الآخِر والقَدَر خيرِه وشَرّه**، ثمّ سألَه عن الإحسانِ قالَ **الإحْسَانُ أنْ تخْشى اللهَ كأنّكَ تَراهُ فإن لم تكن تَراهُ فإنّه يراكَ** اهـ هذا الحديثُ[١] يُقالُ لهُ حديثُ جِبريل لأنّ السّائلَ هو جبريلُ لكنّه ما جاءَ بصُورةٍ كانَ يأتِى بها إلى الرَّسول قبلَ ذلكَ كانَ يأتِى جبريلُ إلى الرَّسول أحيانًا بصُورة رجُلٍ يُقالُ لهُ دِحْيَةُ الكَلبى كانَ أجملَ أَصحَابِ الرَّسول، هوَ مِن قبِيلَة بَنى كَلْب قبيلةٌ كبيرةٌ فِى العرَب، وكانَ قَصْدُ جبريلَ أن يُبَيّنَ لأصحاب رسولِ الله أمّا هوَ فكان عالمًا بهذه الأسئلة لا يحتاجُ لأنْ يَسألَ ليتَعلَّم، ثم ذهَب جبريلُ بعدَ سؤالٍ رابعٍ وهو أنّه قال متى السّاعةُ قال **ما المسؤولُ عنها بأعلَمَ منَ السّائل** المعنى أنَا وأنتَ أيّها السّائلُ كِلانا لا نَعلَمُ متى تجِبُ السّاعةُ أى متى تقَعُ القِيامة، أنا لا أدرى، اللهُ ما أعطانى عِلمَ ذلكَ ولا أنتَ تَدرى، كلانا سواءٌ فِى عَدم العِلْم بوَقتِ حلُولِ القيامة، فيُفهَم من هذا الحديثِ أنّ أفضَل الأعمالِ بعدَ الإيمانِ بالله ورسولِه الصّلواتُ الخَمسُ، ثم معنى وتُقِيمَ الصّلاة أن تَثبُتَ على الصّلاةِ فِى حالِ المرض وفِى حالِ السّفَر وفِى حالِ العمَل وحالِ الخَوفِ وفِى حالِ القَلاقِل وفِى الفَرح وفِى حال الحُزْن، فالذِى يُحافِظ على الصّلَواتِ فِى هذه الأحوالِ كُلّها يُقالُ لهُ مُقِيم الصّلاة، أمّا الزّكاةُ فلَه أن يؤخّر إلى

---

(١) رواه البخاريّ فِى صحيحه باب قَوْلِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

أن يتَمَكّن مِنَ الأداءِ إن كانَ مالُه غائبًا وهو فِى غيرِ بلَدِ المال وليسَ معَهُ مالٌ يَدفَعُه زكاةً فِى الوقتِ الحَاضِر.

الإيمانُ باللهِ ورسُولِه هوَ أَسَاسُ الدّينِ الذِى لا يصِحُّ الإسلامُ والإيمانُ بدُونِه، مِن دُونِ مَعرفةِ اللهِ تعالى لا يَقبَلُ اللهُ تبارك وتعالى مِن أحَدٍ عَملًا ولذلكَ قال الرَّسول ﷺ بعدَ أنَ ذكَر المؤمنَ أنّه يجازى بحسَناتِه فِى الدُّنيا والآخرة قال **أمّا الكافرُ فإنّ اللهَ يُطعِمُه بحسنَاتِه فِى الدُّنيا حتّى إذا أفضَى إلى الآخرة لم يكُن لهُ نَصِيْب** اهـ رواه أحمد[١] ومسلم[٢]، وابن حبان[٣] عن أنس. الكافرُ إذا عمِلَ حسَناتٍ فِى الدّنيا يُجازيه اللهُ فِى الدُّنيا بالصّحّة والرّزْق، حتَّى إذا أفضَى إلى الآخِرة لم يكن لهُ منها نصِيب، ليسَ لهُ نصِيبٌ فِى الآخِرة مهما كانَ فِى الدُّنيا يَعمَلُ عمَلًا حسَنًا مع النّاس، مَهما كان يتَصدَّق على الفقراءِ والمسَاكين ومهمَا كانَ يخدِم النَّاسَ الكافرُ ليسَ لهُ بعدَ الموت ثواب.

بنتُ حَاتِم الطَّائِىّ الرَّجُل المعْرُوف بالجُودِ والسّخاء الذِى يُضرب به المثَل، كانت بنتُه هذه لمَّا وقعَت فِى الأسر وأُتِىَ بها إلى الرَّسول وكانت مُعْجِبَةَ المنظر ومُعْجِبَةَ المَنْطِق إذا تكلّمت فصاحتُها تُعجِب الناسَ قالت أنا بنتُ سيّدِ قومِه حَاتم الطَّائىّ كانَ لا يَردّ طالبَ

---

(١) فيما روىَ عن أنس بن مالك رضىَ الله عنه.
(٢) باب جزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِى الدُّنْيَا.
(٣) باب ما جاء فى الطاعات وثوابها.

حَاجَةٍ كانَ يَقرِى الضّيفَ كانَ يُكرمُ الغَريبَ، ذكَرَت مـحَاسِنَ أبِيْها لتَستَعطِفَ الرَّسولَ ﷺ ليُخَلّوا عنها، الرَّسولُ أحسَن إليها ثمّ قال لها **لو كانَ مُسلمًا لتَرحَّمْنا عليه**[1] اهـ وهذه البنت المسلمونَ قاتَلُوا قومَها لأنّهم كانوا مشركِين وأمّا حاتمٌ الطّائىّ فإن كانَ ماتَ بعدَ أن سمعَ بدَعوةِ الإسلام لا يَسْلَمُ مِن نار جَهنّم وإن لم يكن سمِعَ بدَعوةِ الإسلام مِن أحَدٍ منَ البشر أو منَ الجِنّ لأن بعضَ الجِنّ كانوا مسلمين أيّامَ عيسى ثم أدركوا زمنَ سيّدِنا محمَّد فإنه يكون ناجيًا من أهل الفترة. فالكافرُ الذِى سمِعَ بدعوةِ الإسلام أو لم يسمَع بدَعوة الإسلام لا يُترَحَّمُ عليه بعدَ مَوتِه، أمّا فِى حالِ حيَاتِه يُدعَى لهُ بالرّحمة، يُدعَى لهُ بالهِدايةِ، يُدعَى لهُ بصَلاحِ شَأنِه، كانَ اليَهودُ إذا عطَسُوا بحَضرةِ الرَّسولِ ﷺ يَنتَظِرُونَ مِنهُ أن يقولَ لهم رَحِمَك الله، فهوَ لا يقولُ لهم رحِمكَ الله كانَ يقولُ لهم يَهدِيْكُم اللهُ ويُصلِحُ بالَكُم، يكونُ دَعا لهم بالهدايةِ وصَلاحِ الشّأن.

والتّرحُّم على الكافر فِى حالِ حيَاتِه جائزٌ لأنّه يجُوز أن يهتَدى فيُسلِمَ فيَمُوت على الإسلام أمّا إذا ماتَ فقد فاتَه الإيمان. والله تعالى لا يَقبَلُ منَ الكُفّار إيمانَهم بعدَ اليَأس كأن يكونَ بعدَ حضُورِ ملَك الموت عزرائيل، بعدَ أن يرَى عزرائيلَ أو بَعدَ أن بلغَت رُوحُه الحُلقومَ أو بعدَ أن غَرِق فأيقَن بالهلاك فقالَ لا إلهَ إلّا

---

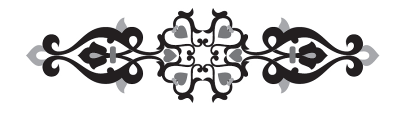
(١) رواه البيهقى وابن عساكر.

اللهُ محمَّد رسولُ الله لا يَقبلُ اللهُ منه، بعدَ مُعَاينَةِ العذاب لا يَقبَلُ اللهُ منهُ أى لا يُقبَل منهُ ندَمُه وتَصديقُه بالإسلام بعدَ مَوتِه مهما ندِم وتحَسَّر لأنّه لم يُسلِم قبلَ مَوتِه فإنَّ ذلكَ النّدَمَ لا يَنفَعُه وفِى حالِ حيَاتِه أيضًا لا يَنفَعُه إذا كانَ إيمانُه بعدَ أن رأى مَلَكَ الموت أو بعدَ الغرَق كما أنّه لا يَقبَلُ اللهُ الإيمانَ بعدَ أن تَطلُع الشّمس مِن مغربها، هذه الشّمس يأتِى علَيها يومٌ تَطلُع مِن مغربها، البشَر لمّا يرَونَ الشّمسَ طلَعَت مِن مَغربها يَفزَعُون فالكفّارُ يؤمنونَ لكنّ اللهَ لا يَقبلُ منهم إيمانَهم، حتّى المسلم الذِى كان فاسقًا إذا تابَ بعدَ ذلك لا يَقبَل اللهُ تَوبتَه، فمن صادف ذلك الوقت أى وقت طلوع الشّمس من مغربها فندم فقال تبت لا أعود فالله لا يقبل من هؤلاء المسلمين الذين كانوا من أهل الكبائر، والكافر أولى بأن لا يقبل منه الإيمان بعد طلوع الشمس من مغربها.

وكان مجىء سيدنا جبريل عليه السَّلام فِى تلك المرّة وجلوسه أمام النبىّ ﷺ مقتربًا منه اقترابًا زائدًا حتّى أسند ركبتيه إلى رُكْبَتَىِ الرَّسول ورسولُ الله لم يكن عرفَه فِى المجلس ثم بعدَ أن فارقَ المجلسَ عرفَه لأنّه أتاهُ بصُورةٍ لم يكن أتاهُ بها قبلَ ذلك، قبلَ ذلكَ كانَ يأتيْه بغَيرِ صُورتِه الأصليّة لكن مرّتَين ظهَر لهُ بصُورتِه الأصليّة لما كانَ فِى مكّةَ ظهَر لهُ مرَّةً بصُورتِه الأصليّةِ التِى لها سِتّمائة جنَاح فغُشِى على رسولِ الله ﷺ ثمّ أفاقَ ثمّ المرَّة الثانيَة ليلةَ المعراج، ليلة المعراج ظهَر لهُ جِبريلُ فِى صُورتِه الأصليّة التِى لها سِتّمائة جَناح

يتنَاثَر مِن جنَاحِه تهَاويلُ الدُّرّ واليَاقُوت شىءٌ يَبْهَرُ العين يتَساقَط منهُ على شَكلِ الدُّرّ واليَاقُوت تلكَ المرّةَ الثّانية ما حصَلَ لرسولِ الله غَشْىٌ بل ثبَت لأنّهُ زادَ قُوّةً وتمكِينًا لأنّ الرَّسولَ ﷺ دائمًا يَترقّى فِى الكمَالاتِ، كلَّ يوم يَزيدُ رُقِيًّا فِى الكمَالاتِ. المرّةَ الأولى رأى جبريلَ وهو بالأرض كانَ بمكّةَ فِى مَكانٍ يُقال له أجياد قال لهُ جِبريل تُريد أن تَرانى فِى صُورتى الأصليّة قالَ نَعم قالَ سَلْ ربَّك فسألَ الرَّسولُ ربَّه أن يُرِيَه جبريل فِى صورتِه الأصليّة فصارَ يَرتفعُ فِى الهواء حتّى مَلأ ما بينَ المشرق والمغرِب فصُعِق رسولُ الله مِن هَيبة هذا المنظر ثم بعدَ ذلك بمدّةٍ إمّا سنةٍ أو سنتَين أو ثلاثِ سنَوات قبل أن يُهاجر إلى المدينة ليلة الإسراء رآه أيضًا بتِلك الصّورة لكنّه لم يُصعَق لم يُغشَ عليه.

والله تعالى أعلم. انتهى.



# الفهرست